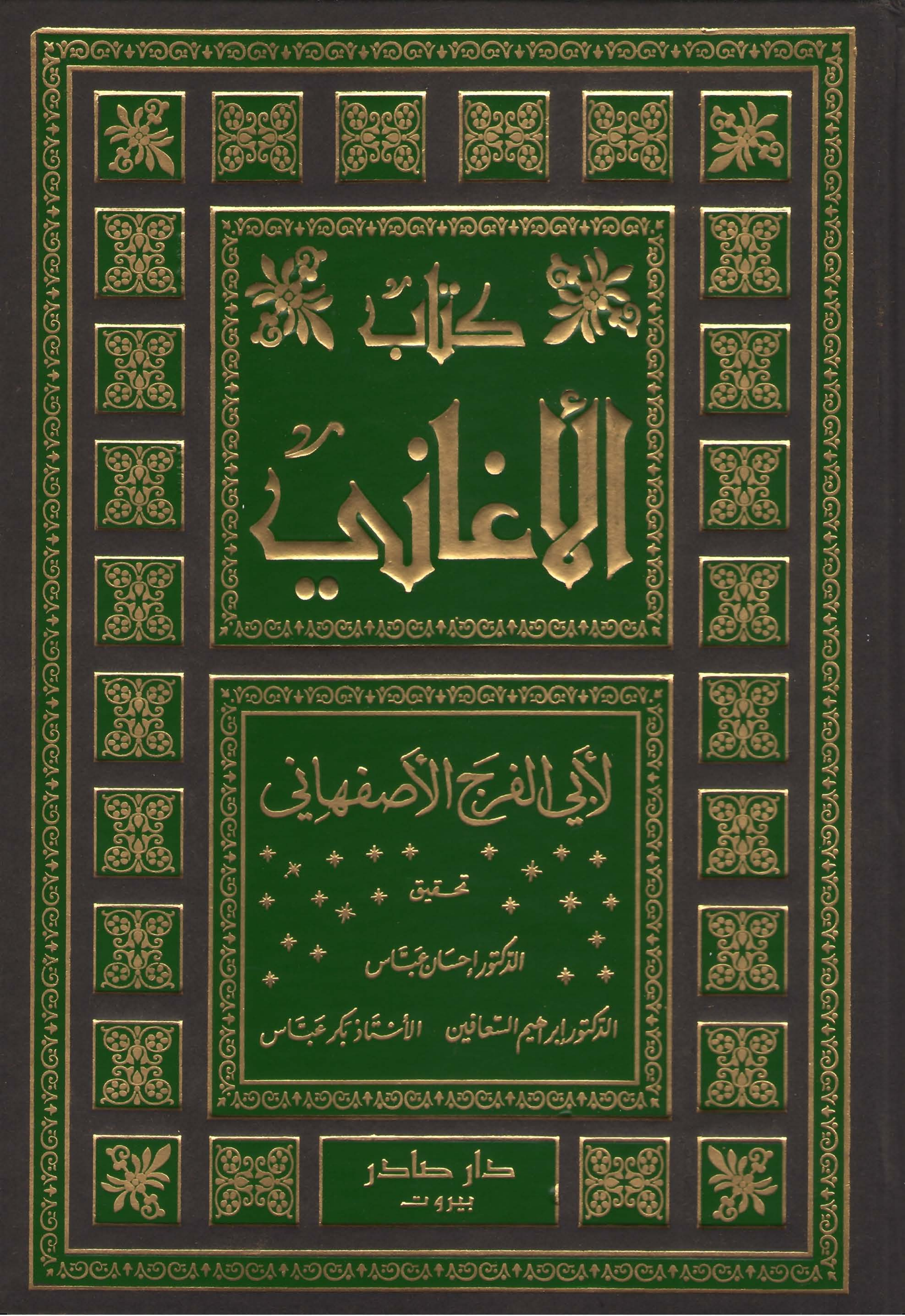


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
تحقيق
الدكتور إحسان عباس
الدكتور ابراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس
دار صادر
بيروت



كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد التاسع عشر

دار صادر
بيروت

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[396] ـ ذكر أبي محجن ونسبه[1]

أبو مِحْجَن عبدُ الله[2] بنُ حبيب بن عَمْرو بن عُمَيْر بنِ عَوْف بنِ عُقْدة بن غَيَرة بن عَوْف بن قَسيّ وهو ثَقِيف ، وقد مضى نسبه في عِدّة مواضع .

وأبو مِحْجَن من المُخضرمين الذين أدرَكُوا الجاهلية والإسلام ، وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ معدود في أُولي البأسِ والنَّجدة ؛ وكان من المعاقِرين للخمر المحدودين في شُرْبها .

[نفاه عمر فهرب]

أُخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن الحسن الأَحوَل ، عن ابنِ الأعرابيِّ ، عن المُفَضَّل قال : لمّا كَثُرَ شُربُ أبي مِحجَن الخمر ، وأقامَ عُمَر بن الخَطَّاب رضي الله عنه عليه الحَدَّ مِراراً وهو لا ينتهي ، نَفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حَضَوْضى[3] ، وبعث معه حَرَسِيّاً يقال له ابنُ جَهْراء ، فهرب منه على ساحل البحر ، ولحق بسَعد بن أبي وقّاص ، وقال في ذلك يذكُر هَرَبه من ابنِ جَهْراء[4] : [من البسيط]

الحَمْـدُ للهِ نَجّـاني وخَلَّصَنـي من ابن جَهْراءَ والبُوصيُّ قد حُبِسا[5]

من يَجشَمِ البَحْرَ والبُوصيُّ مَرْكَبُه إلى حَضَوْضَى فبئْس المَرْكبُ الْتَمسا

أَبلـغْ لَدَيْـكَ أَبـا حَفْص مُغَلْغَلَةً عبدَ الإله إذا مـا غـارَ أَو جَلَسا

أَنِّي أَكُـرُّ على الأُولى إذا فَزِعوا يوماً وأَحبِس تحت الرّايةِ الفَرَسا[6]

---

1 ترجمة أبي محجن في الشعر والشعراء : 336–337 والمؤتلف : 133 والاستيعاب : 1746–1751 والإصابة 7 : 170 وطبقات ابن سلام : 268–269 والخزانة 8 : 405–413 وكتب التاريخ في وقعة القادسية . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وله ديوان صغير بشرح أبي هلال العسكري .

2 اختلف في اسمه ، فهو في المؤتلف حبيب ، وفي الإصابة والاستيعاب (وعن الثاني خزانة البغدادي) اختلف في اسمه فقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب . . . وقيل كنيته اسمه» .

3 حضوضى : عند ياقوت : «جبل في الغرب ، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها ؛ وقال الحازميّ : حضوض ، بغير الألف ، جزيرة في البحر» .

4 ديوانه : 9–10 .

5 البوصي : ضرب من السفن . وهذا يرجح قول الحازميّ في حضوضى .

6 الأولى : مقدمة الخيل .

أغشى الهِيــاجَ وَتغْشاني مُضاعَفةٌ من الحَديدِ إذا ما بعضُهم خَنسا[1]

[سبب آخر لنفيه]

هذه روايةُ ابن الأعرابيّ عن المَفضّل ، قال ابنُ الأعرابيّ : وحدَّثني ابنُ دأب بسبب نَفْي عُمَر إيّاه ، فذكر أنَّ أبا مِحْجَن هَوِيَ امرأةً من الأنصار يقال لها شَمُوس ، فحاول النَّظر إليها بكلّ حِيلة ، فلم يَقْدر عليها ، فآجَر نفسَه من عامل يعمل في حائط[2] إلى جانب منزلها ، فأشرف من كُوَّة في البُستان ، فرآها فأنشأ يقول[3] : [من الكامل]

ولقد نظرتُ إلى الشَّموسِ ودُونها حَــرَجٌ مــن الرّحمــن غيرُ قليلِ
قــد كنتُ أحْسَبُني كأغنى واحدٍ وَرَد المدينـــةَ عــن زراعــة فُولِ

فاستَعْدى زوجُها عليه عُمَر بن الخطّاب ، فنفاه إلى حَضَوْضَى ، وبَعَث معه رجلاً يقال له ابن جَهْراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يَسْتعين به . قال له عُمَر : لا تَدَع أبا مِحْجَن يُخرِج معه سيفاً ، فعمد أبو مِحجَن إلى سيفه فجعل نصلَه في غِرارة وجعل جفنه في غِرارة أُخرى ، فيهما دَقيق له .

فلمّا انتهى به إلى الساحل وقَرُب البُوصيّ اشترى أبو مِحْجن شاةً وقال لابن جَهْراء : هلمَّ نتَغدّ ووثب إلى الغِرارة كأنَّه يُخرج منها دقيقاً فأخذ السيفَ ، فلمّا رآه ابنُ جهراء والسيفُ في يده خرج يعدو حتى ركب بَعيرَه راجعاً إلى عُمَر ، فأخبره الخبر .

وأقبل أبو مِحْجن إلى سَعْد بن أبي وَقّاص وهو يُقاتل العَجَم يوم القادسيَّة ، وبلغ عُمرَ خبرُه ، فكتب إلى سعد بحبسِه ، فحبَسه ، فلمّا كان يوم أرْماث ؛ والتحم القِتالُ سأل أبو مِحْجَن امرأةَ سَعْد أن تُعطِيَه فرس سعد وتُحلَّ قيده ليُقاتِل المشركين ، فإن استُشْهِد فلا تَبِعة عليه ، وإن سَلِم عاد حتى يضع رجلَه في القَيْد ، فأعطته الفرسَ ، وخلّت سبيله ، وعاهدها على الوفاء ، فقاتل فأبلى بلاءً حسناً إلى الليل ، ثم عاد إلى حبسه .

حدَّثني بهذا الحديث عمّي عن الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن إبراهيم بنِ حَكيم ، عن عاصِم بنِ عُروَة : أنَّ عُمر بن الخَطّاب رضي الله عنه غَرّب رجلاً من ثقيف وهو أبو محجن ، وكان يُدمِن الخمر وأمَر ابن جَهْراء النَّصريَّ ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر ، وذكر الخبر مثل الذي قبله ، وزاد فيه : وقال أبو مِحْجَن أيضاً[4] : [من المديد]

1 مضاعفة : درع صنعت من حلقتين حلقتين . خنس : تأخر .
2 حائط : بستان .
3 لم يرد البيتان في ديوانه .
4 لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

صوت

صاحِبـا سَوْءٍ صَحِبتُهما صاحَباني يـوم أَرْتَحِـلُ
ويَقـولان : ارتَحِل مَعنا فأُنادِي : إنّنـي ثمِـلُ
إنَّنـي باكَـرتُ مُترعةً مـزّةً راوُوقها خَضِلُ

الغناء في البيتين الأخيرين لنَشْو خفيف رمل وأوّله :

ويقُـولان اصْطبح مَعَنا

قال الأصفهانيّ : وهذه القصة كانت لأبي مِحْجَن في يوم من أيّام حَرْب القادسيّة يقال له : يوم أرْماث ، وكانت أيّامُها المَشْهورة يومَ أغْواث ويوم أرْماث ويوم الكتائب وخبَرُها يَطول جدّاً ؛ وليس في كلّها كان لأبي مِحْجَن خَبَرٌ ، وإنّما ذكرنا هاهنا خَبره ، فذَكرنا منها ما كان اتّصاله بخبر أبي مِحْجَن[1] .

حدَّثنا بذلك محمد بن جرير الطّبريّ قال : كَتَب إليّ السَّريُّ بن يَحيى ؛ يذكر عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بن طَلحة وزيادٍ وابن مخراق ، عن رجل من طيىء قال : لمّا كان يومُ الكتائب اقتَتَل المسلمون والفُرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلمّا غابت الشمس تزاحف النّاسُ فاقتتلوا حتى انتصف الليل ؛ وهذه الليلة التي كان في صَبيحتها يوم أرْماث ، وقد كان المسلمون يوم أغْواث أشرفوا على الظّفر وقتلوا عامّة أعلام الفُرْس ، وجالت خَيلُهم في القلب ، فلولا أنَّ رَجْلهم ثَبتوا حتى كرَّت الخيلُ لكان رئيسُهم قد أُخِذ ؛ لأنّه كان ينزل عن فرسِه ؛ ويجلِسْ على سريره ، ويأمُر النّاسَ بالقتال ؛ قالوا : فلمّا انتصفَ الليلُ تحاجز الناس ، وبات المسلمون يَنتمون منذ لدن أمْسَوا .

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تمّ النّاسُ على الانتماء فلا تُوقِظْني فإنّهم أقوياء على عَدُوّهم ؛ وإن سَكتوا وسَكت العدو فلا تُنبِّهني فإنّهم على السواء ؛ وإن سمعتَ العدُوّ ينتمون وهؤلاء سُكوتٌ فأنْبِهني فإنّ انتماء العدوّ من السُّوء .

قالوا : ولما اشتـدَّ القِتال في تلك الليلة ، وكان أبو مِحجَن قد حبسه سعد بكتاب عُمَر ، وقيَّده فهو في القصر ، صعد أبو محجن إلى سَعْد يَستَعْفيه ويَستقيله ، فزبره[2] وردَّه ؛ فنزل فأتى سَلمى بنتَ أبي حَفْصة فقال : يا بنت آل أبي حفصة ، هل لكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تُخلّين عنّي وتُعيرِينَني البلقاء ، فللّهِ عليّ إن سلّمني الله أن أرجعَ

---

1 قارن تاريخ الطبري (حوادث سنة 14) ، وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 455–457 .

2 زبره : منعه ونهاه .

إلى حضرتك حتى تَضعِي رِجليَّ في قَيْدي . فقالت : وما أنا وذاكَ ؟ فرجَع يَرسُف في قُيوده ويقول[1] : [من الطويل]

كَفى حَزَنا أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنا ... وأُتـرَكَ مَشْدُوداً عـليَّ وِثاقِيا[2]

إذا قُمتُ عَنَّاني الحديـدُ وغُلِّقَت ... مَصاريعُ من دُوني تُصِمُّ المُنادِيا[3]

وقد كنـتُ ذا مـالٍ كَثيرٍ وإخْوَةٍ ... فقـد تركوني واحـداً لا أخا لِيا[4]

وقد شَفَّ جِسْمي أنّني كلّ شارِقٍ ... أُعالِـج كَبْلاً مُصْمتًا قـد بَرانِيا

فللـهِ دَرِّي يـومَ أُتـْرَكُ مُوثَقـاً ... وتَذهَـلُ عنّـي أُسْرَتـي ورِجالِيا

حبيساً عن الحَرْب العَوانِ وقد بدت ... وإعمالُ غَيْري يوم ذاكَ العَوالِيا[5]

ولله عَهْـدٌ لا أخِيسُ بعَهْـده ... لئـن فَرَجَـت ألاَّ أزُورَ الحوانِيا

فقالت له سَلْمى : إنّي قد استَخَرْتُ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقَتْه وقالت : أمّا الفرس فلا أُعِيرها ، ورجَعَت إلى بيتها . فاقْتادها أبو مِحجَن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندَق ، فركبها ثم دَبَّ عليها ، حتى إذا كان بِحيال الميمنَة ، وأضاء النّهار ، وتصافّ النّاس ، كبَّر ، ثم حَمَل على مَيْسَرة القوم فلَعِب برُمحه وسِلاحه بين الصَّفَّين ، ثم رجَعَ من خلف المسلمين إلى القلب فبدَر أمامَ الناس ، فحمل على القوم فلعِب بين الصَّفَّين برُمحه وسلاحه ، وكان يقصفُ الناس ليلتئذ قصفاً مُنكَراً ؛ فعجب الناسُ منه وهم لا يعرِفُونه ولم يرَوْه بالأمس ، فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحاب هِشام بن عُتبة أو هشامٌ بنفسه . وقال قوم : إن كان الخِضر يشهد الحروبَ فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون : لَولا أنّ الملائكة لا تُباشر القتال ظاهِراً لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا ؛ وجعل سَعد يقول ، وهو مشرف ينظر إليه : الطَّعنُ طَعنُ أبي مِحجن ، والضَّبْرُ ضَبرُ البلقاء[6] . ولولا مَحْبس أبي مِحجن لقلتُ : هذا أبو محجن وهذه البلقاء . فلم يزل يُقاتِل حتى انتصف الليل ، فتحاجز أهلُ العسكَرين وأقبَل أبو مِحجَن حتى دَخَل القصر ، ووضع عن نفسه ودابّته ، وأعاد

---

1 في الديوان أربعة أبيات منها ، وهي في الخزانة 8 : 407 (عن الاستيعاب) .

2 تردي : تضرب الأرض بحوافرها . وفي الديوان : تطعن وفي الخزانة : تلتقي .

3 مصاريع في الديوان والخزانة : مصارع .

4 بعد هذا البيت في الديوان بيت رابع :

فان مت كانت حاجة قد قضيتها ... وخلّفت سعداً وحـده والأمانيا

5 حبيساً في الخزانة : حبست .

6 الضبر : جمع القوائم والوثب .

رجلَيْه في القيد ، وأنشأ يقول[1] : [من الوافر]

لقد عَلِمتْ ثقيفٌ غيرَ فخر بأنّا نحن أكرمُهم سُيوفا[2]
وأكثرُهم دُروعاً سابغاتٍ وأصبرُهم إذا كرِهوا الوُقوفا
وأنّا رِفْدُهم في كلِّ يوم فإن جحدوا فَسلْ بهمُ عَرِيفا[3]
وليلةَ قادسٍ لم يَشْعُروا بي ولم أُكْرَه بمخرجيَ الزُّحوفا
فإن أُحبَسْ فقد عَرفوا بَلائي وإن أُطلَقْ أُجرِّعْهم حُتوفا[4]

فقالت له سلمى : يا أبا مِحْجَن ؛ في أيّ شيء حَبَسك هذا الرجل ؟ فقال : أَمَا واللهِ ما حَبَسني بحرامٍ أكلتُه ولا شَرِبتُه ، ولكنّي كنتُ صاحبَ شراب في الجاهليّة وأنا امرؤٌ شاعر يدبُّ الشِّعر على لساني فينفثه أحياناً ، فحَبَسني لأنّي قلتُ[5] : [من الطويل]

إذا مِتُّ فادفِنّي إلى أصل كَرْمةٍ تُروِّي عِظامي بعد مَوْتِي عُرُوقُها
ولا تَدْفِنَنّي في الفَلاة فإنّني أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذُوقُها
لِيُروى بخمر الحُصِّ لَحمي فإنّني أسيرٌ لها من بعد ما قد أَسُوقُها[6]

قال : وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جَوْلةً ، وسَعد بنُ أبي وَقّاص في القصر لِعِلّةٍ كانت به ، لم يقدِر معها على حضور الحرب ، وكانتْ قبلَه عند المثنّى بن حارثة الشَّيبانيّ ! فلمّا قُتِل خَلَف عليها سَعْد ، فلمّا رأت شِدَّةَ البأس صاحت : وامُثنَّياه ولا مُثنّى لي اليوم ، فلَطَمها سَعد ، فقالت : أُفٍّ لك ، أجُبْناً وغَيْرَة ؟ وكانت مُغاضِبة لسعد عشيّةَ أرْماثٍ وليلة الهَدْأة وليلة السَّواد ، حتى إذا أصبحت أتَته وصالَحَتْه ، وأخبرته خَبَر أبي مِحْجَن ، فَدعا به وأطْلَقه وقال : اذْهَب فلستُ مؤاخذَك بشيء تقولُه حتى تَفعَله ، قال : لا جَرَمَ ، واللهِ إنّي لا أجَبْتُ لِساني إلى صِفَة قَبيح أبداً .

[رواية أخرى]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن

---

1 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثلاثة منها .
2 أكرمهم سيوفا في الديوان : أجودهم سيوفا .
3 فسل بهم عريفا في الديوان : فسل رجلاً عريفا .
4 في تاريخ الطبري :
فان أحبس فذلكم بلائي وإن أترك أذيقهم الحتوفا
5 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثمانية أبيات ليس البيت الثالث منها .
6 الحصّ : موضع من نواحي حمص .

شَبَّة قال : حدَّثنا محمد بن حاتم قال : حدَّثنا محمد بنُ حازم قال : حدَّثنا عَمْرو بن المهاجِر ، عن إبراهيم بن محمد بن سعد ، عن أبيه ، وأخبرني عليٌّ بن سليمان الأخْفش قال : حدَّثنا محمد بنُ الحسن بنِ دينار مَوْلى بني هاشم ، عن ابنِ الأعرابيّ عن المفضَّل ، وروايتُه أتمَّ ، قالوا : كان أبو مِحْجَن الثَّقَفيّ فيمن خرَجَ مع سعد بن أبي وقّاص لحرب الأعاجم ؛ فكان سعد يؤتى به شارباً فيتهدّدُه فيقول له : لستُ تارِكَها إلاّ للهِ عزَّ وجلَّ ؛ فأمّا لِقَولِك فلا . قالوا : فأُتِيَ به يوم القادسيّة وقد شَرِب الخمرَ ؛ فأُمِر به إلى القَيْد ، وكانت بِسَعْد جراحة فلم يخرُج يومئذٍ إلى الناس ؛ فاستَعمل على الخيل خالدَ بن عُرْفُطة ، فلمّا التَقى الناسُ قال أَبو مِحْجَن : [من الطويل]

كفى حَزَناً أَن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتـرَكَ مَشْدوداً عـليَّ وِثاقِيا

[يمتنع عن شرب الخمر]

وذكر الأبيات وسائِرَ خَبَره مثل ما ذكره محمد بن جرير ، وزاد فيه : فجاءت زَبْراءُ امرأة سَعد ، هكذا قال : والصحيح أنّها سَلْمى ، فأخبرت سعداً بخَبره ؛ فقال سعد : أَما واللهِ لا أُضْرِبُ اليوم رجلاً أَبْلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم ، فَخَلّى سبيلَه . فقال أبو مِحجَن : قد كنتُ أَشرَبُها إذ كان الحدُّ يُقام عليّ وأُطَهَّر منها ، فأمّا إذ بَهْرَجْتَني[1] فلا واللهِ لا أَشْرَبُها أبداً . وقال ابنُ الأعرابيُّ في خبره : وقال أبو مِحجَن في ذلك[2] : [من البسيط]

إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقـد أُباكِرُهـا صِرْفـاً وأَمزُجُها ... رِيّـاً وأَطـرب أَحيانـاً وأَمْتَزِجُ
وقـد تَقُـومُ على رأْسي مُنَعَّمـةٌ ... خَوْدٌ إذا رَفَعت في صَوْتها غُنُجُ
تُرَفِّع الصَّوتَ أَحيانـاً وتخفِضُه ... كما يَطِـنُّ ذُبـابُ الرَّوضَةِ الهَزِجُ

[ظنته امرأة هارباً]

أَخبرني الجوهريُّ والمُهلَّبيُّ ، قالا : حدَّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّة قال : لَمّا انصرَف أَبو مِحْجَن لِيَعودَ إلى محبسه رأتْه امرأة فظنّته مُنْهَزِماً ؛ فأنشأت تُعَيِّره بفِراره : [من الكامل]

مَنْ فارِسٌ كَرِهِ الطِّعان يُعِيرُني ... رُمْحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّرِ[3]

1 بهرجتني : أهدرتني بإسقاط الحد عني (اللسان) .
2 الديوان : 19-20 .
3 مرج الصّفر : بدمشق . والبيت الذي تمثلت به المرأة لخالد بن سعيد بن العاصي (ياقوت) .

فقال لها أبو مِحجن : [من الكامل]

إنّ الكِـرامَ على الجيادِ مَبيتُهم   فَدَعي الرِّماحَ لأَهْلِها وتَعَطَّري

[رثاء عبيد بن مسعود]

وذكر السَّريّ ، عن شُعيب ، عن سيف في خبره ، ووافَقَتْه رواية ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل : أنَّ الناس لمّا التقَوْا مع العجم يوم قَسِّ النَّاطِف ، كان مع الأعجام فِيلٌ يَكُرُّ عليهم ؛ فلا تَقوم له الخَيْل ؛ فقال أبو عُبيد بنُ مسعود : هل له مَقْتل ؟ فقيل له : نَعَمْ ؛ خُرْطومه إلاّ أنّه لا يُفلِت منه مَن ضَرَبه ؛ قال : فأنا أَهَب نَفسي لله ، وكمَن له حتى إذا أقبل وَثَبَ إليه فضَرَب خُرْطُومه بالسيف ؛ فرَمى به ، ثم شَدَّ عليه الفِيلُ فقَتَله ، ثم اسْتَدار فطَحَن الأعاجِمَ وانْهَزَموا ، فقال أبو مِحْجَن الثّقفيّ يَرثي أبا عُبَيد[1] : [من الطويل]

أَنَّى تَسَدَّت نحوَنـا أُمُّ يوسُفٍ   ومِنْ دُونِ مَسْراها فَيافٍ مَجاهِلُ[2]

إلى فِتيـةٍ بالطَّفِّ نِيلَـت سَراتُهم   وغُـودِر أفـراسٌ لهم ورواحِلُ

وأَضْحى أبـو جَبْرٍ خـلاءً بُيوتُه   وقد كان يَغْشاها الضِّعافُ الأَرامِلُ

وأَضْحى بَنو عمرو لدى الجِسْرِ منهمُ   إلى جانبِ الأَبيات جُـودٌ ونائِلُ

وما لُمْتُ نفسي فيهـمُ غَيْرَ أَنّها   لهـا أَجَلٌ لم يأْتِها وهـو عاجِلُ

وما رمـتُ حتى خَرّقُوا بسِلاحهم   إهابي وجادَتْ بالدِّماء الأَباجِلُ[3]

وحتـى رأيـتُ مُهْرتي مُزْوَئِرّةً   مِنَ النَّبْلِ يَدْمى نَحْرُها والشَّواكِلُ[4]

وما رُحـتُ حتى كنتُ آخرَ رائحٍ   وصُرِّع حـولي الصّالِحونَ الأماثِلُ

مَرَرْتُ على الأَنصارِ وَسْط رِحالِهم   فقلتُ : أَلا هَلْ منكم اليوم قافِلُ ؟

وقرَّبْـتُ رَوَّاحاً وكُـوراً ونُمرقاً   وغُـودِر في أُلَّيس بكْـرٌ ووائِلُ[5]

أَلا لَعَـن اللهُ الذيـن يَسرُّهـم   رَدايَ وما يَدْرونَ ما اللهُ فاعِلُ

قال الأخفش في روايته ، عن الأحْول ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المفضّل : قال أبو مِحجَن في تَرْكه الخَمر : [من الوافر]

---

1 الديوان : 13–15 .

2 تسدت نحونا : جازت إلينا .

3 رمت : برحت . الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق في الرجل أو اليد .

4 مزوئرة : منحرفة . والشواكل : جمع شاكلة ، وهي الخاصرة .

5 أُلّيس : موقع المعركة في العراق .

رأيـتُ الخَمر صالحـةً وفيها ... مناقِبُ تُهلِك الرَّجـل الحَليما
فـلا واللهِ أشربُهـا حَياتـي ... ولا أُسقي بهـا أبداً نَديما

[ابنه عند معاوية]

أخبرني عَمّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمريُّ ، عن لَقِيط ، عن الهيثم بن عَدِيّ . وأخبرني محمد بن الحَسن بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتيبة قالوا : دخَلَ ابنُ أبي مِحْجَن على معاوية ، فقال له : أليس أبوك الذي يقول : [من الطويل]

إذا مِتُّ فادفنّي إلى أصلِ كَرْمَةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوتي عُروقُها
ولا تَدْفِنَنّـي بالفـلاة فإنّني ... أخاف إذا مـا مـتّ ألاَّ أذُوقُها

فقال ابن أبي مِحْجَن : لو شئتَ لذكرتُ ما هو أحسَن من هذا من شعره ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : قوله[1] : [من البسيط]

لا تَسألي الناسَ عن مالي وكَثْرَتِه ... وسائلي الناسَ ما فِعْلي وما خُلُقي[2]
أُعطي السِّنانَ غداة الرَّوْع حِصَّته ... وعامِلَ الرُّمح أُرويـه من العَلَقِ[3]
وأَطعن الطعنةَ النَّجلاءَ عن عُرُضٍ ... وأحفظُ السرَّ فيـه ضَرْبةُ العُنقِ[4]
عَـفٌّ المَطالب عمّـا لستُ نائلَه ... ـ وإن ظُلِمتُ ـ شديدُ الحِقْد والحَنَقِ[5]
وقد أجودُ وما مـالي بذِي فَنَعٍ ... وقـد أكرُّ وراءَ المُحجَر البَرِقِ[6]
والقومُ أَعْلمُ أنّي مـن سَراتِهمُ ... إذا سَما بَصَرُ الرِّعديدة الشَّفِقِ[7]
قد يُعسِر المرءُ حيناً وهو ذُو كَرَم ... وقد يَثوبُ سَوامُ العاجزِ الحَمِقِ[8]

---

1 الديوان : 3–8 مع اختلاف في الترتيب .
2 الديوان : وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي .
3 حصته في الديوان : نحلته . والعلق : الدم .
4 الديوان :
وأكشف المأزق المكروب غمته ... وأكتـم السر فيه ضربـة العنق
5 الديوان : عف الإياسة . . .
6 الفنع : الكثرة والمحجر : المستور .
7 الديوان : قد يعلم الناس أنا من سراتهم .
8 الديوان : قد يقتر المرء يوماً وهو ذو كرم .

سَيَكثُر المالُ يوماً بعد قِلَّته ويكتسي العُودُ بعد اليُبس بالوَرَقِ[1]

فقال معاوية : لَئِن كنّا أسأنا لك القول لنُحْسننّ لَكَ الصَّفَد ، ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدت النِّساء فلْتَلِد مِثلك !

[علي يفتي عمر في الحد]

أخبرني الحسن بن عليّ وعيسى بن الحسين الورّاق قالا : حدّثنا ابن مهرويَه ، قال : حدَّثني صالح بن عبد الرحمن الهاشميّ ، عن العُمريّ ،عن العتبيّ قال : أُتيَ عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه ، بجماعة فيهم أبو مِحْجَن الثقفيّ وقد شربوا الخَمر ، فقال : أشربتم الخَمْرَ بعد أن حرَّمَها الله ورسوله ، فقالوا : ما حرَّمها الله ولا رسوله ؛ إنّ الله تعالى يقول : ﴿ليسَ عَلى الذينَ آمَنُوا وعَملوا الصَّالحات جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصّالحات﴾[2] ؛ فقال عمر لأصحابه : ما تَرَوْنَ فيهم ، فاختلفوا فيهم فبَعث إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشاوَره ؛ فقال عليّ : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلّوا المَيْتة والدّم ولحم الخنزير ؛ فسكتوا ، فقال عمر لعليّ : ما ترى فيهم ؟ قال : أرى إن كانوا شرِبُوها مُستحلِّين لها أن يُقتلوا ، وإن كانوا شربُوها وهم يُؤمنون أنّها حرامٌ أن يُحَدُّوا ، فسألهم ؛ فقالوا : والله ما شككنا في أنّها حرام ، ولكنّا قدّرنا أن لنا نجاةً فيما قُلناه ، فجعل يحدّهم رَجلاً رجلاً ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي مِحْجَن ؛ فلمّا جلده أنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الدَّهـرَ يعثُر بالفتى ولا يستطيع المَرءُ صرفَ المَقادِرِ
صَبرتُ فلم أَجزَع ولم أَكُ كائعاً لحادثِ دَهْر في الحُكومة جائِرِ[4]
وإنّي لذُو وصَبر وقد مات إخوَتي ولست عن الصهباء يومـاً بصابِرِ
رَماهـا أَميرُ المُؤمنـين بحتْفِهـا فخُلاّنُها يبكـون حـول المَعاصِرِ

فلمّا سمع عمر قوله :

ولستُ عن الصَّهْباءِ يوماً بصابرِ

1 الديوان : قد يكثر المال . . . . بعد الجدب . . .
2 سورة المائدة ، الآية : 93 .
3 في الطبري (حوادث سنة 18) حكاية مماثلة عن ضرار وأبي جندل وأنّ هذا الشعر لأبي الزهراء القريشيّ .
4 كائع : جبان هياب .

قال : قد أَبدَيتَ ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبةً لإصرارِك على شُرْب الخَمر ؛ فقال له عليّ عليه السلام : ما ذلك لك ، وما يجوزُ أن تُعاقب رجلاً قال لأفعلنّ وهو لم يفعل ، وقد قال الله في الشعراء : ﴿وأنّهُمْ يقولون مالا يَفعَلُون﴾ [1] . فقال عمرُ : قد استثنى اللهُ منهم قوماً فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ﴾ . فقال عليٌّ عليه السلام : أفهؤلاء عندكَ منهم وقد قال رسول الله ﷺ : «لا يشرَب العبدُ الخَمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ» .

[نبتت الكرمة على قبره]

أُخبرنا محمد بنُ خَلَف بن المَرزبان قال : حدَّثنا أحمدُ بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عَديّ قال : أخبرني مَن مرَّ بقبر أبي مِحْجَن الثقفيّ في نَواحي أذْرَبيجان ، أو قال في نواحي جُرْجان ، فرأيتُ قبرَه وقد نبتت عليه ثلاثة أُصول كَرْم قد طالت وأُثمرت وهي مَعْرُوشة ، وعلى قبره مكتوب : هذا قبر أبي مِحْجَن الثقفيّ ، فوقَفتُ طويلاً أَتَعَجّب ممّا اتّفق له حتى صار كأُمنيَّة بَلَغها حيث يقول : [من الطويل]

إذا مِتُّ فادْفِنّي إلى أُصلِ كَرْمـةٍ تُروِّي عِظامي بعد مَوتـي عُروقُها

صوت

[من الطويل]

ألا يا لَقومي لا أُرى النَّجْمَ طالعاً ولا الشّمسَ إلاّ حاجِبي بَيَميني

مُعَزِّيَتي خَلْف القفـا بعمُودِهـا فجُـلُّ نكيري أن أَقـولَ ذَريني

أَمينٌ على أَسرارِهـنَّ وقـد أُرى أَكُـونُ على الأَسرارِ غيرَ أَمـينِ

فلَلموتُ خيرٌ مـن حِداجٍ مُوَطَّإ مع الظُّعْنِ لا يأتـى المحـلَّ لحينِ

عَرُوضه من الطويل ؛ والمُعزِّية : امرأةٌ تكون مع الشيخ الخَرِف تَكلَؤه . وقوله :

أمينٌ على أَسرارِهنّ . . .

أي أنّ النساء صِرْنَ يتحدَّثن بين يَدَيّ بأسرارِهنَّ ، ويفعلن ما كُنَّ قبل ذلك يَرْهبنَني فيه ؛ لأنّي لا أَضُرُّهنَّ . والحِداج والحِدْج : مركب من مراكب النِّساء .

الشِّعر لزُهَير بنِ جَناب الكلبيّ ، والغناء لأهل مكّة ، ولحنه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالوُسطى عن الهشاميّ وحَبَش ، وفيه لِحُنين ثاني ثقيل بالوسطى .

---

1 سورة الشعراء ، الآية : 227 .

[397] ـ أخبار زهير بن جناب ونسبه[1]

[نسبه]

زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد اللاّت بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

شاعرٌ جاهليٌّ ، وهو أحد المُعمَّرين ، وكان سيِّد بني كَلْب وقائدَهم في حروبهم ؛ وكان شُجاعاً مُظفَّراً مَيمُونَ النَّقيبة في غزواته ، وهو أحدُ من ملَّ عُمرَه فشَرِب الخمر صِرفاً حتى قَتَلْته .

ولم يُوجدْ شاعرٌ في الجاهليّة والإسلام وَلَد من الشّعراء أكثر مِمَّن وَلدَ زُهَيرٌ ، وسأذكر أسماءهم وشيئاً من شِعرهم بعقب ذِكْر خَبرِه إن شاء الله تعالى .

[غزوة غطفان]

قال ابن الأعرابيّ : كان سببُ غَزوة زهير بنِ جَناب غَطَفان أنّ بني بَغيض حين خرجوا من تِهامة ساروا بأجمعهم ، فتعرّضت لهم صُداء وهي قبيلة من مَذحِج ؛ فقاتلوهم وبَنُو بَغيض سائِرون بأهليهم ونسائِهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حَرِيمهم فظَهرُوا على صُداء فأوْجَعُوا فيهم ونكأُوا[2] ؛ وعزّت بَنو بَغيض بذلك وأثْرت وأصابت غنائمَ ؛ فلمّا رأَوْا ذلك قالوا : أما والله لنتَّخِذَنَّ حَرماً مثلَ حرم مكّةَ لا يُقتل صيدُه ، ولا يُعضَد شَجرُه ، ولا يُهاج عائذُه[3] ، فوَلِيتْ ذلك بَنو مُرّة بن عوف .

ثمّ كان القائمَ على أمرِ الحَرَم وبناء حائطه رِياحُ بنُ ظالم . ففَعلوا ذلك وهم على ماءٍ لهم يقال له بُسّ . وبلَغ فِعلهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بنَ جَناب وهو يومئذٍ سَيِّدُ بَني كَلْب ؛ فقال : والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيّ ، ولا أُخلِّي غَطَفانَ تتخِذ حَرَماً أبداً .

فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فيهم ، فذكر حالَ غَطَفان وما بلغه عنها ؛ وأنَّ أكرمَ مأْثُرة يعتقدُها هو وقَوْمه أن يمنعوهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه ، فأجابوه ، واستمدّ[4] بني القَيْن من جُشَم فأبَوْا أن يَغزُوا معه ، فسار في قومه حتى غزا غَطَفان ؛ فقاتلهم فظَفِر بهم زُهَيْر وأصاب حاجتَه فيهم ، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حَرَمهم الذي بَنوْه ، فقال لبعض

---

1 ترجمة زهير بن جناب في الشعر والشعراء : 294–297 وطبقات ابن سلام : 35–37 والمعمرين : 24 والمؤتلف : 191 وانظر جمهرة ابن حزم : 426 وما بعدها ، والتذكرة الحمدونية 2 : 36 وما بعدها و8 : 215–217 . وقد صنع ديوانه د . محمد شفيق البيطار ، (بيروت 1999) .

2 نكأُوا : جرحوا وقتلوا .

3 لا يهاج عائذه : لا يفزع من يلجأ إليه .

4 استمد : طلب المدد .

أُصحابه : اضرب رقبتَه ، فقال : إنّه بَسْلٌ[1] ، فقال زهير : وأَبيك ما بَسْلٌ عليّ بحَرام .

ثم قام إليه فضَرَب عُنقَه وعَطَّلَ ذلك الحَرَم ؛ ثم مَنَّ على غَطَفان وردَّ النساءَ واستاق الأموالَ ؛ وقال زهيرٌ في ذلك : [من الوافر]

ولم تَصْبِرِ لَنا غطفـانُ لَمّا ... تلاقَيْنـا وأُحـرِزَت النِّساءُ

فلَوْلا الفَضْلُ منّا مـا رجَعتم ... إلى عـذراءَ شِيمَتُهـا الحَياءُ

وكم غادَرتُـمُ بَطَـلاً كمِيّـاً ... لـدى الهَيْجاء كان لـه غَناءُ

فدُونكـم دُيونـاً فاطْلُبوهـا ... وأَوْتـاراً ودُونكـم اللّقاءُ

فإنّـا حَيْثُ لا نَخْفـى عليكم ... لُيوثٌ حـين يحتَضِرُ اللِّواءُ[2]

فَخَلّـى بعدَهـا غطَفانُ بُسّاً ... وما غَطَفانُ والأَرض الفَضاءُ !

فقد أُضْحى لِحَيّ بني جَنابٍ ... فضاءُ الأَرضِ والمـاءُ الرَّواءُ

ويصدُق طَعْنُنَا في كلّ يـوم ... وعِنْـد الطَّعن يُختَبَر اللّقاءُ

نَفْينا نَخْـوَةَ الأَعـداء عنّا ... بأَرْمـاحٍ أَسِنَّتُهـا ظِماءُ

ولـولا صبرُنـا يـوم التَقيْنا ... لَقِينا مِثلَ مـا لقيتْ صُداءُ

غَداةَ تَعرّضوا لِبَنـي بغِيضٍ ... وصِدْقُ الطَّعْن للنَّوكى شِفاءُ[3]

وقـد هَرَبَتْ حِذارَ الموتِ قَيْنٌ ... على آثـارِ مَنْ ذَهَب العَفاءُ

وقـد كُنّا رَجَوْنـا أَن يُمِدّوا ... فأَخْلَفَنا مـن آخوتِنا الرَّجاءُ

وأَلهـى القَيْنَ عن نَصر المـوالي ... حِلابُ النِّيبِ والمرعى الضَّراءُ[4]

[شفي من طعنة ابن زيابة]

وقال أَبو عَمرو الشَّيبانيّ : كان أَبرهة حين طَلَع نَجْداً أَتاه زُهيرُ بنُ جناب ، فأَكرمه أَبرهة وفضَّله على مَن أَتاه من العرب ، ثم أَمَّره على ابني وائل : تغلب وبكر . فَوليهم حتى أَصابتهم سنة شَدِيدة ، فاشتدّ عليهم ما يَطلبُ منهم زُهير . فأَقام بهم زُهير في الجَدْب ، ومنعهم من النُّجْعة حتى يُؤدُّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك . فلمّا رأى ذلك ابنُ زَيّابة ، أَحدُ بني تَيْم الله بنِ ثعلبة ، وكان رجُلاً فاتِكاً ، بَيّت زُهيراً[5] وكان نائماً في قُبَّة له من أَدَم ؛ فدَخَل فأَلْفى

---

1 بسل : حرام .

2 يحتضر : يحضر .

3 النوكى : الحمقى .

4 الضراء : الشجر الملتفّ .

5 بيّته : هاجمه ليلاً على غرّة .

زُهيراً نائماً ، وكان رجلاً عَظيم البَطن ، فاعتَمَد التَّيميُّ بالسَّيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين الصِّفاق ، وسَلِمت أعفاجُ بطنه[1] ، وظَنَّ التَّيميُّ أنَّه قد قتله ؛ وعلم زُهَير أنّه قد سَلِم ، فتخوَّف أن يتحرّك فيُجهز عليه ، فسَكَت . وانصرفَ ابنُ زيَّابة إلى قومه ، فقال لهم : قد ، والله ، قَتلتُ زُهَيراً وكَفَيْتُكموه ، فسَرَّهم ذلك . ولّما عَلِم زُهير أنّه لم يُقدِم عليه إلاّ عن ملأٍ من قومه بكر وتَغْلِب ، وإنّما مع زهير نَفَر من قومه بمنزلة الشُّرَط ، أمَرَ زهير قومَه فغيَّبوه بين عمودين في ثيابٍ ثم أتَوا القومَ فقالوا لهم : إنّكم قد فَعَلتم بصاحِبنا ما فعلتُم ، فأْذَنُوا لنا في دَفنه ، فَفَعلوا . فحَملوا زهيراً مَلْفوفاً في عَمودين والثّياب عليه ، حتى إذا بَعُدُوا عن القوم أخرَجوه فلفَّفُوه في ثيابه ، ثم حفروا حَفِيرةً وعَمَّقوا ، ودَفَنوا فيها العمودين ، ثم ساروا ومعهم زُهير ، فلمّا بلغ زهير أرضَ قَومِه جمع لِبكْر وتَغْلب الجُمُوع ، وبلَغهم أنَّ زهيراً حيٌّ ، فقال ابن زَيَّابة : [من الخفيف]

طَعْنةً ما طَعَنتُ في غَبَش اللّيـ ـلِ زُهَيرا وقد تَوافى الخُصومُ
حين تَجْبي لـه المواسِمَ بَكرٌ أينَ بَكْرٌ ، وأيْنَ منها الحُلومُ
خانَني السيفُ إذ طَعنتُ زُهَيْراً وهـو سيفٌ مُضلَّـل مَشْئُومُ

[غزو بكر وتغلب]

قال : وجمع زهير بني كَلْب ومَن تجمَّع له من شُذَّاذِ العرب والقبائل ، ومَن أطاعه من أهل اليمن ، فغزا بكراً ابنَيْ وائل ، وهم على ماء يقال له الحُبَيّ[2] ، وقد كانوا نَذِروا به ، فقاتَلهم قتالاً شديداً ، ثم انهزَمَت بَكر وأسْلَمَت بني تَغْلب ، فقاتلت شيئاً من قتال ثم انهزَمت ؛ وأُسِرَ كُلَيْب ومُهَلْهل ابنا ربيعة ، واستِيقَت الأموالُ ، وقَتَلت كلْبٌ في تَغْلب قتْلى كثيرة ، وأسَروا جماعة من فرسانهم ووجوههم ، وقال زُهير بنُ جناب في ذلك : [من الكامل]

تَبّـاً لِتَغلـبَ أنْ تُساقَ نِساؤُهم سَوْقَ الإمـاء إلى المواسِم عُطّلا
لحقـتْ أوائِـلُ خَيْلِنـا سَرَعانَهم حتـى أُسَرْنَ على الحُبَـيِّ مُهَلْهِلا[3]
إنَّا ، مُهَلْهِلُ ، مـا تَطِيشُ رِماحُنا أيّام تَنْقُـفُ في يَدَيْـك الحَنْظَلا
وَلَّت حُماتُك هاربين من الوَغى وبَقِيـتَ في حَلَـق الحديـد مُكَبَّلا
فلئن قُهِرْتَ لقـد أُسرتُـكَ عَنْوةً ولئِن قُتِلْتَ لقـد تكُـون مُؤَمَّلا

---

1 الصفاق : الجلد الباطن . والأعفاج : معى الإنسان .
2 الحبي : موضع بتهامة .
3 سرعان الخيل : أوائلها .

وقال أيضاً يُعيِّر بني تَغْلِب بهذه الوقعة في قصيدة أوّلها : [من الخفيف]

حــيِّ داراً تَغيَّرت بالجَنابِ أَقْفَـرَتْ مـن كواعبٍ أترابِ

يقول فيها : [من الخفيف]

أَيْنَ أَيْنَ الفِرارُ من حـذَر المَوْ ت وإذْ يَتَّقُـونَ بـالأَسلابِ
إذْ أَسَرنــا مُهَلْهِــلاً وأَخــاهُ وابنَ عَمْرٍو في القِدِّ وابنَ شهابِ
وسَبَيْنا مــن تَغْلِبٍ كلَّ بَيْضا ءَ رَقُودِ الضُّحى بَرُود الرُّضابِ
يَوْمَ يدعُــو مُهَلْهِــلٌ يالَبَكْرٍ هــا أَهَذِي حفِيظَةُ الأَحسابِ
وَيْحكم وَيْحكم أُبيح حِماكُم يا بني تَغْلبٍ أَمــا من ضِرابِ
وهُــمُ هارِبُــونَ في كلِّ فجٍّ كشَرِيدِ النَّعامِ فــوقَ الرَّوابي
واستدارَت رَحى المَنايا عليهم بِلُيــوثٍ مــن عامــرٍ وجنابِ
طَحَنتهم أَرحاؤُهـــا بطَحونٍ ذاتِ ظُفــرٍ حدِيدَةِ الأَنيابِ
فهُمُ بَيْن هــاربٍ ليس يأْلُو وَقتيــلٍ مُعفَّــرٍ في التُّــرابِ
فضَل العِــزُّ عِزَّنــا حين نَسْمُو مِثْل فَضْل السَّماءِ فَوْقَ السَّحابِ

[وفادته على ملك غسان]

أَخبرني محمد بنُ الحَسَن بن دريد ، قال : حدَّثنا عمِّي ، عن ابن الكلبيّ ، عن أَبيه ، قال : وفَدَ زهير بن جَناب وأَخُوه حارثة على بعض ملوك غسَّان ، فلمّا دَخَلا عليه حدَّثاه وأَنْشَداه ، فأعجِب بهما ونادَمَهما . فقال يوماً لهما : إنّ أُمِّي عليلةٌ شديدةُ العِلَّة ، وقد أعياني دَواؤُها ، فهل تعرِفان لها دواء ؟ فقال حارثة : كُمَيْرة حارّة ، وكانت فيه لُوثة ، فقال الملك : أيّ شيء قلت ؟ فقال له زهير : كُمَيْئَة حارّة تُطعِمُها ، فوَثَب الملك ، وقد فهم الأولى والآخِرَة ، يُريهما أنّه يأْمُر بإصلاح الكمأة لها ، وحلُم عن مَقالة حارثة . وقال حارثة لزهير : يا زُهير اقْلِبْ ما شئت ينقَلِب ، فأَرسلها مَثلاً .

[ذهاب عقله]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حَدَّثني أَحمد بن الغيث الباهليّ عن أَبيه قال : كان من حديث زهير بنِ جَناب الكلبيّ أنّه كان قد بلغ عُمراً طويلاً حتى ذهب عقلُه ، وكان يَخرُج تائهاً لا يدري أين يذهب ، فتلحَقُه المرأة من أهله والصَّبيّ ، فتردّه وتقول له : إنّي أخاف عليك الذّئب أن يأكلك ، فأَين تَذهب ؟ فذَهب يوماً من أيّامه ، ولحقَته ابنة له فردَّته ، فرجع معها وهو يَهْدِج كأنّه رأْلٌ[1] ، وراحَتْ عليهم سماءٌ في

1 الرأل : ولد النعام .

الصيف فعلتهم منها بَغْشَةٌ[1] ثم أردَفَها غَيْث ، فنظر وسمع له الشَّيخ زجلاً مُنْكراً . فقال : ما هذا يا بُنيَّة ؟ فقالت : عارضٌ هائِلٌ إن أصابَنا دونَ أهلِنا هَلَكنا . فقال : انْعَتِيه لي ، فقالت : أراه مُنْبطحاً مُسْلَنْطِحاً[2] ، قد ضاق ذَرْعاً وركب رَدْعاً[3] ، ذا هَيْدَب[4] يطير ، وهَماهِم[5] وزَفير ، ينهض نهضَ الطير الكسير ، عليه مِثْل شَبارِيق[6] السَّاج ، في ظُلْمَةِ اللَّيل الدّاج ، يتضاحك مثل شُعَل النيران ، تهرب منه الطير ، وتُوائِل[7] منه الحَشَرةُ . قال : أيْ بُنَيّة ، وائلي منه إلى عِصْرٍ[8] قبل أن لا عَيْن ولا أثر .

[تسميته بالكاهن]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني أَحمدُ بن عبيد ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، عن مشيخة من الكلبيِّين قالوا : عاش زهير بن جناب بن هُبل بن عبد الله خمسين ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب ، ولم تجتمع قُضاعة إلاّ عليه وعلى حُنٍّ بن زَيْد العُذريّ ، ولم يكن في اليَمَن أشجَع ولا أخطب ولا أوجَه عند الملوك من زهير . وكان يدعى الكاهن ، لصحَّة رأْيه .

[تطاول عمره]

قال هشام : ذَكَر حمَّاد الرَّاوية أَنَّ زهيراً عاش أربعمائة وخمسين سنة ، قال : وقال الشَّرقيُّ بنُ القُطاميّ : عاشَ زهير أربعمائة سنة ، فرأته ابنةٌ له فقالت لابن ابنها : خُذْ بِيَد جدّك ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : فُلانُ بن فُلانِ بن فُلانة ، فأنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

أَبنيَّ إنْ أَهْلِكْ فقد | أَوْرثْتكُمْ مَجْداً بَنِيَّهْ
وَتَرَكْتُكُم أَبناءَ سا | داتٍ زِنادُكم وَرِيَّهْ
ولَكُلُّ ما نالَ الفَتى | قد نِلْتُه إلاّ التَّحِيَّهْ[9]

---

1 البغشة : المطر الخفيف .
2 المسلنطح : الواقع على وجهه .
3 ركب ردعاً : سقط على عنقه .
4 الهيدب : السحاب الداني .
5 الهماهم : ترديد الزفير ، مفرده همهمة .
6 شباريق : قطع .
7 توائل : تطلب النجاة .
8 عِصر : ما يتحصن به .
9 التحية : الملك والبقاء . وتحية الملك : أبيت اللعن .

والمــوتُ خَيْرٌ لِلفتـــى فَلْيَهْلِكَـــنْ وبِـــهِ بَقِيَّـــهْ
مِـن أن يُـرى الشَّيْخَ البَجا لَ وَقَـدْ تَهـادى بالعَشِيَّهْ[1]
ولقـد شَهِدتُ النَّـــارَ للأَسْـ ـــلاف تُوقَـد في طَمِيَّـهْ[2]
ولقـد رَحَلْـتُ البـازِلَ الـ ـكَوْمـاءِ ليس لهـا وَلِيَّهْ[3]
وخَطَبـتُ خُطْبَـةَ ماجِـدٍ غَيْرِ الضَّعِيـف ولا العَيِيَّهْ
ولقــد غَـدوتُ بمُشرِف الـ ـقُطْريـن لم يَغْمِـزْ شَظِيَّهْ[4]
فأَصبـتُ مـن بَقَـرِ الجَنا ب ضُحًى ومن حُمُرِ القَفِيَّهْ[5]

قال ابن الكَلبيّ : وقال زهير في كِبَره أيضاً : [من الطويل]

أَلا يا لَقَوْمي لا أَرى النَّجمَ طالِعاً ولا الشَّمسَ إلاّ حاجِبي بِيَميني
مُعَزِّبتـي عنـد القَفـا بعَمُودهـا فأَقْصى نكِيري أَن أَقـول ذَرِيني
أَمِينٌ على أَسرارهِـنَّ وقد أُرى أَكُـونُ على الأَسرارِ غَيْرَ أَمِينِ
فلِلْمَوتُ خَيْرٌ مـن حِداجٍ مُوَطَّإٍ على الظُّعْن لا يأتـي المحَـلَّ لحِينِ

قال : وقال زُهير أيضاً في كِبره : [من الطويل]

إن تُنْسِنِي الأَيّـامُ إلاّ جلالـةً أَمُتْ حين لا تأْسى علـيَّ العوائِدُ
فيَأْذى بِيَ الأَدنى ويَشْمَت بي العِدا ويأْمَن كَيْدي الكاشِحُونَ الأَباعِدُ

قال : وقال زهير أيضاً : [من الوافر]

لقـد عُمِّرتُ حتى لا أُبـالي أَحَتْفي في صَباحي أَم مَسائي
وحُـقَّ لِمَن أَتَـتْ مائتان عاماً عليـه أَنْ يمَـلَّ مـن الثَّواء
شَهِدتُ المُوقدين على خَزازى وبالسُّلاَّن جَمْعـاً ذا زُهاءِ[6]
ونادمتُ المُلوكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو وبعدُهـمُ بنـي مـاءِ السماء

[شرب الخمر حتى مات]

قال ابنُ الكلبيّ : وكان زهير إذا قال : أَلا إنّ الحَيّ ظاعن ، ظَعَنت قُضاعة ؛ وإذا قال : أَلا إنّ

---

1 الشيخ البجال : الذي يبجله قومه . ويروى : الشيخ الكبير .
2 طمية : جبل في طريق مكة (ياقوت) .
3 وليّه : كساء أو نحوه مما يلي ظهر البعير .
4 مشرف القطرين : مرتفع الجانبين . والشظية : عظم الساق .
5 القفية : الناحية .
6 خزازى : جبل . والسلان : الأودية . وذو زهاء : ذو عدد كبير .

الحيَّ مُقيم ، نَزَلوا وأَقاموا . فلَمّا أن أَسنَّ نصبَ ابنَ أُخيه عبد الله بن عُلَيم للرِّياسة في كَلْب ، وطَمِع أن يكون كعَمِّه وتجتمع قُضاعةُ كلّها عليه ، فقال زهير يوماً : أَلا إنَّ الحيَّ ظاعن ، فقال عبد الله : ألا إنّ الحي مُقِيم ، فقال زهير : أَلا إنّ الحيَّ مُقيم ، فقال عبد الله : أَلا إنّ الحيَّ ظاعن ، فقال زهير : مَنْ هذا المخالف عَليَّ منذ اليوم ؟ فقالوا : ابن أخيك عبدُ الله بن عُلَيم ، فقال : أعدى الناسِ للمرء ابنُ أخيه إلاّ أنـّه لا يدعُ قاتِلَ عمِّه أو يقتُلَه . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وكَيْفَ بِمَـنْ لا أَستَطِيعُ فِراقَـه ... ومَنْ هـو إن لم تَجْمَعِ الدَّارُ آلِفُ
أَميرُ شِقـاقٍ إنْ أُقِـم لا يُقِم مَعي ... ويَرْحَلْ ، وإن أُرحَل يُقِم ويخالِفُ

ثم شرِب الخمر صِرْفاً حتّى مات .

قال : وممّن شَرِب الخمرَ صرْفاً حتى مات عمرو بنُ كُلثوم التّغلبيّ ، وأَبو بَراء عامِرُ بن مالِك مُلاعِبُ الأسِنّة .

قال هشام : عاشَ هُبَل بنُ عبد الله جَدُّ زهير بن جَناب ستّمائة سنة وسبعين ، وهو القائل : [من الرجز]

يا رُبَّ يَومٍ قد غَنِي فيه هُبَلْ ... لـه نَـوالٌ ودُرُورٌ وجَذَلْ[1]
كأَنّه في العِزِّ عَوْفٌ أَو حَجَلْ

قال : عَوْف وحَجَل : قَبيلتان من كلب .

[أنذرته أخته فرحل]

وقال أَبو عمرو الشَّيبانيّ : كان الجُلاحُ بن عَوف السَّحْميُّ قد وطَّأ لزهير بن جَناب وأنزله معه ، فلم يزل في جَناحِه حتى كَثُر مالُه وولدُه ، وكانت أُختُ زهير مُتزوِّجة في بني القَيْن بن جَسْر ، فجاءَ رسولُها إلى زهير ومعه بُرْد فيه صِرارُ رَمْل وشَوكةُ قَتاد ، فقال زهير لأَصحابه : أتتكمْ شَوكةٌ شديدة ، وعددٌ كثير فاحتَمِلوا ، فقال له الجُلاحُ : أَنحتمِلُ لقول امرأة ! والله لا نفعل ، فقال زهير : [من الكامل]

أَمَّا الجُـلاحُ فإنّنـي فارقْتُـه ... لا عن قِلًى ولقد تَشِطُّ بنا النَّوى
فَلئن ظَعَنْـتَ لأُصبِحَـنَّ مُخيِّماً ... ولَئنْ أَقمتَ لأَظعَنَنَّ عـلى هَوى

قال : فأَقام الجُلاح ، وظعن زُهير ، وصبَّحهم الجيش فقتل عامَّة قوم الجُلاح وذهبوا بماله .

قال : واسم الجُلاح عامرُ بنُ عوف بن بكر بن عَوْف بن عامر بن عوف بن عُذْرة .

ومضى زُهَير لوَجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بني جَناب ، وبَلَغ الجيشَ خبرُه فقَصَدوه ،

---

1 الدرور : الكثرة .

فحاربَهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيساً منهم ، فانْصَرَفوا عنه خائبين ، فقال زهير : [من الطويل]

أَمِنِ آلِ سَلْمى ذا الخَيالُ المؤرِّقُ ... وقد يَمِقُ الطيفَ الغَرِيبُ المُشَوَّقُ[1]

وأنَّى اهتَدَت سَلمى لِوَجهِ محلِّنا ... وما دونها من مَهْمَه الأَرض يَخفِقُ

فلَم تَرَ إلاّ هاجعاً عند حُرَّةٍ ... على ظهرها كُورٌ عَتِيقٌ ونُمْرُقُ

ولَمّا رَأَتْني والطَّلِيحَ تَبَسَّمَتْ ... كما انهلَّ أَعْلى عارضٍ يتألَّقُ

فحُيِّيتِ عَنَّا زَوِّدينا تحيَّةً ... لعلَّ بها العاني من الكَبْل يُطْلَقُ

فردَّت سَلاماً ثم وَلت بحاجَةٍ ... ونحنُ لعَمْري يا ابْنةَ الخَيْرِ أَشْوَقُ

فيا طِيبَ ما رَيّا ويا حُسْنَ منْظَرٍ ... لَهَوْتُ به لو أَنَّ رُؤياكِ تَصْدُقُ

ويومَ أُثالى قد عرفتُ رُسومَها ... فعُجْنا إليها والدُّموعُ تَرَقْرَقُ

وكادت تُبِينُ القَولَ لَمّا سأَلْتُها ... وتُخْبِرُني لو كانت الدارُ تَنْطِقُ

فيا دارَ سَلْمى هِجْتِ للعين عَبْرة ... فماءُ الهوى يرفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خِلافَ الجُلاح عليه : [من الطويل]

أَيا قَوْمَنا إن تَقْبَلوا الحَقَّ فانتهوا ... وإلاّ فأَنيابٌ من الحرب تَحْرُقُ[2]

فجاؤوا إلى رَجْراجَةٍ مُكْفَهِرَّة ... يكاد المديرُ نحوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ[3]

سُيوفٌ وأَرماحٌ بأَيدي أعزَّةٍ ... ومَوْضُونَةٌ مِمّا أَفاد مُحَرِّقُ[4]

فما بَرِحُوا حتى تَرَكْنا رئيسَهم ... وقد مار فيه المَضْرَحِيُّ المُذَلَّقُ[5]

وكائِنْ تَرى من ماجِدٍ وابْنِ ماجدٍ ... له طَعْنَةٌ نجلاءُ للوَجْهِ يَشْهَقُ

وقال زهير في ذلك أيضاً : [من البسيط]

سائِل أُمَيْمَةَ عنّي هل وَفَيْتُ لها ... أَم هل مَنَعْتُ من المَخْزاة جيرانا

لا يَمْنَع الضَّيفَ إلاّ ماجِدٌ بطَلٌ ... إنَّ الكرِيمَ كريمٌ أَينَما كانا

لَمَّا أَبى جِيرَتي إلاّ مُصَمِّمَةً ... تكْسُو الوُجوهَ من المَخْزاة أَلوانا

---

1 يمق : يحب .

2 تحرق : تحتك فتخرج صوتاً .

3 الرجراجة : الكتيبة تموج من كثرتها .

4 الموضونة : درع رقيقة النسج .

5 المضرحيّ المذلق : النسر المحدد الطرف ، كناية عن مصرعه .

مِلْنا عليهم بوِرْدٍ لا كِفاءَ لــه ... يَفْلِقْن بالبِيضِ تحت النَّقْع أَبْدانا
إذا ارجَحَنُّوا علوْنــا هامَهم قُدُماً ... كأنَّمــا نَختَــلي بالهــامِ خُطْبانا[1]
كَم من كريم هَوى للوَجْه مُنْعفِراً ... قــد اكْتَسى ثوبُـه في النَّقْع ألوانا
ومِنْ عَمِيدٍ تَناهــى بعــد عَثْرَته ... تَبــدُو ندامتُــه للقَــوْم خَزيانا

[أولاده شعراء]

وأمّا الشعراء من ولد زهير : فمنهم مَصادُ بن أسعد بن جُنادة بن صَهْبان بن امرىء القيس بن زهير بن جناب ، وهو القائلُ : [من الطويل]

تَمَنَّيْتَ أن تَلْقى لِقاحَ ابنِ مُحْرِزٍ ... وقبلَــك شامتهـــا العُيونُ النّواظرُ
مُمَنَّحــــةً في الأقربــين مُناخَــةً ... وللضَّيف فيهـــا والصَّديق مَعاقِرُ
فهَلاَّ بَنــي عَيْناء عاينتَ جَمْعَهمْ ... بحالة إذ سُدَّت عليك المَصادِرُ[2]

ومنهــم حُرَيْـثُ بنُ عامرِ بنِ الحارث بن امرىء القيس بن زهير بن جناب ، وهو القائل : [من الوافر]

أرى قَوْمــي بني قَطَنٍ أرادُوا ... بــأَلاَّ يتركوا بِيَــديَّ مــالا
فإن لم أَجزِهــم غَيْظاً بغَيْظٍ ... وأُورِدْهُم على عَجَلٍ شِلالا[3]
فَلَيْــتَ التَّغْلِبيّــة لم تَلِــدْني ... ولا أَغْنَتْ بمــا ولدت قِبالا

ومنهم الحَزَنْبَل بنُ سلامة بنِ زُهير بن أسْعد بن صَهْبان بنِ امرىء القَيْس بن زهير بن جناب ، وهو القائل : [من الكامل]

عَبَثَت بمُنْخَــرِق القَميص كأنَّه ... وَضَحُ الهِلال على الخُمُور مُعذلِ
يــا سَلْمَ وَيْحكِ والخَليل مُعاتبٌ ... أزْمَعْتِ أن تَصلي سواي وتَبْخَلي
لمَّــا رأيــتِ بعارضَــيّ ولِمَّتــي ... غِيَرَ المَشيب عــلى الشباب المُبْدَلِ
صَرَّمْتِ حَبْل فتًى يَهشُّ إلى النّدى ... لـــو تَطْلُبــين نــداه لم يَتَعَلَّلِ
إنّا لنَصبر عنــد مُعتَرَك الوَغَــى ... ونَبُــذّ مكرُمَــة الكريــمِ المُفْضِلِ

ومنهم غُرَيرُ بن أبي جابر بن زُهير بن جناب ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

---

1 ارجحنوا : مالوا ووقفوا . نختلي : نقطع . الخطبان : نبت كالهليون والأخضر من ورق السمر .

2 حالة : موضع .

3 شلالاً : متفرقين .

أَبلغ أَبـا عَمْـرٍو وأنْـ ـتَ عليَّ ذُو النِّعَم الجَزِيلَهْ
أنَّا مَنَعْنـا أنْ تَـذِ لَّ بلادُكُمُ وبَنُو جَدِيلَهْ
وطرقْتُهـم لَيـلاً أُخَـ ـبِّرهم بهم ومعي وَصِيلَهْ[1]
فصدَقْتُهم خَبَري فَطـا رُوا في بِلادِهم الطَّوِيلَهْ

ومنهم عرفَجَةُ بن جُنادة بن أُبيِّ بن النُّعمان بن زُهَير بن جناب ، وهو القائل : [من الطويل]

عفا أبرقُ العَزَّاف من أُمِّ جابِرٍ فمُنْعَرَجُ الوادي عفـا فَحَفِيرُ
فَرَوضُ ثُوَيـر عن يمين رَوِيَّةٍ كأن لَـمْ تَرَبَّعْه أَوانِسُ حُورُ
رِقاقُ الثَّنايا والوُجوه ، كأنّـها ظِباءُ الفلا في لَحْظِهِـن فتُورُ

ومنهم المُسيَّب بن رِفْل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرىء القيس بن أبي جابر بن زُهير بن جناب ، وهو القائل : [من الطويل]

قَتَلْنا يَزِيدَ بن المُهَلَّب بعدمـا تَمَنَّيتُمُ أن يَغلِبَ الحَقَّ باطِلُهْ
ومـا كان منكم في العِراقِ مُنافِقٌ عن الدِّين إلاّ من قُضاعة قاتِلُهْ
تَجلَّلـه قَحْلٌ بـأَبْيضَ صارِمٍ حُسامٍ جَلا عن شفرَتَيْه صَياقِلُهْ

يعني بالقَحْل ابنَ عَيّاش بن شَمِر بن أبي شَراحِيل بن غُرَيْر بن أبي جابر بن زُهَير بن جناب ، وهو الذي قتل يزيد بن المهلّب .

ومن بني زُهَير شُعراء كثير ، ذَكرتُ منهم الفُحول دونَ غَيرهم .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

تَدَّعي الشوقَ إن نَـأَتْ وتَجنَّـى إذا دَنَـتْ
سرَّني لـو صَبَرتُ عَنـ ـها فتُجزى بمـا جَنَتْ
إنَّ سَلْمى لَـو اتَّقَـتْ رَبَّهـا فيَّ أَنْجَـزَتْ
زَرَعت في الحَشا الهَوى وسقَتْه حتـى نَبَـتْ

الشِّعر لمُسْلِم بن الوليد[2] ، والغناء لعَريب خفيف ثقيل . وقيل : إنّه لأبي العَنْبَس بن حمدون . وذكر الهشاميّ أنّ لإسحاق في : إنّ سَلْمى . . . وما بعده لَحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر .

---

1 وصيلة : رفقة أو سيف أو الناقة التي وصلت عشرة أبطن .

2 ديوان صريع الغواني : 308 .

[398] ـ نسب مسلم بن الوليد وأُخباره[1]

[نسبه]

هو مُسلِم بن الوليد ، أَبوه الوليد مَولى الأَنصار ثم مَولى أَبي أُمامة أَسعَد بن زُرارة الخَزرَجيّ . يلقَّب صريعَ الغواني ، شاعر متقدّم من شعراء الدولة العبّاسيّة ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو ، فيما زعموا ، أوّل مَن قال الشِّعر المعروف بالبديع ، وهو لَقّب هذا الجنسَ البديعَ واللّطيفَ . وتبعَه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمّام الطائيّ فإنّه جعل شِعره كُلّه مذهباً واحداً فيه . ومُسْلِم كان مُتفنّناً متصرّفاً في شعره .

أَخبرني عليُّ بن سليمان الأَخفش قال : قال أَبو العبّاس محمد بن يزيد : كان مُسلِم شاعراً حَسَن النَّمط ، جيِّد القول في الشراب ، وكثيرٌ من الرُّواة يَقْرِنه بأَبي نُواس في هذا المعنى . وهو أَوّل مَن عقد هذه المعاني الظّريفة واستخرجها .

حدَّثنا أَحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : سَمِعتُ أَبي يقول : أوّلُ مَن أفسد الشِّعر مُسلِمُ بن الوليد ، جاءَ بهذا الذي سمَّاه النّاس البديع ، ثم جاء الطائيّ بعده فتفنَّن فيه .

أَخبرني إبراهيمُ بن أَيُّوب عن عبد الله بن مُسلِم الدِّينوَريّ قال : كان مُسْلِم بنُ الوليد وأخوه سليمان منقطعَين إلى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفَضْل بن سَهْلٍ بعد ذلك . وقلَّد الفضلُ مُسْلِماً المظالمَ بجُرْجان فمات بها .

[يتغزّل بجارية لا يهواها]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان السببُ في قَول مُسْلِم : [من مجزوء الخفيف]

تَدَّعي الشوقَ إن نأَتْ وَتَجَنَّى إذا دَنَتْ

أَنَّه عَلِق جارية ذات ذِكر وشرف ، وكان منزِلُها في مَهَبِّ الشَّمال من منزله ، وفي ذلك يقول[2] : [من الوافر]

---

1 ترجمة مسلم بن الوليد (صريع الغواني) في الشعر والشعراء : 712–720 وطبقات ابن المعتز 234–240 ومعاهد التنصيص 3 : 55 وتاريخ بغداد 13 : 96 ومعجم المرزباني : 277 والموشح : 444 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ، وانظر بروكلمان 2 : 32–33 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه د . سامي الدهان (دار المعارف بمصر) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ديوانه : 274 .

صوت

أُحِبُّ الرِّيحَ ما هَبَّتْ شَمالا   وأَحسُدُها إذا هَبَّتْ جَنُوبا
أَهابُكِ أَن أَبوحَ بذاتِ نَفْسي   وأَفرَقُ إنْ سَأَلْتُكِ أَن أَخِيبا
وأَهجُر صاحِبِي حُبَّ التَّجَنِّي   عليه إذا تَجَنَّيتِ الذُّنوبا
كأَنِّي حين أُغضي عن سِواكُمْ   أَخافُ لكم على عَيْني رَقِيبا

غنَّى عبد الله بن العبّاس الربيعيّ في هذه الأبيات هزجاً بالبِنصر عن الهشامي .

قال : وكانت له جارية يرسِلها إليها ويبثُّها سِرّه ، وتعودُ إليه بأخبارها ورسائِلها ؛ فطال ذلك بينهما ؛ حتى أحبَّتها الجاريةُ التي عَلِقها مُسْلِم ومالت إليها ، وكلتاهما في نهاية الحُسْن والكمال .

وكان مُسلم يُحِبُّ جاريتَه هذه محبَّة شديدة ، ولم يكن يَهوى تلك ، إنّما كان يريد الغزل والُمجون والُمراسلة ، وأن يشيع له حديثٌ بهواها ، وكان يرى ذلك من الَملاحة والظَّرف والأدب ، فلمّا رأى مودَّة تلك لجاريته هجر جاريته مُظْهِراً لذلك ، وقطْعها عن الذّهاب إلى تلك ، وذلك قولُه : [من الوافر]

وأَهْجُر صاحِبِي حُبَّ التَّجَنِّي   عليه إذا تجنَّيْت الذُّنوبا

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وذلك قوله : [من مجزوء الخفيف]

تَدَّعي الشوقَ إن نَأَتْ   وتجنَّى إذا دَنَتْ
واعدتْنا وأَخلفتْ   ثم ساءتْ فأَحسنتْ[1]
سرَّني لو صبرتُ عنـ   ـها فتُجْزى بما جنتْ
إنَّ سَلْمى لو اتَّقتْ   رَبَّها فيّ أُنجزَتْ
زرعتِ في الحشا الهوى   وسقتهُ حتى نَبَتْ

[بينه وبين أبي نواس]

أَخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد قالا : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أَبيه قال : لقِي مُسلِم بنُ الوليد أبا نُواس فقال له : ما أعرف لك بيتاً إلاّ فيه سَقَطٌ ، قال : فما تَحْفَظ من ذلك ؟ قال : قُلْ أنت ما شِئتَ حتى أُريك سَقَطَه فيه ، فأنشَدَه[2] : [من الكامل]

ذكر الصَّبوحَ سُحَيرةً فارتاحا   وأَمَلَّه دِيكُ الصَّباح صِياحا

---

1 الديوان : فأساءت وأحسنت .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 1 وفيه «بسحرة» .

فقال له مُسلم : فلِمَ أُملّه وهو الذي أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشِدْني شيئاً من شِعْرك ليس فيه خَلل ، فأنشده مُسلم : [من الكامل]

عاصى الشَّبابَ فراح غير مُفنَّد وأقـام بين عزيمـة وتَجَلُّدِ[1]

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد . فتشاغَبا وتَسابَّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى .

[شعره يعجب المأمون]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : قال لي محمد بن عبد الله بن مُسْلِم : حدَّثني أبي قال : اجتمع أُصحابُ المأمون عنده يَوماً ، فأفاضوا في ذِكر الشِّعر والشّعراء ، فقال له بعضُهم : أين أنت يا أميرَ المؤمنين عن مُسلِم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيثُ يقول وقد رثى رجلاً[2] : [من الطويل]

أرادوا ليُخفـوا قبرَه عـن عَدُوِّه فَطِيبُ تُـرابِ القبر دلَّ عَلى القَبْرِ

وحيث مدح رجلاً بالشّجاعة فقال[3] : [من البسيط]

يَجودُ بالنَّفس إذْ ضَنَّ الجَوادُ بها والجُودُ بالنَّفْس أَقْصى غايةِ الجُودِ

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاقِ فقال[4] : [من الكامل]

قَبُحَتْ مناظِـرُه فحـين خَبرْتُـه حَسُنَتْ مناظـرُه لِقُبْـح المَخْبَرِ

وتَغازَل فقال : [من الرجز]

هَـوًى يَجِـدُّ وحَبِيبٌ يَلعَـبُ أنْـتَ لَـقًى بينهمـا مُعَـذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعَرُ من خُضْتُم اليوم في ذكره .

[يزيد بن مزيد لا يعرف مادحه]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ والحسن بن عليّ الخفَّاف قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني قَعْنَب بن المُحْرِز ، وابن النَّطَّاح ، عن القَحْذَميّ قال : يزيدُ بن مزيد : أرسلَ إليَّ الرَّشيدُ يوماً في وقت لا يُرسَل فيه إلى مِثلي فأتيتُه لابساً سلاحي ، مستعدّاً لأمر إن أرادَه ، فلمّا رآني ضَحِك إليّ ثم قال : يا يَزيد خبِّرني مَن الذي يقولُ فيك[5] : [من البسيط]

---

1 غير مفند : غير ملوم .

2 ديوانه : 164 .

3 ديوانه : 320 . وفيه : تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها .

4 ديوانه : 321 .

5 ديوانه : 12 ، 13 ، 22 .

تَراهُ في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعفَة ... لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يُدْعى على عَجلِ
صافِي العِيان طَمُوحُ العَيْنِ هِمَّتُه ... فَـكُّ العُناةِ وأَسْرُ الفاتِكِ الخَطِلِ
للهِ مِـــن هاشِمٍ في أَرضِهِ جَبَلٌ ... وأَنــتَ وابنُكَ رُكْنا ذلكَ الجَبَلِ

فقلت : لا أعرفُه يا أميرَ المؤمنين . قال : سَوْأَةٌ لك من سيِّدِ قَومٍ يُمدَح بمِثْلِ هذا الشِّعرِ ولا تعرف قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائلَه ، وهو مُسْلِمُ بنُ الوليد . فانصرفتُ فدعوتُ به ووصلتُه ووليتُه .

أَخبرني محمدُ بن عمران الصَّيرفيّ ، والحسنُ بن عليّ الخفَّاف قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني أبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن سليمان الحنفيّ ذو الهِدْمَيْن قال : حدَّثني أبي قال : دخل يزيدُ بن مَزْيد على الرّشيد فقال له : يا يَزيد ، مَن الذي يقولُ فيك[1] : [من البسيط]

لا يَعبَقُ الطِّيبُ خدَّيْــه ومفرِقَــه ... ولا يُمسَّح عَيْنَيــه مــن الكُحُــلِ
قــد عَوَّدَ الطَّير عاداتٍ وَثِقْن بها ... فهُــنَّ يَتْبَعْنَـــه في كُلّ مُرْتَحَــلِ

فقال : لا أعرف قائِله يا أمير المؤمنين . فقال له هارون : أَيُقال فيك مِثلُ هذا الشِّعر ولا تَعرِف قائله ! فخرج من عنده خجلاً ، فلمّا صار إلى منزله دعا حاجِبَه فقال له : مَنْ بالبابِ مِنَ الشُّعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد ، فقال : وكيف حَجبتَه عنّي فلم تُعْلِمْني بمكانه ؟ قال : أخبرتُه أنَّكَ مُضيقٌ ، وأنّه ليس في يَدَيك شيء تعطيه إيّاه ، وسألته الإمساكَ والمُقامَ أيّاماً إلى أن تتَّسع . قال : فأنْكَر ذلك عليه وقال : أدخِلْه إليَّ . فأدخله إليـه ، فأنشدَه قولَه[2] : [من البسيط]

أُجْرِرتُ حبلَ خَليعٍ في الصِّبا غَـزِلِ ... وشَمَّرتْ هِمَـمُ العُـذّالِ في عَذَلي
رَدَّ البُكاءَ على العَيْنِ الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفَـرَّقٌ بـين تَوْديـعٍ ومُرْتَحَلِ[3]
أَما كَفى البَيْنَ أَن أُرمــى بأَسْهُمِه ... حتى رَمــاني بلَحْظِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ
مما جَنَت لي ، وإن كانت مُنًى صَدَقَتْ ، ... صبابَــةٌ خُلَسُ التَّسليــمِ بــالمُقَلِ[4]

فقال له : قد أَمرْنا لك بخمسين أَلفَ دِرْهم ، فاقبِضْها واعذِر . فخرج الحاجبُ فقال لمُسْلم : قد أمرني أن أرهن ضَيْعة من ضِياعه على مائة ألف درهم ، خمسون ألفاً لك

1 ديوانه : 12 ، 13 .
2 ديوانه : 1–3 وفيه : أُجررت . . . . بالبناء للمجهول .
3 الديوان : هاج البكاء . . .توديع ومرتحل .
4 الديوان : مما جنى .

وخمسون ألفاً لنفقتِه . وأعطاه إيّاها ، وكتب صاحِبُ الخبَر بذلك إلى الرشيد ، فأمر لِيَزيد بمائتي ألفِ دِرهم وقال : اقضِ الخمسين الألف التي أخذها الشاعر وزِدْه مثلَها . وخُذ مائةَ ألْفٍ لنفقتِك . فافتَكَّ ضَيْعتَه ، وأعطى مُسلماً خمسين ألفاً أُخرى .

[فرج بعد ضيق]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسِم بن مهرويه قال : حدَّثني عليُّ بن عُبيد الكُوفيّ ، وعليُّ بنُ الحسن كِلاهما قال : أخبرني عليّ بنُ عمرو قال[1] : حدَّثني مُسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني قال : كنتُ يوماً جالساً في دكان خيّاط بإزاء منزلي ، إذ رأيتُ طارقاً ببابي ، فقُمتُ إليه فإذا هو صديق لي من أهلِ الكوفة قد قَدِمَ من قُمّ ، فسُرِرْتُ به ، وكأنَّ إنساناً لطم وجهي ، لأنـّه لم يكُن عندي درهم واحد أُنفِقه عليه . فقُمتُ فسلّمت عليه ، وأدخلتُه منزلي ، وأخذتُ خُفَّيْن كانا لي أتجمَّل بهما ، فدفعتُهُما إلى جاريتي ، وكتبتُ معهما رُقعة إلى بعض معارفي في السُّوق ، أسألُه أن يبيع الخُفَّين ويشتريَ لي لحماً وخبزاً بشيءٍ سمَّيتُه . فمَضَت الجاريةُ وعادت إليَّ وقد اشترى لها ما قد حدَّدْتُه لـه ، وقد باع الخُفَّين بتسعَةِ دراهم ، فكأنّها إنّما جاءت بخُفَّين جديدَين . فقعدْتُ أنا وضيفي نطبُخ ، وسألتُ جاراً لي أنه يسقيَنا قارورة نبيذ ، فوجَّه بها إليَّ ، وأمرتُ الجاريةَ بأن تُغلِق باب الدّار مخافةَ طارق يجيء فيشرَكُنا فيما نحن فيه ، ليبقى لي وله ما نأكُله إلى أن ينصرِف . فإنّا لجالسان نطبُخ حتى طرق البابَ طارقٌ ، فقلت لجاريَتي : انْظُري مَن هذا . فنظرتْ من شقِّ الباب فإذا رجُلٌ عليه سوادٌ وشاشيَّة ومنطقة ومعه شاكريّ[2] ، فخبَّرَتْني بمَوضعه فأنكرْتُ أمرَه ؛ ثم رجَعت إلى نفسي فقلت : لستُ بصاحب دعارة ، ولا للسُّلطان علَيَّ سبيل . ففتحْتُ الباب وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابّته وقال : أأنت مُسْلم بنُ الوليد ؟ قلت : نعم . فقال : كيف لي بمعرفتِكَ ؟ قلت : الذي دلَّك على منزلي يصحّحُ لك معرفتي . فقال لغُلامه : امض إلى الخيَّاط فسَلْه عنه . فمَضى فسألَه عنّي فقال : نعم هو مُسلِم بن الوليد . فأخرج إليَّ كتاباً من خُفِّه ، وقال : هذا كتاب الأمير يزيدَ بن مَزْيد إليّ ، يأمُرني ألاّ أفُضَّه إلاّ عند لقائِك ، فإذا فيه : إذا لَقِيتَ مُسلِمَ بن الوليد فادفَعْ إليـه هـذه العشرةَ آلاف درهـم ، التي أنفذتُها تكون له في منزله ، وادفع ثلاثة آلاف دِرهم نفقة ليتحمّل بها إلينا . فأخذتُ الثلاثة والعشْرة ودخلتُ إلى منزلي والرجُـل معي ، فأكلنا ذلك الطعام ، وازددتُ فيه وفي الشَّراب ، واشتريْتُ فاكِهة ، واتّسعْتُ ووهبتُ لضَيفي من الدّراهم ما يُهدي به هديَّة لعيالِه . وأخذتُ في الجهاز ، ثم ما

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة .

2 الشاشية : العمامة . والشاكري : الأجير والمستخدم .

زِلتُ معه حتى صِرنا إلى الرَّقَّة إلى باب يزيد . فدخـلَ الرّجلُ وإذا هو أحَدُ حُجَّابه ، فوجَدَه في الحمّام ، فخرج إليَّ فجلس معي قليـلاً ، ثم خبَّر الحاجبُ بأنّه قد خرَج من الحمّـام ، فأدخلَني إليـه ، وإذا هو على كرسيّ جالس ، وعلى رأسِه وصيفة بيدِها غِلاف مِـرآة ، وبيَدِه هو مـرآة ، ومُشْط يُسرّح لحيتـه ، فقال لي : يا مُسلِم ، ما الذي بطَّأ بك عنّـا ؟ فقلـت : أيُّها الأمير ، قِلّـة ذاتِ اليـد . قال : فأنشِدني . فأنشدتُه قصيدتي التي مدحتُه فيها : [من البسيط]

أجْرَرْتُ حَبلَ خَلِيع في الصِّبا غزِلِ وشَمَّرتْ هِمَمُ العُـذّالِ في عَذَلِي

فلمّا صِرتُ إلى قولي :

لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْــه ومفرِقَه ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْه مــن الكُحُلِ

وَضَع المِرآة في غِلافِها ، وقال للجارية : انْصرفي ، فقد حرَّم علينا مُسلم الطِّيبَ . فلمّا فرغْتُ من القصيدة قال لي : يا مُسلِم ، أتَدْري ما الذي حداني إلى أن وجَّهتُ إليك ؟ فقلتُ : لا واللهِ ما أدري . قال : كنتُ عند الرشيد منذُ ليالٍ أُغمِّزُ رِجْلَيه ، إذ قال لي : يا يزيد ، من القائل فيك[1] : [من البسيط]

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيْفاً مـن بَني مَطَرٍ يَمضي فَيَخْتَرِمُ الأَجسادَ والهاما[2]

كالدَّهْــرِ لا يَنْثَني عمَّـا يَهُمّ بـه قـد أَوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما

فقلت : لا والله ما أدري . فقال لي الرشيد : يا سُبحان الله ! أنتَ مُقيم على أعرابيّتك ، يقال فيك مثلُ هذا الشِّعر ولا تدري مَن قائلُه ! فسألت عن قائله ، فأُخبِرتُ أنَّك أنت هو ، فقُم حتى أُدخِلكَ على أمير المؤمنين .

ثم قام فدَخَل على الرشيد ، فما عَلِمتُ حتى خرَج عليّ الإذن فأُذِن لي ، فدخَلْتُ على الرشيد ، فأنشدتُه ما لي فيه من الشِّعر ، فأمر لي بمائتَي ألف درهم ، فلمّا انصرفْتُ إلى يزيد أمر لي بمائة وتِسعين ألفاً ، وقال : لا يجوز لي أن أعطِيَك مِثلَ ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأقطَعَني إقطاعات تبلُغ غَلّتُها مائتي ألف درهم .

[هجاؤه يزيد]

قال مُسلِم : ثم أفْضَت بي الأُمـورُ بعـد ذلك إلى أن أَغْضَبَني فهَجَوتُه ، فشَكاني إلى الرشيد ، فدَعاني وقال : أتَبيعُني عِرضَ يزيد ؟ فقلت : نَعم يا أمير المؤمنين . فقال لي : بِكَم ؟ فقلتُ : برغِيف خبز . فغَضِب حتى خِفتُه على نَفسي ، وقال : قد كُنتُ على أن أشترِيَه منك

---

1 ديوانه : 63 .

2 الديوان : يمضي فيخترق . . .

بمالٍ جَسيم ، ولستُ أَفعَل ولا كرامةَ ، فقد عَلِمتُ إحسانَه إليك ، وأنا نَفيٌّ من أَبي ، ووالله ثمّ والله لئن بلغني أنّكَ هجوْتَه لأنزِعنّ لسانَك من بين فكّيك . فأمسكتُ عنه بعد ذلك ، وما ذكرتُه بخير ولا شرّ .

أُخبرني الحَسَنُ بن علي قال : حدَّثَنا محمد بن القاسِم بن مَهْرويه قال : حدَّثني محمد بنُ عبد الله اليعقوبيّ قال : حدَّثني البَيْدق الراوية ، وكان من أهل نصيبِين ، قال : دخلتُ دارَ يزيدَ بن مَزْيد يوماً وفيها الخَلْق ، وإذا فتًى شابٌّ جالس في أفناء النّاس ، ولم يكُنْ يزيد عرفه بَعْدُ ، وإذا هو مُسْلم بنُ الوليد . فقال لي : ما في نفسي أن أقولَ شعراً أبداً ، فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : لأنّي قد مدحتُ هذا الرجل بشِعر ما مُدِح بمثْلِه قطّ ، ولست أجِد مَن يُوَصِّله ، فقلتُ له : أنشِدني بعضَه ، فأنشدني منه[1] : [من البسيط]

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذِي رَهَجٍ كأنَّه أَجَلٌ يَسْعى إلى أَمَلِ

يَقري السُّيوفَ نُفوسَ النّاكِثِين به ويَجْعَل الرُّوسَ تِيجانَ القَنا الذُّبُلِ[2]

لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومَفْرِقَه ولا يُمَسّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ

إذا انتَضى سيفَه كانت مسالِكُه مسالكَ المَوْت في الأَجسام والقُلَلِ[3]

وإن خلَتْ بحَدِيث النَّفْس فِكْرَتُه عاش الرّجاءُ ومات الخَوْفُ من وَجَلِ

كاللّيث إن هِجْتَه فالمَوْتُ راحتُه لا يَسْتَريحُ إلى الأَيّامِ والدُّوَلِ

لله من هاشم في أرضِهِ جَبَلٌ وأنتَ وابنُك رُكنا ذلك الجَبَلِ

صدَّقْتَ ظَنّي وصدَّقْتَ الظُّنونَ به وَحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عن جملي

قال : فأخذتُ منها بيتَين ، ثم قلت له : أنشِدني أيضاً ما لك فيه ، فأنشدني قصيدة أُخرى ابتداؤُها[4] : [من البسيط]

طيفَ الخيال حَمِدْنا منكَ إلماما داوَيْتَ سُقْما وقد هَيّجْتَ أَسقاما

يقول فيها :

كالدَّهْرِ لا يَنْثني عمَّا يَهُمّ به قد أَوسَعَ النّاس إنعاماً وإرغاما

قال : فأنشدْتُ هذه الأبياتَ يزيدَ بنَ مزيد ، فأمر له بخمسمائة دِرهم . ثم ذكرتُه بالرِّقّة

1 ديوانه : 9 ، 11 ، 13 ، 14 ، 22 ، 23 .
2 الديوان : يكسو السيوف دماء . . . ويجعل الهام . . . .
3 الديوان : في الأبدان والقلل .
4 الديوان : 61 .

فقلت له : هذا الشاعر الذي قد مَدَحك فأحسَن ، تَقْتَصر به على خمسمائة دِرهم ! فبَعَث إليه بخمسمائة درهم أُخرى . قال : فقال لي مُسلِم : جاءَتني وقد رَهَنْتُ طَيْلَساني على رؤوس الإخوان ، فوقعت منّي أحسن مَوْقِع .

[يزيد يغسل الطيب تصديقاً لقول مسلم]

أُخبرني محمد بن عِمران قال : حدَّثنا العَنَزيّ عن محمد بن بَدْر العِجليّ عن إبراهيم بن سالم عن أبي فِرعونَ مولى يزيد بن مَزْيد قال : رَكِب يزيدُ يوماً إلى الرشيد فتغلَّف بغالية ، ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطسْتٍ فغسَل الغالية ، وقال : كرِهتُ أن أُكذِّب قولَ مُسلِم بن الوليد : [من البسيط]

لا يَعبَق الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومَفرِقَه ... ولا يُمَسِّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ

[ينصح يزيد بتخريق كتاب جاءه]

أُخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أُبو تَوبة قال : كان مُسلِم بن الوليد جالساً بين يدَي يزيد بن مزيد فأتاه كتابٌ فيه مُهِمّ له ، فقرأه سرّاً ووضعَه ، ثم أعاد قراءَته ووضعه ، ثم أراد القيامَ ، فقال له مُسلِم بن الوليد[1] : [من البسيط]

الحَزْم تَخْرِيقُه إن كنت ذا حَذَر ... وإنّما الحَزْم سُوءُ الظَّنِّ بالنّاسِ

لقد أتاك وقد أدَّى أَمانتَه ... فاجعل صِيانَتَه في بَطْنِ أَرماسِ

قال : فضَحِك يزيد وقال : صَدَقْتَ لعَمري . وخرَّق الكتاب ، وأمر بإحراقِه .

[خيبته في انقطاعه إلى ابن يزيد بعده]

حدَّثني عمّي وجَحْظة قالا : حدَّثنا عليُّ بنُ الحسين بن عبد الأعلى قال : حدَّثني أبو مُحَلّم ، وحدَّثني عمّي قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعد قال : حدَّثني أبو توبة ، قال : كان مُسلِم بن الوليد صديقاً ليزيد بن مزيد ومدّاحاً له ، فلما مات انقطعَ إلى ابنه محمد بن يزيد ، ومدَحه كما مدَح أباه ، فلم يصنَع إليه خيراً ، ولَم يُرضِه ما فعله به ، فهجَره وانقطَع عنه ؛ فكتب إليه يستحفِيه[2] ويلُومه على انقطاعه عنه ، ويُذَكِّره حُقوقَ أبيه عليه ، فكتَب إليه مُسلِم[3] : [من الطويل]

لَبِستُ عَزاءً عن لِقاء محمدٍ ... وأَعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودا

وقُلتُ لنَفْسٍ قادَها الشَّوقُ نحوه ... فَعوَّضَها حُبُّ اللّقاءِ صُدودا[4]

1 الديوان : 324 .

2 يستحفيه : يستخبره .

3 ديوانه : 310 .

4 الديوان : فعوضها منه اللقاء . . .

هَبِيه امرءاً قد كان أُصْفاكِ وُدَّه فمات وإلاَّ فاحسُبِيــه يَزيدا
لعَمْري لقد وَلَّى فلم أَلْقَ بعده وَفاءً لِذي عَهْـد يُعَـدُّ حَمِيدا

[رثاء يزيد بن مزيد]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني أَحمدُ بن محمد بن أَبي سعد قال : أُهدِيَتْ إلى يزيد بن مَزْيد جاريةٌ وهو يأكل ، فلمّا رُفِع الطعام من بين يديه وطِئَها فلم ينزِل عنها إلاّ ميِّتاً ، وهو بِبَرْذَعة[1] ، فدُفِن في مقابر بَرْذَعة ، وكان مُسْلم معه في صحابته فقال يَرثيه[2] : [من الكامل]

قَبـرٌ بِبَرْذَعـــة استَسَرَّ ضريحُـه خطَـراً تقاصَرُ دُونَــه الأَخْطارُ
أَبقـــى الزَّمـــانُ على رَبِيعَةَ بعده حُزْنـــاً كعُمر الدَّهـرِ لَيْس يُعارُ[3]
سلكت بك العُربُ السَّبِيلَ إلى العُلا حتى إذا بَلَغوا المَدى بِكَ حارُوا[4]

ويُروى :

حتى إذا سَبَقَ الرَّدى بك حاروا

هكذا أَنشده الأخفش :

نُفِضَتْ بك الأَحلاس نَفْضَ إقامةٍ واسترجَعَت رُوَّادَهـــا الأَمصارُ[5]
فاذهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ أَثنـــى عليهـــا السَّهـــلُ والأَوْعارُ

[داود بن يزيد يفضح ادّعاء راوية مسلم]

نَسختُ من كِتاب جدِّي يحيى بنِ محمد بن ثَوابة : حدَّثني الحسَنُ بنُ سعيد عن أَبيه قـال : كان داودُ بنُ يَزيد بنِ حاتم المُهلَّبيّ يَجلِس للشُّعراء في السَّنة مجلِساً واحـداً فيَقْصِدونه لذلك اليوم ويُنْشِدونه ، فوجَّه إليه مُسلِم بنُ الوليد راوِيَته بشِعره الذي يقول فيه[6] : [من البسيط]

جعلتَه حيث تَرتابُ الرِّياح به وتحسُد الطَّيرَ فيـه أَضْبُعُ البِيدِ

فقَدِم عليه يوم جُلُوسه للشُّعَراء ، ولَحِقه بِعقِب خُروجهم عنه ، فتَقدَّم إلى الحاجِب

---

1 برذعة : بلد في أذربيجان .
2 ديوانه : 313 . وفي المرثي خلاف . فقيل إنّه يزيد بن أحمد السلميّ وقيل بل مالك بن علي الخزاعي .
3 الديوان : على معدّ .
4 الديوان : حتى إذا سبق الردى . . .
5 الديوان :
نفضت بك الآمال أحلاس الغنى واسترجعـت نزاعهـا الأمصـار
6 ديوانه : 165 . وفيه وضعته . . .

وحسر لِثامَه عن وَجهِه ثم قال له : استأذِن لي على الأمير . قال : ومَن أَنت ؟ قال : شاعر . قال : قد انصرَم وقتُك ، وانصرَف الشُّعراء ، وهو على القيام . فقال له : وَيْحك قد وفَدْتُ على الأمير بشِعْر ما قالت العربُ مثلَه . قال : وكان مع الحاجب أدبَ يفهم به ما يسمع ، فقال : هاتِ حتى أسْمَع ، فإن كان الأمرُ كما ذَكَرتَ أوصلتُك إليه . فأنشدَه بعضَ القصيدة ، فسمع شيئاً يَقصُرُ الوصفُ عنه . فدخل على داود فقال له : قد قَدِم على الأمير شاعرٌ بشِعْر ما قيل فيه مثلُه ، فقال : أدخِل قائلَه . فأدخَله ، فلمّا مَثَل بين يديه سلَّم وقال : قَدِمتُ على الأمير ، أعزّه الله ، بمَدْح يسمعه فيعلم به تقدُّميّ على غيري ممَّن امتدَحه . فقال : هاتِ . فلما افْتَتَح القصيدة وقال[1] : [من البسيط]

لا تَدْعُ بـي الشَّوق إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ نَهى النُّهى عن هَوى البِيضِ الرَّعادِيدِ[2]

استَوى جالِساً وأَطْرق ، حتى أتى الرجلُ على آخِرِ الشِّعر ، ثم رَفَع رأسه إليه ثم قال : أهذا شِعْرك ؟ قال : نعم أعزَّ اللهُ الأمير ، قال : في كم قُلتَه يا فتى ؟ قال : في أربعة أشهر ، أبقاكَ الله . قال : لو قُلتَه في ثمانيةِ أشهُر لكُنتَ مُحسِناً ، وقد اتَّهَمْتُكَ لجَوْدة شِعْرك وخُمول ذِكرك ، فإن كُنتَ قائلَ هـذا الشِّعر فقد أنظرتُك أربعةَ أشهُر في مِثْله ، وأمرتُ بالإجراء عليك ، فإن جِئْتَنا بمِثْل هـذا الشِّعر وَهبتُ لك مائةَ ألفِ درهم وإلاّ حَرَمْتك . فقال : أو الإقالة ، أعزَّ اللهُ الأمير . قال : أَقَلْتُك . قال : الشِّعر لُمسلِم بن الوليد ، وأنا راويتُه والوافِدُ عليك بشِعْره . فقال : أنا ابنُ حاتم ، إنَّك لمَّا افْتَتَحتَ شِعرَه فقُلت : [من البسيط]

لا تَدْعُ بي الشَّوْقَ إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ

سَمِعتُ كلامَ مُسْلِم يُناديني فأَجَبْتُ نداءَه واستوَيْتُ جالساً . ثم قال : يا غُلام ، أعطِه عشرة آلافِ درهم ، واحمِل الساعة إلى مُسلِمٍ مائةَ ألف درهم .

[ولاّه الفضل بن سهل البريد في جرجان]

أَخبرني الحسين بن القاسم الكوكَبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني مسعودُ بنُ عيسى العَبْديّ قال : أخبَرني موسى بن عَبْدِ الله التّميميّ قال : دَخَل مُسلِم بن الوليد الأنصاريّ على الفَضْل بن سَهل لِيُنشده شِعْراً ، فقال له : أَيُّها الكَهْل ، إنِّي أُجلُّك عن الشِّعر ، فسَلْ حاجَتَك ، قال : بل تَسْتَتِمّ اليَدَ عندي بأن تَسْمَع ، فأنْشَدَه[3] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 151 .
2 الديوان : الهيف الرعاديد .
3 ديوانه : 304 .

دُموعُها من حِذارِ البَيْنِ تَنْسَكِبُ وقَلبُها مُغـرَمٌ من حَرّهـا يَجِبُ
جدَّ الرَّحِيـلُ بـه عنها ففارقَها لبَيْنِه اللَّهـوُ واللَّـذَّاتُ والطَّربُ
يَهْوى المَسِيرَ إلى مَـرْوٍ ويَحزنُه فِراقُهـا فهـو ذو نَفْسَيْن يرتَقِبُ

فقال له الفَضْل : إنّي لأُجِلُّك عن الشعر ، قال : فأغنِني بما أحبَبتَ من عمَلك ؛ فولاّه البريدَ بجُرْجان .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني الحُسين بن أبي السّريّ . وأخبرني بهذه الأخبار محمد بنُ خَلَف بن المَرزُبان ، قال : حدَّثني إبراهيمُ بن محمد الورّاق ، عن الحُسين بن أبي السَّريّ قال : قيل لمُسلم بن الوليد : أيُّ شِعْرك أحبُّ إليك ؟ قال : إن في شعري لبيتاً أخذتُ معناه من التَّوراة ، وهو قولي[1] : [من البسيط]

دَلَّت على عَيْبِهـا الدُّنْيا وصَدَّقَها ما استَرْجَع الدَّهرُ مِمّا كان أَعْطاني

[قذف بدفتر شعره في البحر]

قال الحسين : وحدَّثني جماعة من أَهْل جُرْجان أنَّ راوِية مُسلِم جاءَ إليه بعد أن تابَ لِيَعرِض عليه شِعرَه ، فتغافَله مُسْلِم ، ثم أخذ منه الدّفتر الذي في يدِه ، فقذَف به في البحر ، فلهذا قلَّ شِعْرُه ، فليس في أيدي النّاس منه إلاّ ما كان بالعراق ، وما كان في أيدي الممدُوحين من مَدائحهم .

[يكره لقبه]

قال الحُسين : وحدَّثني الحسين بن دِعْبل قال : قال أبي لُمسْلِم : ما مَعنى قولك : [من البسيط]

لا تَدْعُ بي الشّوقَ إنّي غَيْرُ مَعْمُود

قال : لا تَدْعُني صَرِيعَ الغواني فلستُ كذلك ؛ وكان يُلقَّبَ هذا اللَّقب وكان له كارهاً .

[عتب ورضى]

أخبرني محمدُ بن خَلَف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : عَتَب عيسى بن داود على مُسلم بن الوليد فهجَره ، وكان إليه مُحسناً ، فكتب إليه مسلم[2] : [من الطويل]

شَكرتُـكَ للنُّعْمـى فلمّـا رمَيْتَني بِصدِّكَ تأديباً شكرتُـك في الهَجْرِ
فعِنـديَ للتَّـأديب شُكْـرٌ وللنّدى وإن شِئْت كان العَفْوُ أَدْعى إلى الشُّكْرِ[3]
إذا مـا اتّقـاكَ المستليمُ بعُذْرِه فعَفْـوك خَيْرٌ من مَـلامٍ على عُذْرِ[4]

---

1 ديوانه : 122 .

2 ديوانه : 319 .

3 الديوان : أدنى إلى الشكر .

4 الديوان : إذا ما التقاك . . .

قال : فرَضي عنه وعادَ له إلى حاله .

[بخله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني محمد بنُ الأشعث قال : حدَّثني دِعْبل بنُ عليّ قال : كان مُسلِم بن الوليد من أبخلِ الناس ، فرأيْته يوماً وقد استقبلَ الرِّضا عن غلام له بعد مَوْجِدَة ، فقال له : قد رَضِيتُ عنك وأمرتُ لك بدِرْهم .

[تهاجيه مع دعبل]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه قال : حدَّثني محمد بنُ عمرو بن سعيد قال : خرج دِعْبِل إلى خراسان لمّا بلَغَه حُظْوةُ مُسلِم بنِ الوليد عند الفضل بن سَهْل . فصار إلى مَرْو ، وكتب إلى الفَضْل بن سَهْل[1] : [من الكامل]

لا تَعْبَأَنْ بابنِ الوَليـد فإنّـه ... يرميك بعـد ثلاثـةٍ بمَلالِ

إنَّ المَلُـولَ وإن تَقادَمَ عَهدُه ... كانت مَودَّتُـه كفـيْءِ ظِلالِ

قال : فدَفَع الفَضل إلى مُسلِم الرُّقْعة وقال له : انظر يا أبا الوليد إلى رُقعةِ دِعْبِل فيك ، فلمّا قرأها قال له : هل عرَفت لَقَب دِعْبِل وهو غُلام أمرد وهو يُفْسَق به ؟ قال : لا ، قال : كان يُلقَّب بمَيّاس ، ثم كتبَ إليه[2] : [من الكامل]

مَيَّاسُ قُل لي : أينَ أنْتَ من الورى ... لا أنتَ مَعلـومٌ ولا مَجْهـولُ !

أمّا الهِجاءُ فـدَقَّ عِرضك دونَه ... والمَـدْحُ عنـك كما عَلِمْتَ جليلُ

فاذهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرضك إنّه ... عِرضٌ عـزَزْتَ بـه وأنتَ ذَليلُ

أخبرني محمد بن الحسين الكِنديّ الكوفيّ مُؤَدّبي قال : حدَّثني أزهرُ بن محمد قال : حدَّثني الحسين بن دِعْبِل قال : سمعتُ أبي يقول : بينا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرَّت بي جارية لم أرَ أحسنَ منها وجهاً ولا قدّاً تتثنّى في مشيِها وتنظُر في أعطافِها ، فقلت مُتعرِّضاً لها[3] : [من مخلع البسيط]

دُموعُ عيني بهـا انْبساطٌ ... ونَومُ عينـي بـه انقِباضُ

فأجابَتني بسُرعة فقالت : [من مخلع البسيط]

وذا قليـلٌ لمَـن دَهَتْـه ... بلَحْظِهـا الأعيُـنُ المِراضُ

فأدهَشَتْني وعَجِبْت منها فقلت : [من مخلّع البسيط]

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 135 .

2 ديوان مسلم : 334 ، وتروى لدعبل وأبي تمام .

3 ديوان دعبل : 96 .

فهل لِمَوْلاي عَطفُ قَلْبٍ وللَّذي في الحَشا انْقِراضُ

فأجابَتني غير متوقِّفة فقالت : [من مخلع البسيط]

إن كنتَ تهوى الوِدادَ منّا فـالوُدُّ في دِيننـا قِراضُ

قال : فما دَخَل أُذُني كَلامٌ قطّ أحلى من كلامِها ، ولا رأيتُ أنضرَ وَجْهاً منها ، فعدَلْتُ بها عن ذلك الشعر وقلت[1] : [من الكامل]

أَتُرى الزَّمانُ يَسرُّنا بتَلاقٍ ويَضُمُّ مُشتاقاً إلى مُشتاقِ

فأجابَتني بسُرعة فقالت : [من الكامل]

مـا لِلزَّمانِ وللتَّحَكُّم بيننا أَنتَ الزَّمان فسُرَّنا بتَلاقِ

قال : فمضَيْت أمامها أؤُمّ بها دارَ مُسلِم بن الوليد وهي تتبَعُني ، فصِرتُ إلى منزِله ، فصادفتُه على عُسْرة ، فدفَع إليّ منديلاً وقال : اذهَب فبِعْه ، وخُذ لنا ما نَحتاج إليه وعُد ؛ فمضيْتُ مُسرعاً . فلمّا رجَعْتُ وجَدْتُ مُسلِماً قد خلا بها في سِرداب ، فلمّا أحسَّ بي وثب إليّ وقال : عرَّفك اللهُ يا أبا عليّ جميلَ ما فعلت ، ولقَّاك ثوابَه ، وجَعَله أحسنَ حسنةٍ لك ، فغاظَني قولُه وطَنْزُه[2] ، وجعلتُ أُفكِّر أيَّ شيءٍ أعمل به ، فقال : بحياتي يا أبا عليّ أخبِرني مَن الذي يقول[3] : [من الخفيف]

بِتُّ في دِرْعِهـا وبات رَفِيقي جُنُبَ القَلْبِ طاهـرَ الأَطْرافِ

فقلت : [من الخفيف]

مَنْ لَـهُ في حِرِ امِّـه أَلفُ قَرْنٍ قـد أَنافَـتْ على عُلُوِّ مَنافِ !

وجعلت أَشتُمه وأَثِب عليه ، فقال لي : يا أحمق ، مَنزلي دخلتَ ، ومَنْديلي بِعت ، ودراهمي أنفَقْت ، على مَنْ تَحْرَد أَنت ؟ وأيّ شيء سببُ حَرَدِك يا قَوَّادُ ؟ فقلت له : مهما كذَبتَ عليَّ فيه من شيء فما كذَبتَ في الحُمْقِ والقيادة .

[هجاء بالجملة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه والعَنَزيُّ ، عن محمد بن عبدِ الله العَبْدِيّ قـال : هَجا مُسلِمُ بنُ الوليد سعيدَ بن سَلْم ويزيد بن مَزْيد وخُزَيمة بن خازم فقال[4] : [من الطويل]

1 ديوان دعبل : 116 .

2 الطنز : السخرية والتهكم .

3 ديوان مسلم : 327 .

4 ديوانه : 271 .

دُيونُـك لا يُقضى الزّمانَ غَرِيمُها ... وبخلُـك بُخـلُ الباهِـليِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْم أَبخل النّاسِ كُلِّهم ... ومـا قَومُـه مـن بُخْلِه بِبَعِيدِ[1]
يَزِيـدُ لـه فَضْلٌ ولكـنَّ مَزْيَداً ... تَـدارَكَ فينـا بخلُـه بِيَزِيدِ[2]
خُزَيمـةُ لا عَيْبٌ لـه غيرَ أَنّه ... لمطبخـه قُفْـلٌ وبـابُ حَدِيدِ[3]

أخبرني هاشِم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَةُ قال : حدَّثنا الأصمعيُّ قال : قال لي سعيد بن سَلم : قَدِمَت عليَّ امرأةٌ من باهلة من اليمامة ، فمدَحْتني بأبيات ، ما تمَّ سُروري بها حتى نغَّصَنيها مُسلِمُ بنُ الوليد بهجاء بلغني أنّه هجاني به ، فقلت : ما الأبيات التي مُدِحْتَ بها ؟ فأنشدني : [من الطويل]

قُتَيْبَةُ قَيْسٍ سادَ قَيْساً وسَلْمهـا ... فلمّا تَولَّـى سادَ قَيْساً سَعِيدُها
وسَيِّدُ قَيْس سَيِّدُ النّـاسِ كلّهـم ... وإن مات من رَغْمٍ وذُلٍّ حَسُودُها
هُـمُ رفعوا كَفَّيْك بالمَجْدِ والعُلا ... ومَنْ يرفَـعُ الأَبناءَ إلاّ جُدودُها
إذا مـدَّ للعليـا سَعِيـدٌ يَمِينَـه ... ثنت كَفُّـه عنهـا أَكُفّاً تُرِيدُها

قال الأصمعيّ : فقلتُ له : فبأيّ شيء نَغَّصها عليك مُسلم ؟ فضَحِك وقال : كلَّفتَني شَطَطا ، ثم أَنشد[4] : [من المتقارب]

وأَحببتُ مـن حُبِّها الباخِلِينَ ... حتى وَمِقْتُ ابنَ سَلْم سَعِيدا
إذا سِيلَ عُرفـاً كسا وَجهَه ... ثِياباً من النَّقع صُفْراً وسُودا[5]
يَغـارُ على المـالِ فِعْلَ الجَوا ... د وتأْبـى خلائِقُه أَن يَجُودا[6]

أَخبرني عمِّي ، قال حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثني النَّوْشجانيُّ الخليلُ بنُ أسَد قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال : وقَفَ بعضُ الكُتّاب على مُسلِم بن الوليد وهو يُنشد شِعْراً له في مَحْفِل ، فأطال ثم انصرف ، وقال لرَجُل كان معه : ما أدْرِي أيَّ شيءٍ أعجب الخليفةَ والخاصّةَ من شِعْر هذا ؟ فواللهِ ما سَمِعْتُ منه طائِلاً ، فقال مُسلِم : رُدُّوا عليَّ الرّجل ، فرُدَّ إليه ، فأَقْبَلَ عليه ثم قال : [من الكامل]

---

1 الديوان : . . . ألأم الناس . . . من لؤمه . . .
2 الديوان : تدارك أقصى مجده .
3 الديوان : لا بأس به .
4 ديوانه : 270 .
5 الديوان : ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً . .
6 الديوان : يغير على المال .

أَمَّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرضُك دونـه والمَـدْحُ عنـك كما عَلِمْتَ جليلُ
فاذْهَبْ فأَنتَ طَلِيقُ عِرْضِك إنّه عِـرضٌ عَزِزْتَ بِـه وأَنتَ ذَليلُ

[فساد علاقته بدعبل]

أَخبرَني محمد بن خَلَف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني إبراهيم بن محمد الورَّاق قال : حدَّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : كان مُسلِم بن الوليد أُستاذَ دِعبل وعنه أخذ ، ومن بَحْرِه استقى . وحدَّثني دِعبل أنّه كان لا يزال يقول الشِّعر فيعرضُه على مسلم ، فيقول لـه : إيّاك أن يكون أوّل ما يظهرُ لك ساقطاً فتُعرَف به ، ثم لو قلتُ كلَّ شيء جيّداً كان الأوّل أشهَرَ عنك ، وكُنتَ أبداً لا تزال تُعيَّر به ، حتى قلتُ :

أيـنَ الشَّبابُ وأَيَّةً سَلَكـا

فلمّا سَمِع هذه قال لي : أَظهِر الآن شِعرَك كيف شِئْت .

قـال الحُسين : وحدَّثنـي أَبـو تمّـام الطائيّ قال : ما زال دِعْبل مُتعصّباً لمُسْلم ، مائلاً إليـه ، مُعترفاً بأُستاذِيَّته حتى ورَد عليه جُرْجانَ ، فجفاه مُسلِم ، وهجره دِعْبِل ، فكتب إليه[1] : [من الطويل]

أَبـا مَخْلَـدٍ كُنَّا عَقِيدَيْ مَوَدَّة هَوانـا وقَلْبانـا جَميعاً مَعاً معا
أَحوطُك بالغَيْبِ الذي أنتَ حائطي وأَجزَعُ إشفاقـاً بـأَنْ تَتوجَّعا
فصَيَّرتَنـي بعـد انْتِكاثِك مُتْهِماً لنفسي عليها أَرهَبُ الخَلْق أَجْمَعا
غَشَشْتَ الهوى حتى تَداعَتْ أُصولُه بنا وابتَذَلْتَ الوَصلَ حتـى تَقطَّعا
وأنزلتَ من بين الجَوانحِ والحَشا ذَخِيرَةَ وُدٍّ طـال مـا قد تمنَّعا
فلا تَلْحَيَنّي ليس لي فيك مَطْمَع تَخرَّقْتَ حتى لم أَجِد لك مَرْقَعا
فَهبْك يَمِينـي استأكَلَتْ فَقَطَعتُها وَجَشَّمتُ قلبـي صَبرَه فَتَشَجَّعا

قال : ثم تَهاجَرا بعد ذلك ، فما الْتَقَيا حتى ماتا .

[بينه وبين محمد بن أبي أُميّة]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بن أَبي طاهر قال : أَخبرني أَحمدُ بن أَبي أُميّة قال : لقِي أَخي محمد بنُ أبي أُميّة مُسلِمَ بنَ الوليدِ وهو يتثنّى ، ورواته مع بعض أَصحابِه ، فسَلَّم عليه ، ثم قال له : قد حضرني شيء . فقال : هاتِه ، قال : على أنّه مزاحٌ ولا تَغْضب ، قال : هاتِه ولو كان شتماً ، فأنشدتُه : [من المديد]

1 ديوان دعبل : 102–103 .

مَن رأى فيما خَلا رَجُلاً تِيهُــه أربــى على جِدَتِهْ
يَتمشّى راجِــلاً ولــه شاكِــريّ في قُلَنسِيَتِـهْ

فسكت عنه مُسلم ولم يُجبه ، وضَحِك ابن أبي أُميّة وافترقا .

قال : وكان لمحمد بِرْذَوْن يركبُه فنفق ، فلَقِيه مُسلِم وهو راجل ، فقال : ما فعل بِرْذَوْنُك ؟ قال : نَفَقَ ، قال : فنُجازيك إذاً على ما أسلفتناه ، ثم أنشده[1] : [من السريع]

قُـل لابن مَيٍّ لا تَكُن جازِعاً لن يَرْجِـعَ البِرْذَوْنُ بالَّيْتِ[2]
طامِــنَ أَحشاءَك فِقدانُـــه وكُنْتَ فيــه عــاليَ الصَّوتِ[3]
وكُنــتَ لا تَنْزِل عــن ظَهْرِه ولـو مــن الحُشِّ إلى البَيْتِ[4]
مــا مــاتَ مـن سُقْم ولكِنَّه ماتَ من الشَّوقِ إلى المَوْتِ[5]

[أبو تمّام يحفظ شعره وشعر أبي نواس]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ سَعيد الحَرِيريّ أَنَّ أبا تمّام حَلَف ألاّ يُصلِّيَ حتى يحفظ شِعْرَ مُسلِم وأبي نُواس ، فمَكَث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما . قال : ودخلتُ عليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : اللاَّتُ والعُزّى وأنا أعبدُهما مِن دون الله .

[مسلم وأبو نواس يتناشدان]

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهرويه قال : حدَّثني سَمعانُ بنُ عبد الصَّمد قال : حدّثني دِعْبِل بنُ عليّ قال : كان أبو نواس يسألني أن أجمعَ بينه وبين مُسلِم بن الوليد ؛ وكان مُسلِم يسألُني أن أجمع بينه وبين أبي نواس ، وكان أبو نُواس إذا حَضَر تخلَّف مُسْلِم ، وإذا حضر مُسلِم تخلَّف أبو نواس ، إلى أن اجتمعا ، فأنشده أبو نُواس[6] : [من الطويل]

أَجــارةَ بَيْتَيْنا أَبُــوكِ غَيُــورُ ومَيْسُور ما يُرْجى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وأَنشدَه مُسلِم : [من البسيط]

للهِ مــن هاشِمٍ في أَرْضِهِ جَبَلٌ وأَنتَ وابنُك رُكْنَا ذلِكَ الجَبَلِ

---

1 ديوانه : 282 .
2 الديوان : ليس على البرذون من فوت .
3 الديوان : طأطأ أحشاءك .
4 الحش : البستان ، ونقل إلى بيت الخلاء .
5 الديوان : من حتف .
6 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 480 .

فقلت لأَبي نُواس : كيفَ رأَيتَ مُسْلِماً ؟ فقال : هو أَشعر النّاس بَعدي . وسأَلت مُسلِماً وقلت : كيفَ رأَيتَ أَبا نُواس ؟ فقال : هو أَشعَرُ الناس وأنا بَعْده .

[ذو الرياستين يجزل له الجائزة]

أَخبرني الحَسَن قال : حدَّثنا ابن مَهرويه قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنصاريّ من ولدِ النّعمان بن بشير قال : حدَّثني مسلم بن الوليد قال : وجَّه إليَّ ذو الرِّياستَين ، فحُمِلتُ إليه ، فقال : أَنشِدْني قولك[1] : [من السريع]

بالغَمْـرِ مـن زَينبَ أَطْلالُ مَرَّتْ بهـا بعدك أَحوالُ

فأَنشدتُه إيّاها حتى انتهيت إلى قولي[2] : [من السريع]

وقائـلٍ ليست لـه هِمَّةٌ كلاَّ ولكن لَيس لي مالُ

وهِمَّـةُ المُقْتِرِ أُمْنِيَّـةٌ هَـمٌّ مع الدَّهرِ وإشْغالُ[3]

لا جِدَةٌ أَنْهِضُ عَزْمي بها والنـاسُ سُؤَّالٌ وبُخَّـالُ[4]

فاقعُدْ مع الدَّهْر إلى دَوْلَةٍ ترفَعُ فيها حالَك الحالُ[5]

قال : فلمّا أَنشدتُه هذا البيت قال : هذه واللهِ الدولةُ التي ترفعُ حالَك . وأَمر لي بمالٍ عَظِيم وقلَّدني ، أَو قال قبَّلني ، جَوْزَ جُرْجان[6] .

[هجاؤه معن بن زائدة ويزيد بن مزيد]

حدَّثني جحظة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان مسلِمُ بنُ الوليد قد انحرف عن مَعْنِ بن زائدةَ بعد مدحه إيّاه ، لشيء أَوحشَه منه ؛ فسأَله يزيد بن مزيد أن يَهَبه له ، فوعَده ولم يفعل ، فتركَه يزيد خوفاً منه ، فهجاه هجاءً كثيراً ، حتى حَلَف له الرشيد إن عاودَ هجاءَه قَطَع لسانَه ، فمن ذلك قوله فيه[7] : [من الكامل]

يـا مَعْنُ إنّـك لم تَزَلْ في خِزْيَةٍ حتـى لَففتَ أَبـاكَ في الأَكفانِ

فاشْكُر بَلاءَ المَوْتِ عِنْـدَك إنّه أَودى بلُـؤم الحَـيِّ مـن شَيْبانِ

---

1 ديوان مسلم : 335 .

2 ديوانه : 150 .

3 الديوان : عون على الدهر . . .

4 الديوان : لا حدة تنهض في عزمها .

5 الديوان : فاصبر مع الدهر . . . تحمل فيها .

6 تقدم أنّ الفضل بن سهل ولاّه بريد جرجان . وانظر ياقوت (جرجان) .

7 ديوانه : 341 .

قال : وهجا أيضاً يزيد بن مزيدَ بعد مدحِه إيّاه فقال[1] : [من الكامل]

أيزِيدُ يــا مَغْرورُ ألأمَ مَنْ مَشى ... تَرْجُو الفَلاحَ وأنتَ نُطْفَة مَزْيَدِ

إن كنتَ تُنكِر مَنْطقي فاصرُخ به ... يَوْمَ العَرُوبة عنــد بابِ المَسْجِدِ[2]

في مَــنْ يَزِيدُ فإن أُصبتَ بِمَزْيدٍ ... فَلْساً فَهــاكَ على مُخاطرةٍ يَدِي

هكذا روى جَحظة في هذا الخبر ، والشِّعران جميعاً في يزيد بن مَزْيَد ، فالأوّل منهما أوّله : [من الكامل]

أيَزِيدُ إنّك لم تَــزَل في خَزْيَةٍ

وهكذا هو في شعر مُسلِم . ولم يَلْقَ مُسلِم مَعْنَ بن زائدة ، ولا له فيه مدح ولا هجاء .

[رثى يزيد بن مزيد]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال : حدَّثنا محمد بنُ عبدالله بن جُشَم قال : كان يزيد بن مَزْيَد قد سأل مُسلِمَ بنَ الوليد عمّا يكفيه ويكفي عيالَه ، فأخبرَه فجعَله جِرايةً له ، ثم قال : ليس هذا ممّا تُحاسَبُ به بدلاً من جائزةٍ أو ثواب مديح . فكان يبعث به إليه في كلّ سنة ، فلمّا مات يزيد رثاه مُسلِم فقال[3] : [من الوافر]

أحقّــاً أنّــه أودى يَزِيـــدُ ... تبَيَّنْ أيُّها النّاعــي المُشيدُ[4]

أتَدْرِي من نَعَيْتَ وكيف دارَت ... به شَفَتاكَ دار بهــا الصَّعِيدُ[5]

أحامي المَجْدِ والإسلامِ أودَى ... فمــا للأرْض وَيْحك لا تَمِيدُ

تأمَّلْ هل تَرى الإسْلامَ مالت ... دعائِمُه وهـــل شابَ الوليدُ

وهل شِيمَت سُيوفُ بَني نِزار ... وهل وُضِعَت عن الخَيْل اللُّبودُ

وهل تَسْقي البِلادَ عُشارُ مُزْنٍ ... بدِرَّتِها وهـــل يَخْضَرّ عُودُ[6]

أمــا هُــدّت لَمصْرعِه نِزارٌ ... بـــلى وتقوَّض المَجْــدُ المَشِيدُ

---

1 ديوانه : 310 .

2 يوم العروبة : يوم الجمعة .

3 ديوانه : 147–149 .

4 الديوان : أحق . . . تأمّل .

5 الديوان :

تأمّل من نعيت وكيف فاهت ... بــه شفتاك كان بهــا الصعيد

6 عُشَار في ل وابن خلكان : ثقال المزن .

وحـــلَّ ضَريحَه إذ حَلَّ فيــه طَرِيفُ المَجْـد والحَسَبُ التَّلِيدُ
أَمَا واللهِ مـــا تنفـكُّ عَيْني عليـك بدَمْعِها أبــداً تَجودُ
وإن تَجْمُــدْ دُموعُ لَئيم قومٍ فليس لدَمْع ذي حَسَبٍ جُمودُ
أَبعْد يَزِيـــدَ تَختَزِنُ البَواكي دُموعاً أو تُصانُ لهـا خُدُودُ
لِتَبْكِـكَ قُبَّـــةُ الإسلام لَمّا وَهَتْ أطنابُها ووَهى العَمُودُ
ويبكِكَ شاعِــرٌ لم يُبقِ دَهْرٌ لــه نَشَباً وقد كَسَد القَصِيدُ
فإن يَهْلِك يزيـدُ فكُلُّ حَـيٍّ فَرِيسٌ للمَنِيَّــةِ أو طَرِيــدُ

هكذا في الخبر ، والقصيدة للتَّيميّ .

[مدح الفضل بن سهل ورثاؤه]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الهشاميُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بن عمرو قال : حدّثني موسى بن عبد الله التّميميّ قال : دخل مُسلِم بن الوليد على الفَضْل بن سهـل ، فأنشده قوله فيه[1] : [من البسيط]

لــو نَطَـقَ الناسُ أو أَنْبَوْا بعلمهمُ ونَبَّهتْ عن مَعالي دَهْرِكَ الكُتُبُ
لم يبلُغوا منك أدْنى مـا تَمُتُّ به إذا تفاخــرتْ الأمـلاكُ وانتَسَبُوا

فأمر له عن كُلّ بيت من هذه القصيدة بألفِ درهم .

ثم قُتِل الفَضْل فقال يرثيه[2] : [من الطويل]

ذَهَلْتُ فلــم أَنقَع غَليـلاً بعَبْرَةٍ وأكبرتُ أن أَلقى بيَوْمِك ناعِيا
فلمّا بَــدا لي أنّه لاعِجُ الأَسى وأَنْ لَيْسَ إلاّ الدَّمعُ للحُزْنِ شافِيا
أقمتُ لك الأنواحَ تَرتَــدُّ بينها مآتِـمُ تندبــن النَّـدى والمَعالِيا[3]
وما كان مَنْعى الفَضْل مَنْعاةَ واحدٍ ولكنّ مَنْعى الفَضْل كان مَناعِيا[4]
أَللبـأْسِ أم لِلجُـودِ أم لمُقـــاوِمٍ من المُلكِ يَزحَمْن الجبالَ الرّواسِيا
عَفَتْ بَعدَكَ الأيّام لا بــل تَبدّلت وكُــنَّ كأَعْيــادٍ فعُــدْنَ مَباكِيا

---

1 ديوانه : 304 .
2 ديوانه : 346 .
3 تندبن في الديوان : يندبن .
4 منعاة واحدٍ في الديوان : منعي وحادة .

فلم أَرَ إلاَّ قَبْل يَوْمِـك ضاحِكاً ... ولم أَرَ إلاّ بَعْـدَ يَوْمِـك باكِيا

[هجاء العبّاس بن الأحنف]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكبيُّ قال : حدَّثنا محمد بنُ عجلان قال : حدَّثنا يعقوبُ بنُ السِّكِّيت ، قال : أخبرني محمد بن المُهنّأ ، قال : كان العبّاسُ بنُ الأحنَف مع إخوان له على شراب ، فذكروا مُسلِمَ بنَ الوليد ، فقال بعضهم : صَرِيعُ الغواني ، فقال العبّاس : ذاك ينبغي أن يسمَّى صريع الغِيلان لا صريع الغواني . وبلغ ذلك مُسلماً فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

بَنُو حَنِيفَةَ لا يَرْضى الدَّعِيُّ بهم ... فاترُكْ حَنيفَةَ واطلُب غيرَها نَسَبا

فاذْهَبْ فأنت طَلِيقُ الحِلْم مُرْتَهَنٌ ... بسَوْرة الجَهْلِ ما لم أَمْلِك الغَضَبا[2]

اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضى بنِسبْتهم ... إنِّي أَرى لَكَ خَلْقاً يُشبِهُ العَرَبا[3]

مُنِيتَ مِنِّي وقـد جَـدَّ الجراءُ بِنا ... بغايَـةٍ منَعَتْـك الفَوْتَ والطَّلَبا[4]

[يهب عرض خزيمة بن خازم ويمتنع عن هجائه]

أخبرني محمد بنُ يزيد قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : قلتُ لمُسلِم بنِ الوليد : ويْحَكَ ! أما استحيَيْتَ من النّاس حين تهجو خُزَيْمة بن خازم ، ولا استحيَيْتَ منّا ونحن إخوانُك ، وقد علمتَ أنّا نتولاَّه وهو مَنْ تعرف فضْلاً وجُوداً ؟ فضحِك ، وقال لي : يا أبا إسحاق ، لغيرِك الجهل ، أما تعلم أنَّ الهجاءَ آخِذٌ بضَبْع الشاعر وأجدى عليه من المديح المُضرِع ؟ وما ظَلَمتُ مع ذلك منهم أحداً ، وما مضى فلا سبيلَ إلى ردِّه ، ولكن قد وهَبتُ لك عِرضَ خُزَيمة بعد هذا . قال : ثم أنشدني قولَه في سعيد بن سَلم : [من الطويل]

دُيونُك لا يُقْضى الزّمانَ غَرِيمُهـا ... وبُخلُك بُخْـلُ الباهِـلِيِّ سَعِيدِ

سَعِيدُ بنُ سَلْم أَبخَلُ النّاسِ كُلِّهم ... ومـا قَوْمُـه مـن بُخلِـه بِبَعِيدِ

فقلتُ له : وسَعِيدُ بنُ سَلْم صديقي أيضاً ، فهَبْه لي ، فقال : إن أقبلْتَ على ما يَعنيك ، وإلاّ رجعتُ فيما وهبتُ لك من خُزَيمة ، فأمسَكْتُ عنه راضياً بالكفاف .

[مدح وتحول]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ محمد بن موسى بنِ عُمَر بنِ حَمزة بن بَزِيع قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحَسَن

1 الديوان : 258–259 .
2 الديوان : فاقعد فأنت طليق الحلم . . .
3 اذهب في الديوان : واذهب .
4 في الديوان : . . . وقد هاج الرهان بنا .

اللّهبيّ قال[1] : كان مُسلِم بنُ الوليد مَدّاحاً ليَزِيدَ بن مَزْيد ، وكان يُؤثِرُه ويُقدِّمه ويُجزِل صِلته ، فلمّا ماتَ وفَد على ابنِه محمد ، فمدَحه وعزّاه عن أبيه ، وأقام ببابه أيّاماً فلم يَرَ منه ما يُحِبّ ، فانصرف عنه وقال فيه : [من الطويل]

لَبِستُ عَزاءً عـن لِقاءِ محمدٍ وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودا
وقلتُ لِنَفْس قادَها الشّوقُ نَحوَه فعَوِّضها منـه اللِّقـاءَ صُدُودا
هَبِيهِ امرءاً قد كان أُصفاكِ وُدَّه ومـاتَ وإلاّ فاحسُبِيه يَـزِيدا
لعَمْري لقد وَلّى فلم أَلْقَ بَعدَه وفاءً لذي عَهْـدٍ يُعَدُّ حَمِيدا

[الفضل يجزل له العطاء ويهب له جارية أعجبته]

أَخبرني حبيبُ بن نصْر قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سَعْد قال : حدَّثني أَحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن داوُدَ قـال : دخـل مُسلِم بنُ الوليد يوماً على الفَضْل بن يحيى ، وقد كان أتاه خبرُ مَسيرِه ، فجلس للشُّعراء فمدحوه وأثابهم ، ونظَر في حوائج النّاس فقضاها ، وتفرَّقَ النّاسُ عنه ، وجلس للشّرب ، ومُسْلِم غير حاضرٍ لذلك ، وإنّما بَلَغه حين انقضى المجلس ، فجاءه فأُدخِل إليه فاستأْذن في الإنشاد ، فأذِن له ، فأَنشده قولَه فيـه[2] : [من الطويل]

أَتَتْـكَ المطايـا تَهْتَـدي بِمَطِيَّة عليها فَتًى كالنَّصْل مُؤنسُه النَّصْلُ

يقول فيها : [من الطويل]

وَرَدتُ رِواقَ الفَضْـل آمـلُ فَضلَه فحَطَّ الثَّناءَ الجَـزْلَ نائِلُـه الجَزْلُ[3]
فتى تَرْتَعـي الآمـالُ مُزنَـةَ جُودِهِ إذا كان مَرْعاها الأَمـانيُّ والمَطْلُ[4]
تساقطُ يُمنـاه النَّدى وشِمالُه الـ ـرَّدى وعُيونُ القَوْل مَنطِقُه الفَصْلُ[5]
أَلَحَّ على الأيّام يَفـري خطُوبَها على مَنْهجٍ أَلفـى أَباه بـه قَبْلُ
أَنـافَ بـه العَلْياءَ يَحيى وخالِدٌ فلَيس لـه مِثْـلٌ ولا لَهُما مِثْلُ[6]
فُـروعٌ أَصابت مَغْرِساً مُتَمَكِّناً وأَصْلاً فطابت حيث وجَّهها الأَصلُ[7]

---

1 تقدم الخبر والشعر في هذه الترجمة .
2 ديوانه : 263–265 .
3 الديوان : وردن رواق الفضل فضل بن جعفر .
4 الديوان : الأماني والبُطل .
5 الديوان : ردى .
6 الديوان : يحيى وجعفر .
7 الديوان : فروع تلقتها المغارس فاعتلى بها عاطفاً أعناقها قصده الأصل

بكـفٍّ أبي العبّاس يُستَمطَر الغِنى ... وتُسْتَنْزَل النُّعمى ويُسْتَرعَف النَّصلُ

قال : فطَرِب الفَضْل طَرَباً شَدِيداً ، وأمر بأن تُعدَّ الأبياتُ ، فعُدَّت فكانت ثمانين بيتاً فأمر له بثمانين ألف درهم ، وقال : لولا أنّها أكثر ما وُصِل به الشُّعراء لزِدْتُك ، ولكنّه شأْوٌ لا يمكنني أن أتجاوَزه ، يعني أنَّ الرشيدَ رسمه لمروان بن أبي حَفْصة ، وأمره بالجلوس معه والمُقام عنده لمُنادَمَتِه ، فأقام عنده ، وشَرب معه . وكانت على رأس الفَضل وصيفة تَسْقِيه كأنّها لُؤْلُؤة ، فلمح الفَضْلُ مُسلِماً ينظر إليها ، فقال : قد ، وحياتي يا أبا الوليد ، أعجَبَتْك ، فقُل فيها أبياتاً حتى أهَبَها لك ، فقال[1] : [من البسيط]

إن كُنتِ تَسْقِين غيرَ الرّاح فاسقِيني ... كأساً أَلـذّ بهـا من فِيكِ تَشْفِيني

عَيْناكِ راحِي ، ورَيْحاني حَدِيثُك لي ... ولَونُ خَدَّيْك لَـونُ الوَرْد يَكْفيني

إذا نَهاني عـن شُرب الطِّلا حَرَجٌ ... فخَمْـرُ عَيْنَيْكِ يُغنِيني ويَجْزِيني

لولا علاماتُ شيبٍ لو أَتَت وَعَظت ... لقد صَحوتُ ولكِن سوف تَـأْتِيني

أُرضي الشَّبابَ فإن أُهلِك فعن قَدَر ... وإن بَقِيتُ فإن الشَّيبَ يُشقِيني[2]

فقال له : خُذْها بُورِك لك فيها . وأمر بتوجِيهها مع بعض خدمها إليه .

[جزعه على زوجته]

أَخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني أَحمد بنُ إبراهيم قال : كانت لُمسلِم بن الوليد زوجةٌ من أهله ، كانت تكفيه أمرَه وتسُرُّه فيما تليه له منه ، فماتت فجَزِع عليها جزَعاً شديداً ، وتنسَّك مدّة طويلة ، وعَزَم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعضُ إخوانِه ذاتَ يوم أن يزوره ففعل ، فأكلوا وقدَّموا الشّرابَ ، فامتنع منه مسلم وأباه ، وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

بُكـاءٌ وكَأسٌ ، كيف يَتَّفِقانِ ؟ ... سَبيلاهُمـا في القَلْـب مُختَلِفانِ

دَعـاني وإفـراطَ البُكاء فإنّني ... أَرى اليـومَ فيـه غيْرَ مـا تَرَيانِ

غَدَتْ والثَّرى أَولى بها من وَلِيّها ... إلى منـزلٍ نـاءٍ لعَيْنِـكَ دانِ

فلا حُزْن حتى تَذرِفَ العَينُ ماءَها ... وتعتـرِفَ الأَحشاءُ للخفَقـانِ[4]

---

1 ديوانه : 343–344 .

2 يشقيني في الديوان : يسليني .

3 الديوان : 241 .

4 فلا حزن في الديوان : فلا وجد .

وكَيفَ بِدَفْعِ اليأسِ للوَجْدِ بعدَها ... وسَهْماهُمـــا في القلـبِ يَعْتَلِجانِ[1]

[تهاجيه مع ابن قنبر]

أُخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أُبي سعد قال : حدَّثني عليُّ بن الصَّبّاح قال : حدَّثني مالكُ بنُ إبراهيم قال : كان مُسلِم بن الوليد يُهاجي الحَكَم بنَ قَنْبر المازِنيّ ، فغَلَب عليه ابن قَنْبر مدة وأخرسه ، ثم أَثاب مُسلِم بعد أن انْخَزَل وأُفحِم ، فهَتَك ابن قَنْبر حتى كفَّ عن مُناقضَتِه ، فكان يَهرب منه ، فإذا لَقِيه مُسلِم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيـه فيُمْسِك عن إجابتـه ؛ ثم جاءه ابن قَنْبر إلى منزله واعتذر إليه ممّا سَلَف ، وتحمَّل عليه بأهلِه وسأله الإمساكَ ، فوعَده بذلك ، فقال فيه[2] : [من الكامل]

حَلُم ابنُ قَنْبَر حين أَقْصَر جهلُه ... هل كان يَحلُم شاعِرٌ عن شاعرِ ؟

مـــا أَنتَ بالحَكَم الذي سُمِّيتَه ... غالَتْك حِلْمَك هَفْوَةٌ من قاهرِ

لولا اعْتِذارُك لارْتَمى بك زاخِرٌ ... مَرِحُ العُباب يَفوتُ طرف النَّاظِرِ[3]

لا تُرتِعَنْ لَحمي لِسانَك بعدَها ... إنِّي أَخـاف عليك شَفْرَةَ جازِرِ

واستَغْنِم العَفـوَ الذي أُوتِيتَـه ... لا تأمَنَـنَّ عُقوبـةً مـن قادِرِ

أُخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله أبو بكر العَبديّ قال : رأيتُ مسلمَ بنَ الوليد وابنَ قَنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جُمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجَيان ، فبدأ مسلم فقال[4] : [من الطويل]

أنـــا النَّارُ في أَحجارها مُستكنَّةٌ ... فإن كنتَ مِمَّن يقدحُ النّارَ فاقدحِ

فأَجابه ابنُ قَنبر فقال : [من البسيط]

قد كنتَ تَهوي وما قوسي بمُوتَرة ... فكيف ظَنُّك بي والقوسُ في الوَترِ

[يلجأ إلى الدعاء على ابن قنبر]

قال : فوثب إليه مسلم وتواخزا[5] وتواثبا ، وحَجَز الناس بينهما فتفرَّقا .

أُخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني عليّ بن عبيد الكوفيّ قال : حدَّثني عليّ بن عمروس الأنصاريّ قال : جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخَزْرَج إلى

---

1 الديوان : . . . والوجد بعدها .

2 ديوانه : 322 .

3 مرح العُباب في الديوان : مرج العباب .

4 ديوانه : 309 .

5 تواخزا : تطاعنا طعنات غير نافذة .

مُسلم بنِ الوليد فقال له : وَيْلكَ ما لَنا ولَك ، قد فضحتَنا وأخزيتَنا ، تعرَّضتَ لابن قنبر فهاجيتَه ، حتى إذا أمكنْتَه من أعراضنا انخزَلتَ عنه وأرعَيْتَه لحومَنا ، فلا أنت سَكتَّ ووَسِعك ما وَسِع غيرَك ، ولا أنت لَمّا انتصرتَ انتصفتَ . فقال له مسلم : فما أصنع ؟ فأنا أصبر عليه ، فإن كفَّ وإلاّ تحمَّلتُ عليه بإخوانه ، فإن كفَّ وإلاّ وكلتُه إلى بَغْيه ، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل ، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهر له ليلةً يدعو اللّهَ عليه فيها فإنّها تُهلِكه . فقال له الأنصاريّ ، سَخِنَتْ عينُك ! أوَ بهذا تَنتصِفُ مِمّن هجاك ؟ ثم قال له : [من الكامل]

قد لاذ من خوفِ ابنِ قَنبر مُسلمٌ ... بدُعاءِ والدِه مع الأسحارِ

ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ

ثَكِلَتْك أُمُّكَ قد هتكْتَ حريمَنا ... وفضَحت أُسرتَنا بني النجارِ

عمَّمتَ خَزْرَجَنا ومعشَرَ أُوْسِنا ... خِزياً جَنيتَ به على الأنصارِ

فعليكَ من مولًى وناصرِ أُسرةٍ ... وعشيرةٍ غضَبُ الإله الباري

قال : فكاد مسلمٌ أن يموت غمّاً وبُكاءً وقال له : أنت شرٌّ عليّ من ابنِ قَنبر . ثم أُثاب وحَمِيَ ، فهتك ابنَ قَنْبر ومزَّقه حتى تركه ، وتحمَّل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة .

ونسختُ هذا الخبر من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه ، قال : حدَّثني الحسن بن سعيد قال : حدَّثني منصورُ بن جُمهُور قال : لمّا هجا ابنُ قَنبر مسلمَ بنَ الوليد أُمسك عنه مسلم بعد أن أشْلى عليه لسانَه[1] . قال : فجاءه عمٌّ له فقال له : يا هذا الرجل ، إنّك عند الناس فوق ابنِ قَنبر في عمود الشعر ، وقد بَعث عليك لسانَه ثم أمسكتَ عنه ، فإمّا أن قارَعْتَه أو سالَمْتَه . فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجَّد فيه ، وله بين ذلك دَعَوات يدعو بهنّ ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دَعَواته ، فإنّا نُكفاه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال : [من الكامل]

غلب ابنُ قَنبر واللئيمُ مُغلَّبٌ ... لما اتَّقيتَ هِجاءه بدُعاءِ

ما زال يقذف بالهِجاءِ ولذعه ... حتى اتّقوه بدَعوة الآباءِ !

قال : فقال له مسلم : واللهِ ما كان ابن قَنبر يبلغ منّي هذا كلَّه ، فأمسِكْ لسانك عنّي ، وتعرَّف خبره بعه هذا . قال : فبعث ، واللهِ ، عليه من لسان مسلم ما أسكتَه . هكذا جاء في الأخبار .

وقد حدَّثني بخبر مناقضتِه ابنَ قَنبر جماعة ذكروا قصائدَهما جميعاً ، فوجدت في الشعر الفضلَ لابنِ قَنبر عليه ، لأن له عدّةَ قصائد لا نقائضَ لها ، يذكر فيها تعريده[2] عن الجواب ،

---

1 أشلى لسانه : أطلقه .

2 تعريده : هربه .

وقصائدَ يذكر فيها أن مسلماً فَخَر على قريش وعلى النبيّ ﷺ ورماه بأشياء تُبيح دَمه ، فكفَّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها ، وجَحَد أشياء كان قالها فيه .

[الطرماح يهجو بني تميم]

فممّن أخبرني بذلك هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار ، وكان عالِماً بشعر مسلم بن الوليد وأخباره ، قال : كان سببُ المهاجاة بين مسلم بنِ الوليد والحَكَم بنِ قَنبر أنّ الطِّرِمَّاح بنَ حكيم قد كان هجا بني تميم بقصيدته التي يقول فيها[1] : [من البسيط]

لا عَزَّ نصرُ امرىءٍ أضحى له فرسٌ على تميم يريد النصرَ من أحدِ
إذا دعا بشعارِ الأَزْدِ نفَّرهم كما يُنفِّر صوتُ الليث بالنَّقَدِ
لو حانَ وِردُ تميم ثم قيل لهم : حَوضُ الرسولِ عليه الأزدُ لم تَرِدِ
أو أنزلَ الله وحْياً أن يعذِّبَها إن لم تَعُد لقتال الأزد ، لم تَعُدِ

وهي قصيدة طويلة ، وكان الفرزدق أجاب الطِّرِمَّاح عنها ، ثم إنّ ابنَ قنبر المازنيّ قال بعد خبر طويل يردّ على الطِّرِمَّاح : [من البسيط]

يا عاوِياً هاج لَيْثاً بالعُواء له شَثْنَ البراثن وَرْدَ اللون ذا لِبَدِ
أيّ الموارد هابت جَمَّ غَمْرتِه بنو تميم على حال فلم تَرِدِ
ألم تَرِدْ يوم قَنْدابيل مُعلمَة بالخَيْل تَضْبِر نحو الأزْد كالأُسُدِ[2]
بفتيةٍ لم تنازِعْها فتطبعَها بلؤمها طيِّىءٌ ثدياً ولم تلدِ
خاضت إلى الأزد بحراً ذا غوارب من سُمْرٍ طوالٍ وبحراً من قَناً قِصَدِ
فأوردَتْها مَناياها بِمُرْهَفَةٍ مُلسِ المضارب لم تُفْلَلْ ولم تكدِ

وهي قصيدة طويلة . وقد كان الطِّرِمَّاح قال أيضاً[3] : [من الطويل]

تميمٌ بطُرْقِ اللؤمِ أهدى منَ القَطا ولو سَلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ
أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى عظامَ المخازي عن تميم تَجَلَّتِ

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها ، وردَّ ابن قَنبر ينقُضُها[4] : [من الطويل]

1 ديوان الطرماح : 160 .
2 قنداببل : مدينة بالهند .
3 ديوان الطرماح : 59–60 .
4 ديوان الفرزدق 1 : 115 .

لَعمرُك ما ضلَّتْ تَميمٌ ولا جَرَتْ ... على إثر أَشْياخ عن المَجْد ضَلَّتِ
ولا جَبُنت بل أُقدَمت يوم كسَّرت ... لها الأزدُ أغمادَ السُّيوفِ وسَلَّتِ
بغائط قَنْدابِيلَ والمَوْتُ خائضٌ ... عليها بآجالٍ لها قد أظلَّتِ
فما بَرِحت تُسقى كُؤوسَ حِمامِها ... إذا نَهِلتْ كرُّوا عليها فعَلَّتِ
إلى أَن أَبادَتْهم تَمِيمٌ وأكذبت ... أمانيَّ للشَّيطان عنها اضمحلّتِ
وحانَ فِراقٌ منهمُ كُلَّ خَدْلَة ... مُفارِقةٍ بَعلاً به قد تَمَلَّتِ

وهي أيضاً طويلة قال : فبلَغَ مُسلِمَ بن الوليد هجاءُ ابن قَنْبر للأُزْد وطيّىء وردُّه على الطِّرِمَّاح بعد موته ، فغضب من ذلك ، وقال : ما المعنى في مناقضة رجُل مَيّت وإثارة الشَّرّ بذِكر القبائل ، لا سيّما وقد أجابه الفرزدقُ عن قوله ؟ فأبى ابنُ قنبر إلاّ تمادياً في مُناقضته ، فقال مسلم قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الكامل]

آياتُ أَطلالٍ برامةَ دُرَّسِ ... هِجْن الصَّبابةَ إذ ذكرْتُ مُعرَّسي[2]
أَوحَتْ إلى دِرَرِ الدُّموع فأسْبَلت ... واستَفْهَمْتها غيرَ أَنْ لَمْ تَنبسِ

يقول فيها يصف الخمر : [من الكامل]

صفراءُ من حَلب الكروم كسوتُها ... بيضاء من حَلب الغُيُوم البُجَّسِ
طارت ولاوَذَها الحَبابُ فحاكَها ... فكأن حِلْيَتَها جَنِيُّ النَّرجِسِ[3]

ويقول فيها يَصِف السُّيوفَ : [من الكامل]

وتُفارِقُ الأغمادَ تبدُو تارةً ... حُمْراً وتَخفى تارة في الأرؤُسِ[4]
حَربٌ يكون وَقودَها أبناؤُها ... لَقِحَتْ على عُقْرٍ ولَمّا تَنفَسِ
من هاربٍ رَكِب النَّجاء ومُقْعَصٍ ... جَثَمت منيَّتُه على المُتنفِّسِ
غصَبَتْه أَطرافُ الأَسِنَّة نفسَه ... فثَوى فَريسةَ وُلَّغٍ أو نُهَّسِ
إن كنتِ نازلةَ اليفاع فَنكِّبي ... دار الرَّباب وخَزْرجي أَو أَوْسي[5]

---

1 ديوان مسلم : 130–140 .
2 الديوان :
آيات أطلال برامة درس ... هجن الصبابة واستترن معرسي
3 الديوان : مزجت ولاوذها . . .
4 الديوان : وبوارق الأغماد .
5 الديوان : فجنبي .

وتجنّبي الجَعْـراءَ إنَّ سُيوفَهـم حُـدُثٌ وإن قناتَهـم لم تَضْرَسِ[1]
هـل طَيِّئٌ الأجبال شاكرةُ امرئٍ ذادَ القـوافيَ عن حِماهـا مِردسِ[2]
أحمـي ، أبـا نفْـر ، عِظامَ حَفِيرة دَرَسَتْ وباقـي غَرْسِها لم يَدرُسِ[3]
كافـأتُ نِعْمتهـا بضِعْفِ بلائهـا ثـم انفـردْتُ بمنْصِب لم يَدْنَسِ[4]
وإذا افتخـرتُ عددْتُ سَعيَ مآثـرٍ قَصَرت على الإغضاء طَرْفَ الأشْوسِ
رَفَعت بَنُـو النّجّـارِ حِلْفي فيهمُ ثم انفردتُ فأَفسَحُوا عن مَجلِسي[5]
فاعقِـلْ لسانَك عـن شتائِمِ قومِنا لا يعلقنّـك خـادرٌ مـن مأنَسِ[6]
أخلفْت فَخْـرَك مـن أَبيك وجِئْتَني بـأبٍ جَديـدٍ بعـد طُولِ تَلمُّسِ[7]
أخـذَتْ عليـه المحكَماتُ طريقَها فغَـدا يُهاجـي أعظُماً في مَرْمَسِ[8]

قال : فلم يُجبْه ابن قَنْبر عن هذه بشيء ، ثم التقيا فتعاتَبا ، واعتذر كلّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، فقال مُسلم يهجوه : [من الكامل]

حَلُمَ ابنُ قَنْبر حـين قصَّر شِعرُه هل كان يَحلُم شاعرٌ عـن شاعرِ

[هجاء قريش والفخر بالأنصار]

وقد مَضت هذه الأبيات مُتقدّماً . قال : ومكث ابنُ قنْبر حيناً لا يُجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكَفافِ ، ثم هجا مُسلم قريشاً وفخر بالأنصار فقال[9] : [من الخفيف]

قل لِمَن تاه إذ بِنا عـزَّ جهْلاً ليس بالتِّيـه يفخَـر الأَحرارُ
فتناهَوْا وأَقصِروا فلقـد جـا رَتِ عن القَصْدِ فيكمُ الأنصارُ[10]

---

1 وتجنبي الجعراء في الديوان : وتجنبي الخفراء .
2 الديوان : حماها الأقعس . والمردس : آلة للتسوية والتكسير .
3 الديوان : أُحمى . . . وباقي عزها .
4 الديوان : بفضل بلائها .
5 الديوان :

رفعت بنو النجار بيتي فيهـم ثم انثنيت فأفسحوا في المجلس

6 قومِنا في الديوان : عرضنا .
7 وجئتني في الديوان : فجئتني .
8 الديوان : فغدا يناقض .
9 ديوانه : 315–316 .
10 الأنصار في الديوان : الأبصار .

أيُّكم حاطَ ذا جِوارٍ بعزٍّ ... قبل أنْ تحتويه مِنّا الدّارُ
أو رَجا أن يفوتَ قوماً بوِتْرٍ ... لم تَزَلْ تمتَطِيهمُ الأوتارُ
لم يَكُن ذاك فيكمُ فدَعوا الفخْـ ... ـر بما لا يَسوغُ فيه افتِخارُ
ونِزاراً ففاخِرُوا تَفضلُوهم ... ودَعُوا مَنْ لـه عبيداً نِزارُ
فَبِنا عَزّ منكمُ الذُّلُّ والدّ ... هْرُ عليكم بريبةٍ كرّارُ
حاذِرُوا دولةَ الزّمان عليكمْ ... إنّه بين أهلِه أطْوارُ
فتَرَدُّوا ونحنُ للحالةِ الأو ... لى وللأوْحد الأذلّ الصَّغارُ
فاخرَتْنا لمّا بَسَطنا الفخـ ... ـرَ قريشٌ وفخرُها مُستَعارُ
ذكرتْ عِزَّها وما كان فيها ... قَبْل أن يَسْتَجيرَنا مُستَجارُ
إنَّما كان عِزُّها في جبال ... تَرتَقيها كما ترقّى الوِبارُ[1]
أيُّها الفاخِرُونَ بالعِزّ ، والعِـ ... ـزُّ لقَومٍ سِواهُمُ والفخارُ
أخبِرونا مَنِ الأعزُّ ألْمَنْـ ... ـصورُ حتى اعتلى أم الأنصارُ ؟
فَلَنا العِزُّ قبل عِزّ قُريشٍ ... وقُريشٌ تِلك الدُّهور تِجارُ

[رد ابن قنبر]

قال : فانبرى له ابن قنبر يُجيبه فقال : [من الطويل]

ألا امثُلْ أميرَ المُؤمنين بمُسلمٍ ... وأفلِق به الأحشاءَ من كلّ مُجرمِ
ولا تَرجِعَنْ عن قَتْله باستِتابةٍ ... فما هو عن شَتْم النَّبيّ بمُحرِمِ
ولا عن مُساواةٍ له ولقوْمه ... قُريشٍ بأصداءٍ لِعادٍ وجُرْهُمِ
ويفخَر بالأنصار جَهْلاً على الذي ... بنُصرته فازوا بحظٍّ ومَغْنمِ
وسُمُّوا به الأنصارَ لا عزَّ قائلٌ ... أرادَ قُريشاً بالمَقالِ المُذمَّمِ
ومنهم رَسولُ الله أزكى مَنِ انتَمى ... إلى نَسب زاكٍ ومجْدٍ مُقدَّمِ
وما كانَت الأنصارُ قبل اعْتِصامِها ... بنَصْر قُريش في المحلّ المُعَظَّمِ
ولا بالأُلى يعلُون أقدارَ قومِهم ... صُداءٍ وخَولانٍ ولَخمٍ وسلْهَمِ
ولكنَّهم بالله عاذُوا ونَصرِهم ... قريشاً ومن يَسْتعصِمِ اللهَ يُعصَمِ

1 الوبار : جمع وبرة ، وهي دويبة كالسنور أصغر منه .

فعَزُّوا وقــد كانوا وفِطْيَونُ فيهم　من الذلّ في باب من العزّ مُبْهمِ[1]
يسومهم الفِطْيَوْن مـا لا يُسامُه　كريمٌ ومن لا يُنكر الظُّلم يُظلَمِ
وإنّ قُريشاً بالمآثــر فُضِّلَــتْ　على الخلقِ طُرّاً من فَصيح وأعْجَمِ
فما بالُ هــذا العِلْج ضلَّ ضلالُه　يَمُدّ إليهم كــفَّ أجذَم أعْسَمِ[2]
يُسامي قُريشاً مُسلمٌ وهمُ همُ　بمولًــى يَمانِــيٍّ وبيتٍ مُهَدَّمِ
إذا قام فيــه غيرهم لم يكُن لــه　مقامٌ به من لُــؤم مَبْنًى ومَدْعَمِ
جَعاسيسُ أشباهُ القُرود لــو انّهم　يُباعون ما ابتِيعوا جميعاً بِدرْهمِ[3]
وما مُسلِمٌ مــن هؤلاء ولا أُلى　ولكنّــه مــن نسْل عِلْجٍ مُلَكَّمِ
تولّى زماناً غيرهــم ثُمَّتَ ادَّعى　إليهــم فلم يَكــرُم ولم يَتكرَّمِ
فإن يَــكُ منهم فالنَّضير ولِفُّهُم　مواليــه لا مَــنْ يدَّعي بالتَّزعُّمِ
وإن تدعُــه الأنصارُ مولًى أسمهُمُ　بقافيةٍ تَسْتكــرِه الجِلْــدَ بالدَّمِ
عِقاباً لهــم في إفكهــم وادّعائهم　لأقلــفَ منقوش الذراع مُوَشَّمِ
فلا تَدَّعوه وانتفوا منــه تسْلَموا　بنَفْيِكُمُــوه مــن مَقــامٍ ومأْثمِ
وإلاّ فغُضُّوا الطَّرْفَ وانتظروا الرَّدى　إذا اختلفت فيكم صوارِدُ أسهُمِي
ولم تَجدوا منهــا مِجَنّاً يُجنُّكم　إذا طلعت مــن كُلّ فجٍّ ومَعْلَمِ
وأنُتم بنو أذنــاب مــن أنتمُ له　ولستم بأبنــاء السَّنام المقدَّمِ
ولا ببنــي الرأسِ الرفيــع مَحلُّــه　فيسمو بكم مَولًى مُسامٍ ويَنْتمي
فكيفَ رضيتم أن يُسامى نبيّكم　ببيتكــمُ الــرَّثّ القصيرِ المهدَّمِ
سأحطِم مــن سامى النبيَّ تطاوُلاً　عليــه وأكــوي مُنتماه بِميسَمِ
أيُعدلُ بيــتٌ يثربــيٌّ بكعبــةٍ　ثوتهــا قُريشٌ في المكان المُحرَّمِ
قُريش خِيــارُ الله والله خصَّهــم　بذلك فاقْعَسْ أيُّها العِلْجُ وارْغَمِ
ومَنْ يَــدّعي منــه الولاءَ مُؤخَّرٌ　إذا قِيل للجارِي إلى المجدِ أقدِمِ

---

1 فطيون : ملك بيثرب .

2 الأعسم : من يبس مفصل رسغه حتى اعوج .

3 جعاسيس : قصار ، جمع جعسوس .

[هجاء تميم]

قال : وكان مُسلِم قال هذه القصيدة في قريش وَكَتمها ، فوقَعت إلى ابن قَنْبر ، وأجابه عنها ، واستَعلى عليه وهَتكه ، وأغْرى به السُّلطان ، فلم يكن عند مُسلم في هذا جواب أكثر من الانتِفاء منها ، ونسبتها إلى ابن قنْبر ، والادّعاء عليه أنَّه ألصقَها به ونسَبها إليه ، ليُعرِّضه للسُّلطان[1] ، وخافه فقال ينتفي من هذه القصيدة[2] ويهجو تميماً[3] : [من الطويل]

دعوتَ أَميرَ المُؤمنين ولم تَكُن ... هُناك ، ولكن مَنْ يَخَفْ يَتَجشَّمِ
وإنَّكَ إذ تَدْعُو الخليفةَ ناصِراً ... لكالمُتَرَقِّي في السماء بسُلَّمِ
كذاكَ الصَّدى تَدْعوه من حيث لا تَرى ... وإن تَتَوهَّمْه تَمُتْ في التَّوهُّمِ
هجوتَ قُرَيْشاً عامداً ونحلْتَني ... رُويدَكَ يَظهرْ ما تَقول فيُعْلَمِ
إذا كان مِثْلي في قَبيلي فإنَّه ... على ابنَيْ لُؤيٍّ قُصْرَةً غير مُتْهِمِ
سيكْشِفُك التَّعدِيلُ عمّا قَرفْتني ... به فتأخَّرْ عارِفاً أو تَقدَّمِ
فإنَّ قُرَيْشاً لا تُغيِّر وُدَّها ... ولا يُسْتَمالُ عهدُها بالتَّزعُّمِ[4]
مضى سَلفٌ منهم وصلَّى بِعَقْبِهم ... لنا سلفٌ في الأوَّل المُتقدِّمِ
جَرَوْا فَجرْينا سابِقينَ بسَبْقهم ... كما اتَّبعَتْ كفٌّ نواشرَ مِعْصَمِ
وإنَّ الذي يَسْعى ليقطَع بيننا ... كمُلتمِس اليربُوعِ في جُحرِ أرقَمِ
أضلَّك قَدْعُ الآبِدات طرِيقَها ... فأصبحتَ من عَمِيائِها في تَهَيُّمِ[5]
وخانَتك عند الجري ، لمّا اتَّبَعْتَها ، ... تميمٌ فحاولتَ العُلا بالتقَحُّمِ[6]
فأصبحتَ ترميني بسَهمي وتتَّقي ... يَدي بيدِي ، أُصلِيتَ نارَك فاضْرَمِ

[ابن قنبر يواصل هجاءه]

قال : ثم هجاه ابنُ قنبر بقصيدة أوَّلُها : [من الخفيف]

1 ل : ليعرض به .
2 ل : فقال يهجو من .
3 ديوانه : 339 .
4 لا تغير ودّها في الديوان : لا يُغادَر ودُّها .
5 الديوان : أُضلك قرع الآبدات . والقدع : المجاوزة . والتهيم : الحمل على الهيام .
6 ل : لما ابتغيتها . . . فحاولت الغنى .

قُلْ لعبدِ النَّضير مُسلمٍ الوغْـ ـدِ الدّنيِّ اللئيم شيْخ النِّصابِ[1]
اخسَ يا كلبُ إذ نبحتَ فإنِّي لستُ مِمَّن يجيبُ نَبْحَ الكِلابِ
أَفأرضى ومنْصِبي مَنْصبُ العِزّ وبيتـي في ذِرْوة الأحسابِ
أن أَحطَّ الرَّفيعَ من سَمْك بيْتي بمُهاجـاة أوشَبِ الأوشابِ
مَنْ إذا سِيل : مَن أَبُوه ؟ بَدا منـ ـه حياءٌ يَحمِيه رجْع الجوابِ
وإذا قيل حين يُقبِلُ : من أنـ ـتَ ومَنْ تعتزيه في الأَنْساب ؟
قلتَ : هاجي ابنِ قنبر ، فتسربلـ ـتَ بذكري فخراً لَدى النُّسَّابِ

وهي قصيدة طويلة ، فلم يُجِبه مُسلم عنها بشيء ، فقال فيه ابن قنْبر أيضاً : [من الخفيف]

لستُ أنفيك إنْ سِوايَ نَفاكا عن أَبيك الذي لـه مُنتماكا
ولمـاذا أنفيك يـا ابنَ وليدٍ من أبٍ إن ذكرتَـه أَخزاكا
ولـو آنِّي طلبتُ ألأمَ منـه لم أَجِده إن لم تكن أنتَ ذاكا
لو سِواه أَبـاك كان جَعَلنا إنْ النـاسُ طاوعونـا أَباكا
حاك دهراً بغَيْر حِذقٍ لبُرْد وتحوكُ الأشعار أنتَ كذاكا[2]

وهي طويلة ، فلم يُجِبه مسلم عنها بشيء ، فقال ابن قَنْبر أيضاً يهجوه : [من الخفيف]

فَخـر العبدُ عبدُ قِـنّ اليهودِ بضعيفٍ من فخـرِه مَرْدودِ[3]
فاخر الغُـرَّ مـن قريش بإخْوا ن خنازيـر يثـربٍ والقُرودِ
يتولَّـى بنـي النَّضير ويدعُـو بهـمُ الفَخْرَ مـن مكان بَعيدِ
وبَنِي الأوسِ والخزارج أَهْل الذّ لّ في سالـف الزّمـان التَّليدِ
إذ رَضُوا بافتضاض فِطْيَوْن منهم كلّ بِكْـرٍ ريَّـا الرَّوادفِ رُودِ
وبنـو عمِّهـا شُهود لَما يَفْـ ـعل فِطْيَوْنُ قُبِّحوا من شُهودِ
خَلْفَ باب الفِطْيَون والبَعْل منهم لا بـذي غَيرةٍ ولا بنجِيـدِ
فإذا مـا قَضى اليهُوديّ منها نَحْبـه قُنّعُوا بخِـزْيٍ جديدِ[4]

1 شيخ في ل : سنخ .
2 لبرد في ل : بحوك .
3 ل : علج اليهود .
4 نحبه في ل : وطراً .

قال : فلمّا أفحش في هذه القصيدة وفي عدَّة قصائد قالها ، ومُسلم ممسك عنه لا يُجيبه ، مشى إليه قوم من مَشْيخة الأنصار ، واستعانوا بمشيخة من قُرَّاء تميم وذوي العِلم والفَضْل منهم ، فمشوا معهم إليه فقالُوا له : ألا تستحي من أن تَهجو من لا يُجيبك ؟ أنتَ بدأتَ الرَّجلِ فأجابك ، ثم عُدت فكفَّ ، وتجاوزْت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسولُ الله ﷺ يحميها ويذُبّ عنها ويصونها ، لغير حال أحلَّت لك ذلك منهم ، فما زالوا يَعظونه ويقُولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لُمسلمٍ ، فانقطعت .

صوت

[من البسيط]

ثلاثــةٌ تُشرق الدُّنيــا ببَهْجتهم شمسُ الضحى وأَبُو إسحاق والقمرُ
يحكــي أفاعيلَــه في كلّ نائبـةٍ الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

الشعر لمحمد بن وُهَيب ، والغناء لعلّويَه ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثقيل أوّل آخر عن الهشاميّ .

[399] ـ أخبار محمد بن وهيب[1]

محمد بنُ وُهَيْب الحِمْيَريّ صَلَيبَة شاعر من أهلِ بغداد من شُعراء الدولة العبّاسيّة ، وأصلُه من البصرة ، وله أشعار كثيرة يذكُرها فيها ويتشوَّقُها ، ويصف إيطانَه إيّاها ومنشأه بها .

[يتكسّب بالمديح]

وكان يَستَمْنِحُ الناسَ بشعره ، ويتكسَّب بالمديح ، ثم توسَّل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضَّحاك ومدَحه ، فأوصلَه إليه وسَمِع شعره فأُعجِب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسْنَى جائزَته ، ثم لم يزل مُنْقطِعاً إليه حتى مات . وكان يتشيَّع ، وله مَراثٍ في أهل البيت .

وهو متوسّط من شعراء طبقته ، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة ، وأشياء متكلفة .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال : زعم أبو مُحلِّم ، وأخبرني عمِّي ، عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى ، عن أبي مُحلِّم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصِم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيّات أنّ أمير المؤمنين يقول لكم : مَن كان منكم يُحسِن أن يقول مثلَ قول النمريّ في الرشيد[2] : [من البسيط]

خَلِيفَـةَ اللهِ إنّ الجُـودَ أودِيَـةٌ ... أحلَّـك اللهُ منهـا حيـث تجتمعُ

مَـنْ لم يكـن بأمين الله مُعتصماً ... فليس بالصلوات الخمس ينتفـعُ

إنْ أخلف القطرُ لم تُخلِفُ مخايلُه ... أو ضـاق أمـرٌ ذكرنـاه فيتّسِعُ

فليدخل وإلاّ فلْينصرف ، فقام محمدُ بن وُهَيب فقال : فينا مَن يقول مثله ، قال : وأيّ شيء قُلت ؟ فقال : [من البسيط]

ثلاثـةٌ تُشرِق الدُّنيـا ببهجتهم ... شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ

تحكـي أفاعيلَـه في كلِّ نائبـةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

فأمر بإدْخاله وأحسن جائزَته .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بن محمد بن

---

1 ترجمة محمد بن وهيب في معجم المرزبانيّ : 357–358 وطبقات ابن المعتزّ : 310–313 ومعاهد التنصيص 1 : 220–230 والوافي 5 : 175 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان منصور النمري : 95 .

مروان بن موسى قال : حدَّثني محمد بن وُهَيْب الشاعر قال[1] : لمّا تولّى الحسنُ بن رجاء بن أبي الضَّحاك الجبلَ قلتُ فيه شِعراً وأنشدتُه أصحابنا دِعْبِلَ بنَ عليّ وأبا سعد المخزوميّ وأبا تمّام الطائيّ ، فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمري من الأشعار التي تُلقى بها الملوكُ ، فخرجتُ إلى الجبل فلمّا صِرْتُ إلى هَمَذان أخبره الحاجبُ بمكاني فأذِن لي فأنشدته الشعرَ فاستحسن منه قولي : [من الطويل]

أجارَتنــا إنّ التّعفّــفَ بــالياسِ وصَبْراً على استِدْرار دُنيا بإبْساسِ

حَرِيَّـــان ألاّ يقذِفـــا بمذلّـــةٍ كريماً وألاّ يُحوِجـاه إلى الناسِ

أجارتنــا إنّ القِــداحَ كــواذِبٌ وأكثرُ أسباب النَّجاح مـع الياسِ

فأمر حاجبَه بإضافتي فأقمتُ بحضرته كلّما دخلت إليه لم أنصرف إلاّ بحُمْلان أو خِلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ . فقال لي : يا محمد إنّ الشتاء عندنا عِلْج[2] فأعدَّ يوماً للوداع . فقلت : خدمة الأمير أحبُّ إليّ ، فلمّا كاد الشتاء أن يشتَدّ قال لي : هذا أوانُ[3] الوداع ، فأنشدني الثلاثةَ الأبيات فقد فهمت الشعر كلّه ، فلمّا أنشدته : [من الطويل]

أجارَتَنــا إنّ القِــداحَ كــواذِبٌ وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

قال : صدقت ، ثم قال : عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطُوه لكلّ بيت ألفَ درهم ، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً ، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم ، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي : [من المتقارب]

صوت

دِمــاءُ المُحبِّــين لا تُعقَــلُ أما في الهـوى حَكَمٌ يعدِلُ !

تعبَّــدني حَــــوَرُ الغانيــاتِ ودانَ الشبابُ لــه الأخطـلُ[4]

ونظــرةِ عـــينٍ تعلَّلتُهــا غِـراراً كما ينظـر الأحـولُ

مُقَسَّمةٍ بـين وجـه الحبيبِ وطرف الرقيبِ متـى يغفَـلُ

في هذه الأبيات هَزَج طنبوريّ سمعته من جحظة ، فذكر أنّه يُراه للمسدودِ ولم يُحقّق صانعه .

قال الأصفهانيّ : هذه الأبيات من قصيدة له في المطَّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ . قال

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 220–221 .

2 علج : شديد .

3 ل : يوم .

4 معاهد : الأخضل .

محمد بنُ وُهيب : وأُهدِي إلى الحسن بن رجاء غلامٌ فأُعجِب به فكتبتُ إليه : [من مخلع البسيط]

ليهنك الزائـرُ الجديـدُ جرى به الطائرُ السعيدُ
جاء مشوقٌ إلى مشوقٍ فـذا وَدُودٌ وذا وَدودُ
يَـومُ نَعيـمٍ ويومُ لهوٍ خُصِصْتَ فيـه بما تريدُ
إلـفٌ مشوقٌ أتاه إلفٌ فمستفـادٌ ومُستفيـدُ

حدَّثني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار بهذا الحديث ، عن يعقوبَ بن إسرائيل قَرْقارة ، عن محمد بن محمد بن مروان بن موسى ، عن محمد بن وُهَيب ، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه ، فلم يزل يستعيدُني : [من الطويل]

أَجارتنـا إنّ القِـداح كواذِبٌ وأَكثر أَسباب النّجاح مع الياسِ

وأنا أعيده عليه ، فانصرفت من عنده بأكثر ممّا كنت أؤمل .

[أبو دلف يعجب بشعره]

حدَّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال : حدَّثني أَبو هِفّان قال : حدَّثني خالي قال : كنت عند أَبي دُلَف القاسم بن عيسى ، فدخل عليه محمد بنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جدّاً ، فلمّا انصرف قال له أخوه مَعْقِل : يا أخي ، قد فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه ، ما هو في بيت من الشّرف ، ولا في كمال من الأدب ، ولا بموضع من السلطان ، فقال : بلى يا أخي ، إنّه لحقيق بذلك . أو لا يستحقّه وهو القائل[1] : [من المتقارب]

صوت

يَـدُلّ على أَنّني عاشقٌ من الدمعِ مُسْتَشْهَدٌ ناطِقُ
ولِي مالكٌ أَنـا عبدٌ له مُقِـرٌّ بأَنّي لـه وامِقُ
إذا مـا سموتُ إلى وَصلِه تعرّض لي دونـه عائقُ
وحاربني فيه ريبُ الزّمان كأَنَّ الزّمان لـه عاشِقُ

في هذه الأبيات رمل طُنبُوريّ أظنُّه لجحظة .

[تهنئة المطلب الخزاعي بالحجّ]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : لمّا قَدِمَ المُطَّلِب بنُ عبد الله بن مالك من الحجّ لَقِيه محمد بنُ وُهيب مستقبِلاً مع مَن تلقّاه ، ودخل إليه مهنّئاً بالسّلامة بعد استقراره ، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة

1 الأبيات في معاهد التنصيص 1 : 222 .

طويلة مدحه بها ، يقول فيها[1] : [من الطويل]

وما زلتُ أسترعِي لك الله غائباً وأُظْهِرُ إشفاقـاً عليـك وأكتمُ[2]
وأعلم أنّ الجودَ ما غِبتَ غائبٌ وأنّ النّدى في حيث أنتَ مُخَيِّمُ[3]
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً وحُـمَّ لقـاءٌ بـالسُّعود ومَقْدَمُ
وظَلَّ يُناجيني بمدْحِـك خاطري وليـليَ ممـدودُ الرّواقـين أدهمُ[4]
وقالوا : طواه الحجُّ فاخشعْ لفقده ولا عيشَ حتـى يستهِـلَّ المحرَّمُ
سيفخَر مـا ضمَّ الحطيمُ وزمزمٌ بمُطَّلـبٍ لـو أنّـه يتكلّـمُ
ومـا خُلِقَتْ إلاّ مـن الجودِ كَفُّه على أنّهـا والبأس خِدْنـانِ توأمُ
أعـدْتَ إلى أكنافِ مكّـة بَهْجَةً خُزاعِيَّـةً كانـت تُجَلُّ وتُعظَمُ[5]
ليـالي سُمَّارُ الحَجون إلى الصَّفـا خُزاعة إذ خلَّت لها البيتَ جُرهُمُ
ولو نطقت بَطحاؤها وحَجُونها وخيفُ مِنًـى والمأزِمانِ وزمزمُ[6]
إذاً لدعَتْ أجزاءُ جسمك كلها تَنافسُ في أقسامـه لـو تُحَكَّمُ[7]
ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بـدءِ خلقه إذاً كنـت جسماً بينهن تُقَسَّمُ
سَما بك منهـا كلّ خَيْفٍ فأبطحٍ نَما بك منـه الجوهـرُ المتقدِّمُ[8]
وحنَّ إليك الركـنُ حتى كأنَّه وقـد جئتَه خِـلٌّ عليك مُسَلِّمُ

قال : فوصله صلة سنيّة وأهدى له هديّة حسنة من طُرَف ما قدم به وحمله ، والله أعلم .

[انقطاعه إلى الحسن بن سهل]

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني الحسنُ بن الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله قالوا : كان محمدُ بن وُهَيب الحميريّ لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان مُضاعاً مُطَّرَحاً ، إنّما يتصدَّى للعامّة وأوساط الكتّابِ والقوّادِ بالمديح ويسترفِدُهم فيحظى باليسير . فلمّا هدأت الأمور واستقرّت

1 الشعر في التذكرة الحمدونية 4 : 181 .
2 أسترعي في ل : استدعي .
3 التذكرة : في حيث كنت .
4 التذكرة : وظل . . . خاطر .
5 تُعظمُ في التذكرة : وتكرم .
6 المأزمان : موضع بمكّة .
7 ل والتذكرة : إذاً لادعت .
8 التذكرة : خيف وأبطح . . . تصابك منه .

واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصَّته وذوي مودَّتِه ومَن يقرب من أُنسِه ، فتوسّل إليه محمد بن وُهَيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء ، فلمّا انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

ودائعُ أسرارٍ طَوَتْهـا السرائـرُ ... وباحـت بمكتوماتهِـنّ النّواظرُ
مَلكْتُ بهـا طـيّ الضميرِ وتحته ... شَبا لوعـةٍ عضبُ الغِرارين باترُ
فأعجم عنها ناطِقٌ وهـو مُعرِبٌ ... وأعرَبت العُجمُ الجفونُ العواطِرُ
أَلَم تغذُني السَّرّاءُ في رَيِّقِ الهوى ... غريـراً بمـا تَجْني عليّ الدَّوائِرُ
تُسالمني الأيّـامُ في عُنفوانِـه ... ويكلؤُني طَرْفٌ مـن الدهرِ ناظِرُ

حتى انتهى إلى قوله :

إلى الحسَن الباني العُلا يَمَّمتْ بنا ... عَوالي المُنـى حيثُ الحَيا المتظاهِرُ
إلى الأَملِ المبسُوطِ والأَجل الذي ... بأعدائِـه تكبُـو الجِـدودُ العواثِرُ
ومن أنبعت عـينَ المكارمِ كفُّه ... يقوم مقـامَ القَطرِ والروضُ داثِرُ
تعصَّبَ تـاجَ الملكِ في عُنفوانِه ... وأطَّت بـه عصرَ الشَّبابِ المنابِرُ[1]
تُعَظِّمُه الأَوهـامُ قبـلَ عِيانه ... ويصدُر عنه الطَّرف والطَّرف حاسِرُ
به تُجتدى النُّعمَى وتُستَدرَك المُنى ... وتُستكمل الحُسنى وتُرعى الأَواصِرُ
أَصات بنـا داعـي نوالِك مؤذِناً ... بجـودك إلاّ أنّـه لا يُحاوِرُ[2]
قسمْتَ صُروف الدّهر بأساً ونائلاً ... فمالُـك موتـورٌ وسيفُـك واترُ
ولمّـا رأى اللهُ الخلافةَ قد وَهَتْ ... دعائمُهـا واللهُ بالأَمـر خـابِرُ
بَنى بـك أَركانـاً عليهـا مُحيطةً ... فأنـت لهـا دون الحوادثِ ساتِرُ
وأرعـنَ فيـه للسوابغ جُنَّـةٌ ... وسقفُ سمـاءٍ أنشأتْـه الحوافِرُ[3]

يعني أنَّ على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنّة لها .

لهـا فَلَكٌ فيـه الأَسنَّةُ أنجـمٌ ... ونقـعُ المنايـا مُستطِيرٌ وثائرُ

---

1 أطت : صوتت .
2 أصات بنا في ل : أهاب بنا . . .
3 أرعن : جيش مضطرب لكثرته .

أجزْتَ قضاءَ الموتِ في مُهَجِ العِدا ... ضُحًى فاستباحتْها المنايا الغوادِرُ[1]

لكَ اللَّحظاتُ الكالِئاتُ قواصداً ... بنُعمى وبالبأساء وَهْـي شَوازِرُ[2]

ولـو لَم تكُن إلاّ بِنَفْسِك فاخراً ... لـما انتسبتْ إلاّ إليـك المفاخرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض وقال : أحسنتَ والله وأجملْت ، ولو لم تَقُل قط ولا تقولُ في باقي دَهْرِك غير هذا لَما احتجتَ إلى القول ؛ وأمر له بخمسة آلاف دينار فأُحضِرت واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل في جَنْبتِه أيّامَ ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدَّى لغيره .

[هجاء علي بن هشام]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : كان محمد بن وُهَيب الحِميريّ الشاعر قد مدح عليَّ بن هشام وتردّد إليه وإلى بابه دَفَعات ، فحجبه . ولقيه يوماً ، فعرض له في طريقه وسلّم عليه ، فلم يرفع إليه طرفه ، وكان فيه تِيهٌ شديد . فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها ، فلمّا وصلت إليه خرَّقها وقال : أيّ شيء يريد هذا الثقيل السيِّءُ الأَدب ؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضَباً ، وقال : والله ما أردت مالَه ، وإنّما أردتُ التوسُّلَ بجاهه وسيُغني الله جلّ وعزّ عنه ، أما والله ليُذمَّنَّ مغبَّةَ فِعله . وقال يهجوه[3] : [من البسيط]

أَزْرت بجُـودِ عَلـيٍّ خِيفـة العَدَم ... فصَدَّ مُنهزِمـاً عـن شأْوِ ذي الهِمَمِ[4]

لو كانَ مِنْ فارِسٍ في بَيْت مَكرُمةٍ ... أو كان من وَلَد الأَملاكِ في العَجَمِ[5]

أو كان أوّلَـه أهـلُ البطاح أو الرَّ ... كـبُ المُلبُّـونَ إهـلالاً إلى الحَرَمِ

أيّـامَ تُتَّخَـذُ الأَصنـامُ آلهـةً ... فـلا تَـرى عاكِفـاً إلاّ على صَنَمِ

لشجَّعَتْـه على فعـل المُلـوك لهـم ... طَبائِـعٌ لم تَرُعْهـا خِيفَـةُ العَدَمِ

لم تنـدَ كَفَّاك من بَـذْل النَّوال كما ... لم ينـدَ سَيفُـك مُـذْ قُلِّدتَـه بدَمِ

كُنْتَ امـرءاً رفعَتْـه فِتْنَـةٌ فَعلا ... أيّامَهـا غـادِراً بالعَهْـدِ والذِّمَمِ

حتـى إذا انكشَفَت عَنّا عِمايَتُها ... ورُتِّـبَ النّاسُ بالأحسابِ والقِدَمِ[6]

---

1 ضحى في ل : به .

2 شزره : نظر إليه بمؤخرة عينه (في حال الاعراض أو الغضب) .

3 الخبر والشعر في معاهد التنصيص .

4 معاهد : أزرَت عليه الجود .

5 معاهد : الأملاك والعجم .

6 عمايتها في ل : غيابتها .

مــات التَّخلّقُ وارتدَّتــك مُرتَجعاً طَبيعــةَ نَذْلَــة الأَخــلاقِ والشِّيَمِ
كَذاكَ مَــنْ كان لا رأْساً ولا ذَنباً كَزَّ اليَدَيْــنِ حَدِيــثَ العَهْدِ بالنِّعمِ
هَيهاتَ ليس بحمّــالِ الدِّيات ولا مُعطِي الجَزِيلِ ولا المَرهُوبِ ذي النِّقَمِ

قال : فحدَّثني بعضُ بني هاشم أنَّ هذه الأبيات لمّا بلغت عليَّ بنَ هِشام ندم على ما كان منه ؛ وجَزِع لها وقال : لعن الله اللَّجاج فإنّه شرُّ خُلُقٍ تَخَلّقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال : الله يعلم أنّي لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلاّ وأنا مُسْتَحٍ منه ، أذكر قول ابنِ وُهَيب فيّ : [من البسيط]

لم تَندَ كَفّاك من بَذْلِ النَّوال كما لم يَنْدَ سَيفُك مـذ قُلِّدتَه بِدَمِ

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثني مَنْ سمع ابنَ الأعرابيّ يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بنِ وُهَيب : [من البسيط]

لم تَندَ كَفاكَ من بَذْل النّوال كما لم يندَ سيفُك مذ قُلّدتَه بِدَمِ

[أعرابيّة تسكته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني محمد بن مرزوق البصريّ قال : حدَّثني محمد بن وُهَيب قال[1] : جلستُ بالبصرة إلى عطّار فإذا أعرابيّة سوداء قد جاءت فاشترت من العطّار خَلُوقاً ، فقلت له : تجدُها اشترته لابنتها وما ابنتُها إلاّ خُنْفُساءة ، فالتفتت إليّ مُتَضاحكة ، ثم قالت : لا والله ، لكن مهاةٌ جيداء ، إن قامت فقَناةٌ ، وإن قعدت فحصاة ، وإن مشت فقطاةٌ ، أسفلُها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كَفَتياتِكم اللواتي تسمِّنونهنّ بالفَتُوت ، ثم انصرفت وهي تقول : [من الرجز]

إنّ الفَتُوتَ للفَتـاةِ مَضْرطَــه يَكرُبها في البَطْنِ حتى تَثلِطَه[2]

فلا أعلمُني ذَكرتُها إلاّ أضحكني ذِكرُها .

[عند يزيد بن هارون]

حدَّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا أبو هِفّان قال : كان محمد بنُ وُهَيب يتردّد إلى مجلس يزيد بن هارون ، فلزمه عدّة مجالس يُملي فيها كلّها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، لا يذكر شيئاً من فضائل عليّ عليه السلام ، فقال فيه ابنُ وُهَيب : [من البسيط]

آتــي يزيــدَ بنَ هــارونٍ أدالِجُه في كلِّ يَوْمٍ وَمالي وابن هارونِ

1 الخبر في معاهد التنصيص 1 : 229 . وفيه : تسمنونهن بالقتوت : وهو الأفاويه .
2 تثلطه : تسلحه .

فلَيتَ لي بيَزيــدٍ حين أَشهــدَهُ | راحــاً وقَصْفاً ونَدْمانــاً يُسَلِّيني
أَغدُو إلى عُصْبة صَمَّتْ مسامِعُهم | عن الهُــدى بــين زِنْديق ومأْفُونِ
لا يذكُرون عَلِيّاً في مَشاهِدِهم | ولا بَنِيــه بَنــي البِيضِ المَيامِينِ
اللهُ يَعْلَــم أَنّــي لا أُحِبُّهــمُ | كما هــمُ بيَقِــينٍ لا يُحِبُّــوني
ويَسْتَطِيعون عن ذكْرى أَبا حَسَن | وفَضْلــه قَطَّعُــوني بالسَّكاكينِ
ولستُ أَترُك تَفْضِيلي لــه أَبــداً | حَتى المَماتِ عَلى رَغْمِ المَلاعينِ

[تشيعه]

أَخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني إسحاق بن محمد الكوفيّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن يوسف . وأخبرني به الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم قال : حدَّثني إسحاق ، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال : كان محمد بن وُهَيب يأتي أبي فقال له يوماً : إنّك تأتينا وقد عرفتَ مذاهِبنا فنحبُّ أن تعرِّفنا مذهبَك فنوافقَك أو نخالفَك ، فقال لـه : في غد أُبيّن لك أمري ومذهبي . فلمّا كان من غدٍ كتب إليه : [من مجزوء الرمل]

أَيُّها السَّائِلُ قد بيَّنــ | ــتُ إن كنتَ ذَكِيّا
أَحمَــدُ اللهَ كَثِيــراً | بأَيادِيــه عَلَيّــا
شاهِــداً أَن لا إلــه | غيره مــا دمــتُ حَيّا
وَعلى أَحمــدَ بالصِّد | قِ رَسولاً وَنَبِيّــا
ومَنحْــتُ الوُدَّ قُرْبا | هُ ووالَيــتُ الوَصِيّا
وأَتــاني خبرٌ مُطَّرحٌ | لم يَــكُ شَيّــا
أَنْ على غير اجْتِماعٍ | عَقَــدُوا الأَمرَ بَدِيّـا
فوقَفتُ القَــوْمَ تَيْماً | وَعَدِيّــاً وأُمَيّــا
غَيْــر شَتَّامٍ ولَكنّــي | تولَّيــتُ عَلِيّــا

[اعتزازه بشعره]

حدَّثني جَحظة قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المُنَجِّم قال : بلغ محمدَ بنَ وُهَيب أَنّ دِعْبل بنَ عليّ قال : أنا ابنُ قَولي[1] : [من الكامل]

لا تَعْجَبي يــا سَلْمُ مــن رَجُــلٍ | ضَحِــك المَشيبُ برأْسِه فبَكى

---

1 الخبر والأبيات في معاهد التنصيص 1 : 229 .

وأنّ أبا تمّام قال : أنا ابن قولي : [من الكامل]

نَقِّل فؤادَك حَيْثُ شئْتَ من الهَوى مـا الحُـبُّ إلاّ للحَبيبِ الأَوَّلِ[1]

فقال محمد بن وُهَيب : وأنا ابنُ قولي : [من المديد]

مـا لِمَـن تَمَّت محاسِنُه أن يُعادي طَرْفَ مَنْ رَمَقا

لـكَ أن تُبدي لنا حَسَناً ولنـا أن نُعمِـل الحَـدَقا

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وهذا من جيّد شعره ونادِره ، وأوّل هذه الأبيات قولُه : [من المديد]

نَم فقد وَكَّلتَ بي الأَرَقا لاهياً تُغري بمَـنْ عَشِقا

إنّما أبقيتَ مـن جَسَدي شَبَحـاً غيرَ الذي خُلِقا

كنتُ كالنُّقصانِ في قَمَر ماحِقـاً منـه الذي اتَّسقا

وَفَتًى نـاداكَ من كَثَب أُسْعِرَت أحشاؤُهُ حُـرَقا

غَرِقَت في الدَّمـعِ مُقلتُه فدَعـا إنسانُهـا الغَـرَقا

إنّمـا عاقَبْـتَ ناظِـرَه أن أعـاد اللَّحظَ مُسْتَرِقا[2]

مـا لِمَـن تَمَّت محاسِنُه أن يُعادي طَرْفَ من رَمَقا

لَـكَ أن تُبدِي لنا حُسناً ولنـا أن نُعمِـل الحَدَقا

قدَحَت كَفّاكَ زَنْدَ هَوى في سَوادِ القَلْبِ فاحْتَرَقا

[يستوهب غلاماً]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أبو عبد الله الهِشاميّ عن أبيه قال[3] : دخل محمد بن وُهَيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلماناً رُوقةً مُرداً وخدَماً بيضاً فُرَّهاً في نهاية الحسن والكمال والنظافة . فدهش لما رأى وبقي مُتبلِّداً لا ينطق حَرفاً ، فضحِك أحمد منه وقال له : ما لكَ ؟ ويحك ! تكلَّم بما تريد ، فقال : [من الكامل]

قد كانت الأَصنامُ وَهْي قَدِيمَةٌ كُسِرَت وجَدَّعَهُـنَّ إبراهيمُ

ولَدَيْكَ أَصنامٌ سَلِمْنَ من الأَذى وصَفَت لَهُـنَّ غَضارَةٌ ونَعيمُ

وبِنـا إلى صَنَمٍ نَلُوذ بِرُكْنِـه فَقْرٌ وأَنت إذا هُـزِزْتَ كَرِيمُ

---

1 نقل في ل : قلّب .

2 اللحظ في ل : الطرف .

3 الخبر والأبيات في معاهد التنصيص 1 : 228 .

فقال له : اختَر مَن شئت ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إيّاه ، فقال يمدحه : [من الكامل]

فَضَلَتْ مَكارِمُـه على الأقوامِ وعَـلا فَحـازَ مكارِمَ الأيَّامِ
وعلَتْـه أُبَّهَةُ الجَـلالِ كأنَّه قَمَرٌ بدا لـك من خِلالِ غَمامِ
إنَّ الأميرَ على البَرِيَّـــة كُلِّها بعـد الخَليفة أحمدُ بنُ هشامِ

[اتّصاله بالمأمون]

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامة في خبره الذي ذكرتُه آنِفاً عنه ، عن الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال[1] : لمّا قدِم المأمونُ ، لقِيَه أبو محمد الحسن بنُ سَهل ، فدَخَلا جميعاً ، فعارضَهُما ابن وُهَيب وقال : [من البسيط]

اليومَ جُدِّدَت النَّعماءُ والمِنَنُ فالحمدُ للهِ حَـلَّ العُقدَةَ الزَّمَنُ
اليومَ أظهَرتِ الدُّنيا محاسِنَها للنّاسِ لما الْتقى المأمونُ والحَسَنُ

قال : فلمّا جلسا سأله المأمون عنه فقال : هذا رجل من حِمْيَر ، شاعر مطبوع ، اتّصل بي متوسِّلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نُظَرائه . فأمر المأمونُ بإيصالِه مع الشعراء ، فلمّا وقف بين يديه ، وأذِن له في الإنشاد ، أنشده قولَه : [من الكامل]

طَلَـلانِ طـال عليهما الأَمَدُ دَثَـراً فـلا عَـلَمٌ ولا نَضَدُ
لَبِسا البِـلى فكأنَّما وَجَـدا بعـد الأَحِبَّة مثـلَ مـا أَجِدُ
حُيِّيتُمـا طَلَلَــين حالُهمـــا بعـد الأَحِبَّـة غَيرُ مـا عَهِدُوا
إمَّـــا طَـوَاك سُلُـــوُّ غانِيَةٍ فهَـــواك لا مَلَـــلٌ ولا فَنَدُ
إن كنتِ صادِقَة الهَوى فرِدِي في الحُـــبِّ مَنْهَلِيَ الذي أَرِدُ
أَدَمي هَرقْـــتِ وأنـــتِ آمِنةٌ أم ليس لي عَقْلٌ ولا قَوَدُ ؟
إن كنتِ فُتِّ وخانني سَبَبٌ فلربَّمـــا لم يحــظَ مُجتهِدُ

حتى انتهى إلى قولـه في مـدح المأمون :

يـــا خَيْرَ مُنتَسِبٍ لمَكْرُمَــةٍ في المجدِ حيث تَبحْبَح العَدَدُ[2]
في كلِّ أُنمُلَــةٍ لراحَتِـــه نَــوءٌ يَسُحُّ وعارِضٌ حَشِدُ

---

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 224–225 .

2 تبحبح في معاهد التنصيص : تبجح .

وإذا القَنـا رَعَفَـت أسِنَّتُه عَلَقاً وصُـمٌّ كُعوبِها قِصَدُ[1]
فكأنَّ ضَـوءَ جَبينه قَمَـرٌ وكأنَّـه في صَولَـةٍ أسَدُ
وكأنَّـه رُوحٌ تُدَبِّرُنـا حَرَكاتُـه وكأنَّنـا جَسَدُ

فاستحسنها المأمونُ وقال لأبي محمد : احتكم له . فقال : أميرُ المؤمنين أولى بالحكم ، ولكن إن أذِن لي في المسألة سألتُ له ، فأمّا الحُكم فلا . فقال : سَلْ ، فقال : يُلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة . فقال : ذلك والله أردتُ . وأمَر بأن تُعدَّ أبياتُ قصيدتِه ويُعطى لكلّ بيت ألف درهم ، فعُدَّت فكانت خمسين ، فأُعطِي خمسين ألف درهم .

قال الأصفهانيّ : وله في المأمون والحسن بنِ سهل خاصّة مدائحُ شريفة نادرة ، من عيونها قَولُه في المأمون في قصيدة أوّلُها : [من الكامل]

العُـذرُ إن أنصفتَ مُتَّضِحُ وشهودُ حُبِّـك أدمـعٌ سُفُحُ
فضَحَت ضَميرَك عن وَدائِعِهِ إنَّ الجُفونَ نَواطِـقٌ فُضُحُ
وإذا تكلَّمـت العُيـونُ على إعجامِهـا فـالسِّرّ مُفتَضَحُ
رُبّمـا أبيـتُ مُعانقـي قَمَرٌ للحُسْنِ فيـه مخايـل تَضِحُ
نَشَر الجمـالُ على مَحاسِنِـه بِدَعاً وأذهَبَ هَمَّـه الفَرَحُ
يَخْتال في حُلَـلِ الشَّبابِ بـه مَـرَحٌ وداؤك أنّـه مَرِحُ
مـا زال يُلثِمُنـي مراشِفَـه ويَعُلُّنـي الإبريـقُ والقَدَحُ
حتـى استرَدَّ اللَّيـلُ خِلْعَتَه ونَشا خِـلالَ سَوادِه وَضَحُ
وبَـدا الصَّبـاحُ كأن غُرَّتَه وَجـهُ الخَليفةِ حـين يُمتَدَحُ

يقول فيها :

نَشَرت بـك الدُّنيا محاسِنَها وتَزَيَّنَـت بصِفاتِـكَ المِـدَحُ
وكأنَّ مـا قـد غابَ عنكَ له بإزاء طرفِـك عارِضاً شبحُ
وإذا سَلِمتَ فكـلُّ حادِثَـةٍ جَلَلٌ فـلا بُؤسٌ ولا تَرَحُ[2]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثني بعض أهلنا : أنّ محمد بنَ وُهَيْب قصد المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ ، عمّ أبي ، وقد وَلِيَ الموصِل وكان له صديقاً حفيّاً ، وكان كثيرَ الرِّفد له والثَّواب على مدائِحِه ، فأنشدَه قولَه فيه : [من المتقارب]

---

1 معاهد : أسنتها . وصم الكعوب : صلبة متينة . وقصد : قطع مما يكسر .

2 جلل : هينة محتقرة .

صوت

دِمـــاءُ المُحبِّـــين لا تُعقَـــل ... أمـــا في الهَـوى حَكَمٌ يَعدِلُ

تَعَبَّـــدني حَـــوَرُ الغانيـــات ... ودانَ الشَّبابُ لـــه الأَخطَلُ

ونَظـــرةِ عـــين تَلافَيْتُها ... غِـــراراً كما يَنظُـــر الأَحولُ

مُقسَّمةٍ بـــين وَجْـــه الحَبيـــب وطَرْفِ الرَّقيبِ متى يَغفُلُ

أذمُّ عـــلى غَربـــاتِ النَّوى ... إليـــك السُّلُـــوَّ ولا أذهَلُ[1]

وقالـــوا عَزاؤُك بعد الفِراقِ ... إذا حُـــمَّ مكروهُـــه أجمَلُ

أَقِيدي دَمـــاً سَفَكَتْه العُيونُ ... بإيماضِ كَحـــلاءَ لا تُكحَلُ

فكُـــلُّ سِهامِـــك لي مُقصِدٌ ... وكُـــلُّ مواقِعِهـــا مَقْتَـــلُ[2]

سلامٌ على المنزِلِ المُسْتَحِيـــلِ ... وإن ضَـــنَّ بالمَنْطِـــقِ المنزِلُ

وعَضْب الضَّريبة يَلْقى الخُطوبِ ... بجِـــدٍّ عن الدَّهـــر لا يَنكِلُ

تَغَلْغَلَ شَرْقـــاً إلى مَغرِبٍ ... فلمّـــا تبـــدّت لـــه الموصِلُ

ثَوى حيث لا يُستمال الأَريب ... ولا يُؤْلَـــف اللَّقِـــن الحُوَّلُ

لَـــدى مَلِكٍ قابلته السُّعودُ ... وجانَبَـــه الأَنجُـــم الأُفَّلُ

لأَيَّامِـــه سَطَـــواتُ الزَّمـــانِ ... وإنعامُـــه حـــينَ لا مَـــوْئِلُ

سمـــا مالِكٌ بِـــكَ للباهِراتِ ... وأَوْحَـــدَكَ المَرْبـــأُ الأَطوَلُ

وليس بَعِيـــداً بِـــأَن تَحْتَذي ... مذاهِـــبَ آسادِهـــا الأَشبُلُ

قال : فوصله وأحسن جائزَته وأقام عنده مدّة ، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له ، وزاد في ضيافته وجِراياته وجدَّد له صلة . فأقام عنده بُرهة أُخرى ، ثم دخل عليه فأنشده : [من الطويل]

أَلا هَلْ إلى فيْءِ العقيـــق وظلّـــه ... إلى قَصْر أَوْس فالحَزِيـــر مَعادُ ؟

وهل لي بأَكنافِ المُصَلّى فسفْحِه ... إلى السُّورِ مَغْدًى ناعِمٌ ومُرادُ ؟

فلم تُنسِني نهرَ الأُبُلَّـــةِ نِيَّـــةٌ ... ولا عَرَصـــاتِ المَرْبَدَيْـــنِ بِعادُ

هنالك لا تَبْني الكواعِبُ خيمةً ... ولا تَتَهـــادى كَلْثَـــمٌ وسُعادُ

---

1 غربات : جمع غربة .

2 مقصد : مصيب قاتل .

أَجِــدِّيَ لا أَلقى النَّوى مُطْمَئِنَّةً ... ولا يَزْدَهِينـــي مَضْجــعٌ ومِهادُ

فقال له : أبيتَ إلاّ الوطنَ والنِّزاعَ إليه ! ثم أمر له بعشرة آلاف دِرهم ، وأوقرَ له زَوْرَقاً من طُرَف المَوْصِل وأَذِن له .

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني أَبو عبد الله الماقُطانيّ عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى ، عن سعيد بن وهيب قال : كان المأمون كثيراً ما يتمثَّل إذا كربَهُ الأمرُ : [من الطويل]

أَلا رُبَّما ضاقَ الفَضاءُ بأَهلِهِ ... وأُمكَنَ من بَيْن الأَسِنَّة مَخرَجُ

[تغيّر ابن عبّاد عليه]

قال الأصفهانيّ : وهذا الشعر لمحمد بن وُهَيب يقوله في ابن عَبّاد وزيرِ المأمون ، وكان له صديقاً ، فلمّا وَلِيَ الوزارَةَ اطَّرَحَه لانقطاعه إلى الحسنِ بن سهل فقال فيه قصيدة أوّلُها : [من الطويل]

تَكَلَّمَ بالوحــي البَنانُ المُخَضَّبُ ... ولله شكوى مُعجِمٍ كيف يُعرِبُ ؟

أَإيماءُ أَطـراف البنانِ وَوَجهُها ... أَبانـا له كيف الضَّميرُ المُغَيَّبُ ؟

وقـد كان حُسنُ الظَّنِّ أَنجبَ مَرَّةً ... فأَحْمَــد عُقْبــى أَمــرِهِ المُتعقِّبُ

فلمّــا تَدَبَّــرت الظُّنــون مُراقِباً ... تَقَلُّــبَ حالَيْهــا إذا هــي تكذِبُ

بــدأتَ بإحسانٍ فلمّــا شَكرتُه ... تَنكَّــرتَ لي حتى كأَنّيَ مُذنِبُ

وَكلُّ فَتًى يلقى الخطوبَ بعزمه ... له مذهبٌ عَمَّن لـه عنـه مذهبُ

وهل يصرعُ الحُبُّ الكريمَ وقلبُه ... عَليـمٌ بِما يأْتـي وَمــا يتجَنَّبُ

تأَنَّيْتُ حتى أُوضَحَ العِلْمُ أَنَّني ... مع الدَّهرِ يوماً مُصعِدٌ وَمُصَوِّبُ

وأُلحقتُ أَعجازَ الأُمورِ صُدورَها ... وَقَوَّمها غَمــزُ القِــداحِ المُقَلِّبُ

وأَيقنتُ أَنّ اليأْسَ للعِرضِ صائِنٌ ... وأَن سوف أغضي للقذى حين أَرغبُ

أَغادرتَني بــين الظُّنــون مُمَيِّزاً ... شواكِــلَ أَمـــرٍ بينهنّ مجرِّبُ

يُقرِّبني مَــنْ كُنت أُصفيك دونه ... بــوُدِّي وتنأَى بي فَـلا أَتَقَرَّبُ

فللَّه حظِّي منــك كيف أَضاعَه ... سُلوُّك عنّــي والأُمــورُ تَقَلَّبُ

أَبعدَكَ أَستَسْقي بوارِقَ مُزنَــةٍ ... وَإن جادَ هَطَّالٌ من المزْنِ هَيْدَبُ

إذا ما رأَيْتُ البرقَ أَغضَيْت دونَه ... وَقُلت إذا ما لاح : ذا البَرْقُ خُلَّبُ

وإن سَنَحت لي فُرصَةٌ لم أُسامِها ... وَأَعرضتُ عنها خوف ما أَترقَّبُ

تأدّبتُ عن حُسْن الرَّجاء فلَنْ أُرى أُعـودُ لـه إن الزّمـان مؤدِّبُ

وقال له أيضاً : [من الطويل]

هـل الهَـمُّ إلاّ كُربـةٌ تتفرَّج لهـا مُعْقِبٌ تُحدى إليه وَتُزْعَجُ
وَما الدَّهر إلاّ عائـدٌ مِثْلُ سالِفٍ ومـا العَيْش إلاّ جُدّةٌ ثم تُنْهَجُ[1]
وكيف أشِيمُ البَرْقَ والبَرْقُ خُلَّبٌ وَيُطْمِعُنـي رَيْعانُـه المُتَبَلِّـجُ
وَكيف أُدِيم الصبرَ لا بي ضَراعَةٌ ولا الرِّزقُ مَحْظورٌ ولا أنا مُحرَجُ ؟
ألا رُبَّمـا كان التَّصبُّرُ ذِلَّـةً وَأَدْنى إلى الحالِ التي هي أَسْمَجُ
وَهَلْ يَحْمِلِ الهَمَّ الفَتى وَهْو ضامِنٌ سُرى الليل رَحّالُ العَشيّاتِ مُدلِجُ
وَلا صبرَ ما أَعدى على الدَّهْرِ مطلبٌ وأَمْكَـنَ إدلاجٌ وَأصحر منهجُ[2]
أَلا رُبّما ضـاق الفضاءُ بـأَهلِهِ وَأَمكَنَ مـن بَيْنِ الأَسِنَّة مَخْرَجُ
وَقَد يُركَبُ الخَطبُ الذي هو قاتِلٌ إذا لم يَكُـن إلاّ عليْـه مُعرَّجُ

[المعتصم يجيزه على مدح الأفشين]

حدَّثني بعضُ أصحابنا عن أَحمد بن أَبي كامل قال[3] : كان محمدُ بنُ وُهَيب تيّاهاً شديد الذّهاب بنفسه ، فلمّا قدم الأفشِين ، وقد قَتَل بابك ، مدحَه بقصيدته التي أوَّلها : [من الهزج]

طُلُـولٌ ومَغانِيهـا تُناجِيهـا وَتَبْكِيهـا

يقول فيها :

بَعثْتَ الخيلَ ، والخَيرُ عَقِيـدٌ في نَواصِيهـا

وهي من جَيِّد شعره ، فأنشدَناها ثم قال : ما لها عيبٌ سوى أنّها لا أُختَ لها .

قال : وأمَرَ المعتصم للشعراء الذين مَدَحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقَتُها على يد ابن أبي دُواد ، فأعطى منها محمد بنَ وُهَيب ثلاثين ألفاً ، وأعطى أبا تمّام عشرة آلاف درهم . قال ابنُ أبي كامل : فقلتُ لعليّ بن يحيى المُنجِّم : ألا تعجب من هذا الحظّ ؟ يُعطى أبو تمّام عشرة آلاف وابنُ وُهَيب ثلاثين ألفاً ، وبينهما كما بين السماء والأرض . فقال : لذلِك عِلّة لا تعرفها ؛ كان ابنُ وُهَيْب مُؤدّبَ الفتْحِ بنِ خاقان ، فلذلك وَصَل إلى هذه الحال .

1 الجدّة : الطريق . تنهج : تبلى .
2 أصحر : اتسع .
3 انظر معاهد التنصيص 1 : 226 .

[شعره في مرضه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدَّثني أبو زَكْوان قال[1]: حدَّثني مَنْ دخلَ إلى محمد بن وُهَيب يعودُه وهو عليل قال: فسألتُه عن خبره فتشكَّى ما به ثم قال: [من الطويل]

نُفوسُ المَنايـا بـالنُّفوسِ تَشَعَّبُ وكُلٌّ له من مَذْهَب المَوت مَذْهَبُ[2]
نُراعُ لذِكرِ الموت ساعـةَ ذِكْرِهِ وتعتَـرِض الدُّنيـا فنَلْهـو ونلعَبُ
وآجالُنـا في كلِّ يَـوْم وليلةٍ إلينـا عـلى غِرَّاتِنـا تتقرَّبُ
أأيقنَ أنَّ الشيبَ يَنْعـى حياتـه مُـدِرٌّ لأَخْلافِ الخَطِيئةِ مُذْنِبُ[3]
يَقِـينٌ كأَنَّ الشَّكَّ أغلـبُ أمـرِه عليه وعرفـانٌ إلى الجهلِ يُنْسَبُ
وقـد ذَمَّـتِ الدُّنيا إليَّ نَعِيمَها وخاطَبَني إعجامُها وهـو مُعْرِبُ
ولكنَّني منهـا خُلِقـتُ لغيرِها وما كنتُ منه فهو عندي مُحبَّبُ

[ردّه على أبي فنن والكنديّ]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال: حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال[4]: كنّا في مجلسٍ ومعنا أبو يوسف الكِنديّ وأحمد بن أبي فَنَن، فتذاكرنا شعرَ محمد بنَ وُهَيْب فطَعَنَ عليه ابن أبي فَنَن وقال: هو متكلِّف حَسودٌ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرَّظَه ووصفه في نِصْفِ يوم، وشكا أنّه مَظلوم مَنحوس الحظّ، وأنّه لا تُقَصِّر به عن مراتب القُدماء حالٌ؛ فإذا أُنشِدَ شعرُ غيره حَسده، وإن كان على نبيذ عَرْبَد عليه، وإن كان صاحِياً عاداه واعْتَقَد فيه كلَّ مكروه. فقُلت له: كلاكما لي صديق، وما أمتَنِع من وصفِكُما جميعاً بالتّقدُّم وحسن الشعر، فأخبرني عمّا أسألُك عنه إخبارَ مُنصِف، أو يُعَدّ مُتكلِّفاً مَن يقول: [من الطويل]

أبى ليَ إغضاءَ الجُفونِ على القَذى يَقِينِـيَ أن لا عُسْرَ إلاّ مُفرَّجُ
ألا رُبَّمـا ضـاقَ الفَضاءُ بأَهلِهِ وأُمكَنَ مِن بَيْن الأَسِنَّةِ مَخرَجُ؟

أَوَ يُعَدّ متكلِّفاً مَن يقول: [من الطويل]

رأتْ وَضَحاً مِن مَفْرِق الرأْسِ راعها شَرِيحَـين مُبْيَضٌّ بـه وبَهِيمُ[5]

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1: 229–230.
2 معاهد: بالنفوس ... تشعبت.
3 معاهد: وهو لأخلاق الخطيئة ...
4 انظر معاهد التنصيص 1: 226–228.
5 معاهد: رأت واضحاً.

فأَمْسكَ ابنُ أَبي فنَن ، واندَفَع الكِنديّ فقال : كان ابنُ وُهَيب ثِنْوِيّاً . فقلتُ له : من أَيْنَ عَلمتَ ذاك ؟ أَكلَّمَك على مذهب الثَّنْوِيّة قطّ ؟ قال : لا ، ولكنِّي استدلَلْت من شعره على مذهبه ، فقُلتُ : حيث يقول ماذا ؟ فقال : حيث يقول[1] : [من الكامل]

طَلَلانِ طـال عليهما الأَمَدُ

وحيث يقول :

تَفتَرُّ عن سِمْطَيْنِ مـن ذهبِ

إلى غير ذلك ممّا يَستعمِله في شعره من ذكر الاثنين .

فشغَلَني واللهِ الضّحكُ عن جوابه . وقلت له : يا أَبا يوسف ، مِثلُك لا ينبغي أَن يتكلّم فيما لم يَنفُذ فيه عِلمُه .

[يستنجز حاجة من ابن الزيات]

أَخبرني أَحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أَحمدُ بن سليمان بن أَبي شيخ عن أَبيه قال : سأل محمد بنُ وُهَيْب محمد بن عبد الملك الزيّات حاجةً فأَبطأَ فيها ، فوقف عليه ثم قال له : [من مجزوء الكامل]

طُبِـعَ الكَريمُ على وَفائِهْ ... وعَلى التَّفضُّـلِ في إخائِهْ
تُغنـي عِنايَتُـه الصَّدِيـقَ عن التَّعرُّض لاقْتِضائِهْ
حَسْبُ الكَريـم حَيـاؤُهُ ... فكِـلِ الكَريـمَ إلى حَيائهْ

فقال له : حسبُك فقد بلَغْتَ إلى ما أَحبَبْتَ ، والحاجةُ تسبِقُك إلى منزِلك . ووَفى له بذلك .

صوت

[من الطويل]

ودِدْتُ على ما كان من سَرَف الهَوى ... وغَـيّ الأَماني أَنَّ ما شِئْتُ يُفعَلُ
فترجِـعَ أَيّام تَقَضَّت ولَـذَّةٌ ... تولَّت ، وهل يُثْنى مِن الدَّهْرِ أَوَّلُ

الشعر لمُزاحم العُقَيليّ ، والغناءُ لمقاسة بن ناصح ، خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميّ : وفيه لأحمد بن يحيى المكّيّ رمل .

1 معاهد التنصيص 1 : 230 .

[400] ـ أخبار مزاحم ونسبه[1]

[نسبه]

قيل : هو مُزاحِم بنُ عَمْرو[2] بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأَعلم بن خُوَيْلِد بن عَوْف بن عامِر بن عُقَيل بنِ كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكر بن هَوازِن .

وقيل : مُزاحِم بنُ عَمْرو بن مُرّة بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم ، وهذا القول عندي أَقرب إلى الصواب .

بدويٌّ شاعر فصيح إسلاميّ ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق . وكان جرير يصفه ويُقرِّظُه ويقدِّمه .

أَخبرني محمد بن خلف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ عن إسحاق المَوْصِليّ قال : قال لي عُمارة بنُ عُقَيل : كان جريرُ يقول : ما مِنْ بيتين كنتُ أُحِبّ أن أكون سَبقتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقَيْليّ[3] : [من الطويل]

وَدِدْتُ على ما كان من سَرَف الهَوى ... وغَيّ الأَماني أَنَّ ما شئتُ يُفعَلُ

فترجِع أَيّامٌ مَضَيْنَ وَلَذَّةٌ ... تَوَلَّتْ وهَل يُثْنى من العَيْشِ أَوَّلُ

قال المفضّل : قال إسحاق : سَرَفُ الهوى : خطؤه ، ومثله قولُ جرير[4] : [من البسيط]

أَعطوْا هُنَيْدَةَ تحدُوها ثمانِيَة ... ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

أَراد أنّهم لا يخطئون مواضع الصنائع ، لا أنّه وصفهم بالاقتصاد والتوسُّط في الجُودِ .

قال إسحاق : وواعدَني زيادٌ الأعرابيّ موضعاً من المسجد ، فطلبته فيه فلم أَجِده ، فقلت له بعد ذلك : طلبتُك لموعدك فلم أجِدك . فقال : أَين طلبتَني ؟ فقلت : في موضع كذا وكذا ، فقال : هناك واللهِ سَرِفْتُك ، أيّ أخطأتُك .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : أَنشدني حمّاد عن أبيه لمزاحم العُقَيْليّ قال : وكان يستجيدُها ويستحسنُها : [من الطويل]

1 ترجمة مزاحم العقيلي في طبقات ابن سلام : 770–777 وخزانة البغدادي 6 : 273–275 .

2 في ابن سلام والخزانة : مزاحم بن الحارث .

3 انظر الخزانة 6 : 274 .

4 ديوان جرير (صادر) : 307 .

لِصَفْراءَ في قَلْبي من الحُبِّ شُعبَة ... حِمًـى لم تُبِحْه الغانياتُ صَمِيمُ
بها حَلَّ بَيتُ الحُبِّ ثم ابتَنى بها ... فبانَت بُيـوتُ الحَيِّ وهو مُقِيمُ
بَكَت دارُهم من نَأْيِهم فتهلَّلَت ... دموعـي فـأَيَّ الجازِعين أَلُومُ
أَمُسْتَعْبِراً يبكي من الحُزنِ والجَوى ... أَمَ آخَـرُ يَبْكي شَجْوَه فيَهيمُ ؟
تَضمَّنه مـن حُبِّ صَفْراءِ بعدما ... سلا هَيَضات الحبّ فهـو كَلِيمُ[1]
ومـن يَتَهَيَّض حبُّهـنّ فُـؤادَه ... يَمُت أَو يَعِش ما عاشَ وهو سَقِيمُ
كَحَرَّان صادٍ ذِيدَ عن بَرْد مَشْربٍ ... وعنْ بَلَلاتِ الرِّيـق فَهْـو يَحُومُ

[امتنع عمّه من تزويجه لفقره]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال : حدَّثنا أَبو سعيد السُّكَّريّ قال : أَخبرنا محمد بن حبيب عن ابن أبي الدُّنيا العُقَيليّ ، قال ابن حبيب : وهو صاحب الكسائيّ وأصحابنا ، قال : كان مزاحم العقيليّ خطب ابنة عمّ له دِنْيةً[2] فمنعه أهلُها لإملاقه وقلّة ماله ، وانتظروا بها رجلاً مُوسِراً في قومها كان يذكرها ولم يحقّق ، وهو يومئذٍ غائب . فبلغ ذلك مُزاحِماً من فعلِهم ، فقال لعمِّه : يا عمِّ ، أَتقطَع رَحِمي وتختار عليّ غيري لفضل أَباعرَ تحوزُها وطفيفٍ من الحظّ تحظى به ؟ وقد علمت أنّي أقرب إليك من خاطبها الذي تريده ، وأفصح منه لساناً ، وأجودُ كفّاً ، وأمنعُ جانباً ، وأغنى عن العشيرة ! فقال له : لا عليك فإنّها إليك صائرة ، وإنّما أُعلِّل أمَّها بهذا ، ثم يكون أمرها لك ، فوثِق به . وأقاموا مدّة ، ثمّ ارتحلوا ومزاحم غائب . وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها ، فرغب فيها ، فأنكحوه إيّاها ، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول : [من الطويل]

نَزلتُ بمُفْضى سيلِ حَرْسَيْن والضُّحى ... يَسِيلُ بأَطـرافِ المخـارِمِ آلُهـا[3]
بمسقيَّةِ الأَجفـانِ أَنفَـد دَمعَهـا ... مُقاربـةُ الأُلاّف ثُـمَّ زِيالُهـا
فلمّا نَهاها اليأسُ أَن تُؤنِس الحِمـى ... حِمى البِئرِ جَلَّى عَبْرَة العَيْنِ جالُهـا
أَيا ليلَ إن تَشْحَط بـك الدارُ غُربَةً ... سوانا ويُعْيي النّفسَ فيـك احتيالُهـا
فكَمْ ثـم كَمْ من عَبْرة قـد رَدَدتُها ... سَريعٍ عـلى جَيْب القَميصِ انهلالُها

---

1 هيضات : جمع هيضة ، وهي معاودة الهم والحزن .
2 دنية : لاصقة النسب .
3 حرسين : ماءان لبني عقيل . والمخارم : الطرق في الأرض الغليظة .

خليليَّ هــل مــن حيلــة تَعْلَمانها يُقــرِّب مــن ليــلى إلينا احتيالُها
فــإنَّ بأَعْــلى الأخشَبَيْن أَراكــةً عدَتنيَ عنهــا الحَــرْب دانٍ ظِلالُها
وفي فَرْعهــا لــو تُستَطــاع جَنابُها جنًــى يجتَنِيه المُجْتَنــي لــو يَنالُها
هنِيئــاً لِلَيْلــى مُهْجَــةٌ ظَفِــرَتْ بها وتَزْويجُ لَيْلى حــين حــان ارتِحالُها
فقــد حَبَسُوها مَحْبِس البُدْن وابتَغى بهــا الرِّبحَ أَقوامٌ تَساخَــف مالُها[1]
فــإنَّ مــع الرَّكْــبِ الذيــن تَحَمَّلُوا غمامــة صَيْف زعزعَتْهــا شمالُها

[هربه من السجن]

وقال محمد بنُ حبيب في خبره ، قال ابنُ الأعرابيّ : وقع بين مُزاحِم العُقَيْليّ وبين رجل من بني جَعْدَة لِحاءٌ في ماء فتَشاتَما وتَضاربا بعِصِيِّهما ، فشَجَّه مُزاحم شجَّة أمَّته[2] ، فاستعدَت بنو جَعْدة على مُزاحم فَحُبِس حبساً طويلاً ، ثم هَرَب من السِّجن ، فمكَث في قومه مدّة ، وعُزِل ذلك الوالي وولي غيره ، فسأله ابنُ عمّ لمزاحِم يقال له مُغلِّس أن يكتب أماناً لمزاحم ، فكتَبه له ، وجاء مغلّس والأمان معه ، فنَفَر مُزاحِم منه وظنَّها حِيلةً من السُّلطان ، فهَرَب وقال في ذلك : [من الطويل]

أَتــاني بقِرطــاس الأَميرِ مُغَلِّسٌ فأفــزَعَ قِرطــاسُ الأَميرِ فُؤادِيا
فقلتُ لــه : لا مَرْحَباً بِكَ مرسَلا إليَّ ولا لي مــن أَميرك داعِيــا
أليسَت جبالُ القَهْرِ قُعْساً مكانها وعَرْوى وأَجبالَ الوَحاف كما هِيا ؟[3]
أَخــاف ذُنُوبــي أَن تُعَــدّ ببابِهِ ومـا قــد أَزَلَّ الكاشِحُونَ أَمامِيا
ولا أَسْترِيم عُقْبــةَ الأَمــرِ بعدما تورَّط في بهماء كَعْبــي وساقِيا[4]

[هوي امرأة وتزوّجت غيره]

أَخبرني محمد بن مَزْيَد ، وأَحمد بن جعفر جحظة قالا : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أَبيه قال : كان مُزاحِمٌ العُقَيليّ يهوى امرأةً من قومه يقال لها مَيَّة ، فتزَوَّجت رجلاً كان أقربَ إليها من مزاحم . فمرَّ عليها بعد أن دخل بها زوجُها ، فوقفَ عليها ثم قال : [من الطويل]

أَيــا شَفَتَيْ مَــيٍّ أَما مــن شَرِيعةٍ مــن المــوتِ إلاّ أَنتمــا تُورِدانِيا

---

1 تساخف مالها : رقّ حالها .
2 أمته : أصابت أم رأسه .
3 قعساً : ثابتة .
4 كعبي في ل : كفي .

ويا شَفَتَيْ مَـيٍّ أَمـا لي إليكما سبيلٌ وهذا الموت قد حَلَّ دانِيا !
ويا شَفَتَيْ مَـيٍّ أَمـا تَبذُلان لي بشيءٍ وإن أعطَيت أَهلي وماليا !

فقالت : أَعزِزْ عليَّ يا ابن عمّ بأن تسأل ما لا سَبيل إليه ، وهذا أمر قد حِيل دونه ، فَٱلْهُ عنه . فانصرف .

[جرير يتمنّى شعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفشُ قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحويّ قال[1] : حدَّثني عُمارة بن عُقَيل قال : قال لي أبي : قال عبد الملك بنُ مروان لجرير : يا أبا حَزْرة ، هل تُحبّ أن يكون لك بشيء من شِعْرِك شيءٌ من شِعْر غَيرِك ؟ قال : لا ، ما أُحِبّ ذلك ، إلاّ أنّ غُلاماً يَنْزل الرَّوضاتِ من بلادِ بني عُقَيـل يقال له مُزاحِم العُقيليّ ، يقول حَسناً[2] من الشعر لا يقدِر أحد أن يقول مثلَه ، كنت أُحِبُّ أن يكون لي بعضُ شِعْره مُقايضة ببعض شِعري .

[امرأة أُخرى يهواها فتتـزوّج غيره]

أخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُريد قال : حدَّثني عمِّي ، عن العبّاس بن هشام عن أَبيه قال : كان مُزاحِم العُقَيليّ يَهوى امرأةً من قَوْمِه يقال لها ليلى ، فغاب غَيْبة عن بلادِه ، ثم عاد وقد زُوِّجت ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أَتاني بظَهْر الغَيْب أَن قد تَزَوَّجَتْ فظلَّت بِيَ الأَرضُ الفضاءُ تدُورُ
وزايَلَني لُبِّـي وقد كان حاضِراً وكاد جَنـاني عنــد ذاك يَطِيرُ
فَقلتُ وقــد أَيقنْتُ أَن ليس بَيْنَنا تَــلاقٍ وعَيْني بالدّمــوعِ تمورُ
أَيا سُرعةَ الأَخبارِ حين تَزَوَّجَتْ فهَــل يأتِيَنِّــي بالطَّـلاقِ بَشِيرُ
ولستُ بمُحْصٍ حُبَّ ليلى لسائِلٍ مِــن النَّاسِ إلاّ أَن أَقـول كَثِيرُ

صوت

[من الطويل]

لها في سَوادِ القَلْبِ تِسعةُ أَسْهُمٍ وللنّاس طُرّاً من هَوايَ عَشِيرُ[3]

قال ابن الكلبيّ : ومن الناس مَن يزعم أنَّ لَيْلى هذه التي يهْواها مُزاحم العُقَيليّ هي التي كان يهْواها المجنون ، وأنّهما اجتمعا هو ومُزاحِم في حُبّها .

1 قارب بالخزانة 6 : 274 .
2 ل والخزانة : حوشياً .
3 عشير : معشار .

[امرأة رابعة هويها وتزوّجت غيره]

قال الأصفهانيّ : وقد أُخبرني بشرح هذا الخبر الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بنِ الصّبّاح عن ابن الكلبيّ قال : كان مُزاحم بن مُرّة العُقيليّ يَهوى امرأة من قُشَير يقال لها ليلى بنت مُوازِر ، ويتحدَّث إليها مدّة حتى شاع أمْرُهما ، وتحدَّث جواري الحيِّ به ، فنَهاه أهلُها عنها ، وكانوا مُتجاورين ، وشَكَوْه إلى الأشياخ من قومِهِ فنَهَوْه واشتدّوا عليه ، فكان ينقلب إليها في أوقات الغَفَلات ، فيتحدَّثان ويتشاكَيان . ثم انتجَعَت بنو قُشَير في ربيع لهم ناحيةً غير تلك قد نضَّرها غَيْثٌ وأخصبَها ، فبَعُد عليه خبرُها واشْتاقَها ، فكان يسأل عنها كلَّ وارِد ، ويُرسِل إليها السلام مع كلّ صادِر ، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومِها ، فسأله عنها فأخبره أنّها خُطِبت فزُوِّجَت ، فوجَم طويلاً ثم أجهش باكياً وقال : [من الطويل]

أَتاني بظَهْر الغَيْب أَن قد تَزَوَّجت ... فظلَّت بـي الأَرضُ الفَضاءُ تَدُورُ

وذكر الأبيات الماضية .

وقد أَنشدني هذه القصيدة لُمزاحِم ابن أَبي الأَزهر ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، فأَتى بهذه الأبيات وزاد فيها : [من الطويل]

وتُنشَر نفسي بعد مَوْتي بذِكْرِها ... مراراً فموتٌ مرَّة ونُشورُ
عَجَجْت لربِّي عَجَّة ما مَلَكتُها ... وربِّي بذي الشَّوْق الحزينِ بَصيرُ[1]
ليرحم ما أَلقى ويعلمَ أَنّني ... له بالذي يُسدي إليَّ شَكورُ
لئن كان يُهدي بردُ أَنيابها العُلا ... لأَحْوَجَ مِنّي إِنَّني لَفقِيرُ

[جرير والفرزدق وذو الرّمّة عند عبد الملك]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أبو أَيّوب المَدينيّ قال : قال أَبو عدنان[2] : أَخبرنا تميمُ بنُ رافع قال : حُدِّثت أنَّ الفرزدقَ دخل على عبد الملك بن مروان ، أو بعضِ بنيه ، فقال له : يا فرزدق ، أتعرفُ أحداً أشعرَ منك ؟ قال : لا ، إلاّ غُلاماً من بني عُقَيل ، يركب أعجازَ الإبل ويَنْعت الفَلواتِ فيُجيد ، ثم جاءه جرير فسأله عن مِثل ما سأل عنه الفرزدق فأجابه بجوابه ، فلم يلبَث أن جاءه ذو الرُّمّة فقال له : أنت أشعرُ النّاس ؟ قال : لا ، ولكن غلام من بني عُقيل يقال له مُزاحم يسكن الرَّوضات ، يقول وحْشِيّاً من الشعر لا يُقدَرُ على

1 عج : صاح .
2 قارن بالخزانة 6 : 274 والبيتان في طبقات ابن سلام .

مثله ، فقال : فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك ، فأنشده قوله : [من الطويل]

خليلَيَّ عُوجا بي على الدّار نَسأَلِ مَتى عهدُهـا بالظَّاعِـن المُتحمِّلِ[1]

فعُجتُ وعاجوا فَوق بَيْداء موَّرتْ بها الرِّيح جولان الترابِ المُنَخَّلِ[2]

حتى أتى على آخرها ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا .

صوت

[من الطويل]

أُكذِّب طَرْفي عنكِ في كُلِّ ما أرى وأُسمِع أُذني منك ما ليس تَسْمَعُ

فـلا كَبِدي تَبلى ولا لكِ رَحمةٌ ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مَطْمَعُ

لقِيتُ أُمُوراً فيـك لم أَلقَ مِثْلَها وأَعظـمُ منهـا فيك مـا أَتَوَقَّعُ

فـلا تسأليـني في هواكِ زِيادةً فأَيسرُه يُجـزِي وأَدنـاهُ يُقنِـعُ

الشعر لبكر بن النطّاح[3] ، والغناء لحسين بن مِحْرِز ثقيل أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ .

---

1 ابن سلام : عوجا بي على الربع .

2 مورت في ل : صفقت . وابن سلام :

فعجت وعاجا فوق صحراء غادرت

3 مجموع شعره : 251–252 .

[401] ـ أخبار بكر بن النّطاح ونسبه[1]

[نسبه]

بكر بنُ النطّاح الحنفيّ. يُكنى أَبا وائل، هكذا أَخبرنا وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب، وذكر غيره أنّه عِجْلِيٌّ من بني سَعْد بن عِجْل، واحتجّ مَنْ ذكر أنّه عِجْليّ بقوله[2]: [من الطويل]

فإن يَكُ جَدَّ القومِ فِهْرُ بن مالِك فَجدِّيَ عِجْلٌ قَرْم بَكْرِ بن وائِلِ

وأَنكر ذلك مَنْ زعم أنّه حَنَفِيٌّ وقال: بل قال: [من الطويل]

فجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْـر بنِ وائلِ

وعِجْل بنُ لُجيم وحنيفة بن لُجيم أَخوان.

وكان بكر بن النطّاح صُعلوكاً يُصيب الطريق، ثم أَقصر عن ذلك، فجعله أَبو دُلَف من الجُند، وجعل له رِزْقاً سُلطانيّاً، وكان شُجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشِّعر والتصرُّف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام.

[قصته مع أبي دلف]

فأخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال: حدَّثني أَبي، قال[3]: قال بكر بنُ النَّطّاح الحنفيّ قصيدتَه التي يقول فيها[4]: [من الطويل]

هنيئاً لإخواني ببَغْـدادَ عِيدُهـم وعِيدي بُحلوانٍ قِـراعُ الكَتائِبِ

وأَنشدها أَبا دُلَف فقال له: إنّك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشَّجاعة، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قَطّ، ولا فيك، فقال له: أَيُّها الأمير وأيّ غناء يكون عند الرجل الحاسِر الأَعْزل؟ فقال: أعطوه فرساً وسيفاً وتُرساً ودرعاً ورمحاً، فأعطوْه ذلك أجمع، فأخذه وركب الفرسَ وخرج على وجهه، فلقيه مالٌ لأبي دُلف يُحمَل من بعض ضياعه، فأخذه وخرج

---

1 ترجمة بكر بن النطاح في طبقات ابن المعتزّ: 217–225 وفوات الوفيات 1: 219–221 والوافي بالوفيات 10: 218–221 والبداية والنهاية 10: 208 والسمط: 520، 560 وتاريخ بغداد 7: 90 وشرح الحماسة للتبريزي 3: 140 والمرزوقيّ: 1285 وانظر التذكرة الحمدونية 2: 458–460، 489 و4: 45 و5: 314. وقد جمع شعره حاتم الضامن في «شعراء مقلون» (بيروت ـ 1978).

2 شعره (عن الطبقات): فحسبي فخراً فخر بكر بن وائل.

3 انظر طبقات ابن المعتزّ: 218 والبيت فيه: ومن يفتقر منا يعش بحسامه...

4 شعره. 222 (عن الأغاني).

جماعةٌ من غلمانه فمانعُوه عنه ، فجرحهم جميعاً وقَطَعَهم وانهزموا . وسار بالمال ، فلم ينزل إلاّ على عشرين فرْسخاً . فلمّا اتصل خبرُه بأبي دُلَف قال : نحن جَنَينا على أنفسنا ، وقد كنّا أغنياءَ عن إهاجة أبي وائل ؛ ثم كتب إليه بالأمان ، وسوَّغه المالَ ، وكتب إليه : صِرْ إلينا فلا ذنْب لك ، لأنا نحن كنّا سبب فِعلك بتحْريكنا إياك وتحريضنا ؛ فرجَع ولَم يزل معه يمتدحه ، حتى مات .

[الرشيد يطلبه]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ موسى قال : حدَّثني الحسنُ بنُ إسماعيل عن ابن الحفصيّ قال : قال يزيدُ بنُ مَزْيد[1] : وجَّه إليَّ الرشيدُ في وقت يرتاب فيه البريءُ ، فلمّا مثُلت بين يديه قال : يا يزيدُ ، مَن الذي يقول : [من الطويل]

ومـن يَفْتَقِرْ مِنّـا يَعِشْ بحُسامِهِ ... ومَن يَفتَقِر مِن سائر النّاسِ يَسْأَلِ

فقلت له : والذي شرَّفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال : فمن الذي يقول :

وإن يَكُ جَدُّ القَوْمِ فِهْرَ بن مالِك ... فَجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْر بن وائِلِ

قلت : لا والذي أكرمك وشرَّفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه . قال : والذي كرَّمني وشرَّفني إنّك لتعرفه ، أتظنّ يا يزيد أنّي إذا أوطأتُك بساطي وشرَّفتُك بصنيعتي أنّي أحتَمِلك على هذا ؟ أو تظنّ أنّي لا أُراعي أُمورك وأتقصّاها ، وتحسب أنّه يخفى عليّ شيءٌ منها ؟ والله إنّ عُيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك ، هذا جِلفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طورَه وألحق قُريشاً بربيعة فأْتني به . فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر ، فقيل لي : هو بكر بن النطاح ، وكان أحد أصحابي . فدعوتُه وأعلمته ما كان من الرشيد ، فأمرتُ له بألفيْ درهم ، وأسقطتُ اسمه من الديـوان ، وأمرتُـه ألاّ يظهـر مـا دام الرشيدُ حيّاً ، فما ظهر حتى مات الرشيد ، فلمّا مات ظهـر ، فألحقتُ اسمَه وزِدتُ في أنزاله[2] .

[شعره في جارية تدعى رامشنة]

أُخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال : حدَّثني محمد بن حمزة العلويّ قال : حدَّثني أبو غسّان دَماذ قال : حضرتُ بكرَ بنَ النّطّاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيِّين ، وكانت للحنفيّ جاريةٌ يقال لها رامِشْنة ، فقال فيها بكر بن النّطّاح[3] : [من السريع]

---

1 طبقات ابن المعتزّ : 217–218 .

2 الطبقات : في عطائه ونزله .

3 شعره · 248 (عن الأغاني) .

حيَّتْك بالرَّامِشْن رامِشْنَةٌ أَحسنُ من رامِشْنَة الآسِ
جارِيــةٌ لم يُقْتَسَم بُضْعُها ولم تقــمْ في بَيت نَخَّاسِ
أفسدتِ إنساناً عَلى أهلِهِ يا مُفْسِدَ النّاسِ على النّاسِ

وقال فيها[1] : [من الطويل]

أُكذِّب طَرْفي عنكِ والطَّرْفُ صادِقٌ وأُسْمِعُ أُذْني منكِ ما لَيس تَسْمَعُ
ولَم أسكُن الأرضَ التي تَسْكُنِينها لكي لا يقولوا صابرٌ ليس يَجْزَعُ
فــلا كَبِدي تَبْلى ولا لَكِ رَحْمَة ولا عَنْكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطْمَعُ
لَقِيتُ أُموراً فيــكِ لم أَلْقَ مثلَها وأَعظَمُ منهــا منــكِ مــا أَتوقَّعُ
فلا تسأَلِيني في هَـــواكِ زِيــادَةً فأَيْسَرُه يُجْــزي وأَدْنــاه يُقْنِعُ

[إعجاب المأمون بشعره]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن الصَّباح ، وأظنّه مُرسلاً وأنّ بينه وبينه ابن أَبي سَعْد أو غيره ، لأنّه لم يَسْمع من عليّ بن الصَّباح ، قال : حدَّثني أبو الحسين الراوية ، قال لي المأمون : أنشِدْني أشجعَ بيت وأعفَّه وأكرَمه من شِعْر المحدثين ، فأنشدته : [من الطويل]

ومــن يَفْتَقِر منّــا يَعِشْ بحُسامه ومن يَفْتَقِرْ من سائِـر النّاسِ يَسْأَلِ
وإنّا لنَلْهــو بــالسُّيوف كما لَهَت عَروسٌ بعِقــدٍ أو سِخابِ قَرَنْفُلِ[2]

فقال : ويحك ! مَن يقول هذا ؟ فقلتُ : بكْرُ بنُ النطّاح ، فقال : أَحسَنَ والله ، ولكنّه قد كَذَب في قوله ، فما بالُه يسألُ أبا دُلَف ويمتدحُه وينتجِعُه ! هلاّ أكَل خُبزَه بسَيْفه كما قال !

[عند أبي دُلَف]

أَخبرني الحسَن بن عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الحسن الكسْكَريُّ قال[3] : بلَغني أنَّ أبا دُلَف لَحِقَ أكراداً قَطَعوا الطَّريق في عمله ، وقد أردَف منهم فارسٌ رفيقاً له خَلْفه ، فطَعنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدَّث الناسُ بأنّه نَظَم بطعنة واحدة فارسَيْن على فرس ، فلمّا قَدِم من وجهه دخَل إليه بَكْرُ بن النّطّاح فأَنشده[4] : [من الكامل]

1 تقدمت هذه الأبيات برواية : «أكذب عيني عنك في كل ما أرى» .
2 سخاب قرنفل : عقد قرنفل .
3 قارن بالفوات : 219 .
4 شعره : 257 . وفي الفوات : «قالوا أينظم فارسين . . .» .

صوت

قالــوا : ويَنْظِم فارسَيْن بطَعْنَةٍ   يــوم اللِّقاء ولا يَــراهُ جَلِيلا
لا تَعْجَبوا فَلَو آنَّ طُــولَ قَناتِه   ميلٌ إذاً نَظَــم الفوارسَ ميلا

قال : فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم ، فقال بَكْرٌ فيه[1] : [من الطويل]

لــه راحــةٌ لو أنَّ مِعْشار جُودِها   على البَرّ كان البَرُّ أندى من البَحْرِ
ولو أنَّ خَلْقَ الله في جِسْم فارس   وبــارزَه كان الخليَّ مــن العُمْرِ
أبا دُلَــف بُورِكْتَ في كلّ بَلْدةٍ   كما بُورِكَتْ في شهْرِها لَيلةُ القَدْرِ

[غزله بغلام نصرانيّ]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمّار ، وعيسى بنُ الحسين قالا : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل قال : حدَّثني أبو زائدة ، قال : كان بكْرُ بن النّطّاح الحنفيّ يتعشّق غُلاماً نصرانيّاً ويُجَنُّ به ، وفيه يقول[2] : [من البسيط]

يا مَنْ إذا دَرَس الإنجِيلَ ظلَّ له   قَلْبُ التَّقيِّ عن القُرآن مُنْصَرَفا
إنِّي رأيتُك في نومــي تُعانِقُني   كما تُعانِــق لامُ الكاتِب الأَلِفا

[ينصرف عن ممدوحه إذا غضب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني الحسن بن عبد الرحمن الرَّبعيّ قال : كان بكرُ بنُ النّطّاح يأتي أبا دُلَف في كلّ سنة ، فيقول له : إلى جَنْب أرضي أرضٌ تُباع وليس يحضُرني ثمنُها ، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطِيه ألفاً لنفقته . فجاءَه في بعض السنين فقال له مِثل ذلك ؛ فقال له أبو دُلَف : ما تَفْنى هذه الأَرَضُون التي إلى جانب ضَيْعتك ! فغَضِب وانصرف عنه ، وقال[3] : [من المنسرح]

يا نفسُ لا تجزَعي من التَّلَفِ   فــإنَّ في اللهِ أعظَــمَ الخَلَفِ
إن تَقْنَعــي بــاليَسِيرِ تَغْتَبِطي   ويُغْنِــكِ الله عــن أبي دُلَفِ

قال : وكان بَكْر بنُ النَّطَّاح يأتي قُرَّة بنَ مُحرِز الحنفيّ بكرْمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ، ويُجرِي عليه في كلّ شهر يقيم عنده ألفَ درهم . فاجتاز به قُرّة يوماً وهو ملازم في السّوق وغُرماؤه يُطالبونه بدَين ؛ فقال له : ويحك ! أما يكْفِيك ما أعطيك حتى تستدين

1 شعره : 245 .
2 شعره : 253 (عن الأغاني) .
3 شعره : 254 .

وتُلازمَ في السّوق ؟ فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول[1] : [من الوافر]

ألا يـا قُـرّ لا تَكُ سامريّاً فتَتْركَ مَـنْ يَزُورك في جِهادِ
أتَعْجبُ أنْ رأيـتَ عليَّ دَيْناً وقد أودى الطّريفُ مع التّلادِ
ملأتُ يَـدِي مِنَ الدُّنيا مِراراً فما طمِعَ العَواذِلُ في اقْتِصادي
ولا وَجَبت عليَّ زَكاةُ مـالٍ وهل تَجِبُ الزّكاةُ على جَوادِ

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال : كنت يوماً عند عليّ بن هشام ، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقَيْل ، فحدَّثْتُه أنّ بَكْر بنَ النطّاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده ، فقال لي أبو دُلَف : يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تَسْتطرِفه . فبدَرَ إليه بكرٌ وقال : أنا أُنشدك أيّها الأميرُ بَيْتين قلتُهما فيك في طريقي هذا إليك وأُحكِّمك ، فقال : هاتِ ، فإن شَهِد لك أبو محمد رَضِينا ، فأنشده[2] : [من الوافر]

إذا كانَ الشِّتاءُ فأنت شَمْسٌ وإن كان المَصِيفُ فأنتَ ظِلُّ[3]
وما تَدْري إذا أعْطَيتَ مـالاً أتُكثِرُ في سَماحِـك أم تُقِلُّ

فقلت له : أحسنَ والله ما شاءَ ووجبت مكافأته . فقال : أما إذ رضيتَ فأعطوه عشرة آلاف درهم . فحُمِلتْ إليه ، وانصرفت إلى منزلي ، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إليّ ، وجّه بها أبو دُلَف . قال : فقال عُمارة لعليّ بن هشام : فقد قلت أنا في قريب من هذه القصّة : [من الطويل]

ولا عيبَ فيهـم غيرَ أنَّ أكفَّهم لأموالهم مِثْـلُ السِّنين الحَواطمِ
وأنّهـمُ لا يُورِثُـون بَنِيهـمُ - وإن وَرِثوا خَيْراً - كُنوزَ الدَّراهمِ

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو تَوْبة قال : كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطّاح ، وكان بكر فاتكاً صُعلوكاً ، فكان لا يزال قد أحدَث حادث في عمل أبي دُلَف ، أو جنى جِناية ، فَيَهُمّ به فيقوم دونه معقل حتى يتخلَّصَه ، فماتَ مَعقِلٌ فقال بكر بن النطّاح يرثيه بقوله[4] : [من الطويل]

وحدَّث عنـه بعضُ مَن قال إنَّه رأَتْ عَينُه فيما تَـرى عَيْنُ حالِمِ

---

1 شعره : 239 .
2 شعره 259 .
3 الفوات : شمسي .
4 شعره : 265–266 (عن الأغاني) .

كأنَّ الذي يَبْكي على قَبْر مَعْقِل ... ولم يَـرَه يَبكي على قَبْرِ حاتمِ
ولا قَبرِ كَعْـب إذ يَجودُ بنَفْسِهِ ... ولا قَبر حِلْفِ الجُودِ قَيْسِ بنِ عاصِمِ
فأيقَنْـتُ أنَّ اللهَ فضَّـل مَعْقِلا ... على كلِّ مَذْكور بفَضْلِ المَكارِمِ

[بخله]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ قال : كان بكرُ بن النّطّاح الحنفيّ أبو وائل بخيلاً ، فدخل عليه عبّاد بن المُمزَّق يوماً ، فقدّم إليه خُبْزاً يابساً قليلاً بلا أُدْم ، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع ، فقال عبّادٌ يهجوه : [من السريع]

مَنْ يَشْتَري مِنّـي أبـا وائِلٍ ... بكـرَ بنَ نَطّـاح بفَلْسَيْنِ ؟
كأنّمـا الآكِـلُ مـن خُبزِهِ ... يأكلـهُ مـن شَحمَةِ العَيْنِ

قال : وكان عبّاد هذا هجّاءً ملعوناً ، وهو القائل : [من البسيط]

أنا المُمزّق أعـراضَ اللِّئامِ كما ... كان المُمزِّق أعراضَ اللِّئامِ أبي

[يمدح ثم يهجو]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أبو هفّان قال[1] : كان بكرُ بن النطّاح قصد مالك بن طَوق فمدحه ، فلم يرضَ ثوابَه ، فخرج من عنده وقال يَهجوه[2] : [من المتقارب]

فليتَ جَـدا مَالِـكٍ كُلَّـه ... وما يُرتجـى منه من مَطْلبِ
أُصِبْتُ بـأَضْعاف أَضعافِـهِ ... ولم أَنتَجِعْـه ولَـم أرغَـبِ
أَسأْتُ اختِياري فقـلَّ الثَّوابُ ... لي الذّنبُ جَهْـلاً ولم تُذنِبِ

وكتَبَها في رقعة وبعث بها إليه . فلمّا قرأها وَجَّه جماعة من أصحابه في طلبه ، وقال لهم : الويلُ لكـم إن فاتكم بكر بنُ النّطّاح . ولا بـدّ أن تنكَفِئـوا على أثَره ولـو صار إلى الجَبـل ، فلَحِقـوه فردّوه إليه ، فلمّا دخل دارَه ونظر إليه قام فتلقّاه وقال : يا أخي ، عَجِلْتَ علينا وما كنّا نقتصر بك على ما سلف وإنّما بعَثْنا إليك بنفقة ، وعوّلنا بك على ما يتلوها ؛ واعتذر كلُّ واحد منهما إلى صاحبه ، ثم أعطاه حتى أرضاه ، فقال بكرُ بن النّطّاح يمدحه[3] : [من الطويل]

أَقولُ لِمُرتـادٍ نـدى غيرِ مالِكٍ ... كفى بَذْلَ هذا الخلقِ بعضُ عِداتِهِ

1 قارن بفوات الوفيات 1 : 220 .
2 شعره : 222–223 .
3 شعره : 232 .

فَتًى جاد بالأموال في كُلّ جانب وأنْهَبَهــا في عَــوْده وبَــداتِهِ
فلــو خَذلَــتْ أمواله جودَ كَفِّه لقاسَم مَنْ يَرجُوه شَطْــرَ حَياتِهِ[1]
ولو لم يجِد في العُمْر قِسمة مالِه وجــاز لــه الإعطاء من حَسناتِهِ[2]
لجادَ بهــا مــن غَيْر كُفْر بربِّه وشاركَهــم في صَوْمــه وصَلاتِهِ

فوَصَله صِلة ثانية لهذه الأبيات ، وانصرف عنه راضياً .

هكذا ذكر أبو هِفّان في خبره وأحسبَه غلطاً ، لأن أكثر مدائح بَكْر بن النَّطَّاح في مالك بن عليّ الخُزاعيّ ، وكان يتولّى طريقَ خُراسان ، وصار إليه بكر بن النَّطَّاح بعد وفاة أبي دُلَف ومدحه ، فأحسن تقبُّلَه وجعله في جُنده ، وأسنى له الرّزق ، فكان معه ، إلى أن قَتَله الشُّراة بحُلوان ؛ فرثاه بكرٌ بعدّة قصائد هي من غُرر شعره وعيونه .

[رثاء مالك الخزاعي]

فحدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي طاهر ، عن أَبي وائِلَة السَّدُوسيّ قال : عاثت الشُّراةُ بالجبل عَيْثاً شديداً ، وقتلوا الرجال والنساءَ والصِّبيان . فخرج إليهم مالكُ بنُ عليّ الخُزاعيّ وقد وردُوا حُلوان ، فقاتلهم قِتالاً شديداً فهزمهم عنها ، وما زال يتبَعُهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها : حُدَّان[3] ، فقاتلوه عندها قِتالاً شديداً . وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم . وأصابت مالِكاً ضربةٌ على رأسه أثبتته[4] ، وعَلِمَ أنّه ميِّت . فأمر بردِّه إلى حُلوان ، فما بلغها حتى مات ، فدفن على باب حلوان ، وبُنيت لقبره قُبَّةٌ على قارعة الطريق . وكان معه بكر بنُ النّطّاح يومئذٍ ، فأبلى بلاء حسناً ، وقال بكر يرثيه[5] : [من السريع]

يــا عينُ جُودِي بالدّموعِ السّجامْ عــلى الأمير اليمينــيّ الهُمــامْ
على فَتــى الدُّنيــا وصِنديدِهــا وفــارسِ الدِّيــن وسَيــفِ الإمامْ
لا تَدْخَــرِي الدمــعَ على هالك أَيْتَم إذ أُودى جَمِيــعُ الأَنامْ
طــاب ثَــرى حُلوان إذ ضُمِّنت عِظامَــه سَقْياً لهــا مــن عِظامْ
أغلَقَــتِ الخَيــراتُ أَبوابَهــا وامتَنَعت بعــدَك يــا ابنَ الكِرامْ

1 جود كفه في شعره : بذل كفّه .
2 قسمة ماله في الفوات : قسمة باذل .
3 حدان : من محال البصرة القديمة .
4 أثبتته : سكنته عن الحركة .
5 شعره : 266–267 (عن الأغاني) .

وأصبحَتْ خَيلُـكَ بعـد الوَجا | والغَزو تَشكُو منك طُولَ الجَمامْ
ارحَـلْ بنـا نَقرُبْ إلى مالكٍ | كيمـا نُحيِّـي قبرَه بالسّلامْ
كان لأهـلِ الأرض في كَفِّـه | غِنًـى عن البحر وصَوْبِ الغَمامْ
وكان في الصُّبح كشمس الضُّحى | وكان في الليـلِ كبَدْرِ الظّلامْ[1]
وسائـلٍ يعجَـب مـن موتِـهِ | وقـد رآه وهـو صَعْبُ المَرامْ
قُلـتُ لـه عَهدِي بـه مُعلِماً | يضربهـم عنـد ارتفـاع القَتامْ
والحـربُ مَـنْ طاولها لم يَكَد | يُفلِت مـن وَقْـعِ صقيلٍ حُسامْ
لم ينظُـر الدَّهـرُ لنا إذ عدا | على ربيـعِ النّـاس في كلِّ عامْ
لـن يَسْتَقِيلـوا أبـداً فقـدَه | مـا هَيَّج الشّجوَ دُعاءُ الحَمامْ

قال : وقال أيضاً يرثيه[2] : [من الكامل]

أيُّ امرىءٍ خَضَب الخوارجُ ثوبَه | بـدمٍ عَشِيَّـة راح مـن حُلْوانِ
يـا حُفْرَةً ضمَّتْ محاسِنَ مالِكٍ | مـا فيكِ من كَرَمٍ ومن إحسانِ
لَهْفي على البَطَـل المُعرِّض خَدَّه | وجبينَـه لأسنَّـة الفُـرسانِ
خَـرَقَ الكتِيبة مُعلمـاً متكنياً | والمُرْهفـاتُ عليـه كالنِّيـرانِ
ذهبـت بَشاشَةُ كلِّ شيءٍ بعـده | فالأرضُ مُوحِشة بـلا عُمرانِ
هـدَم الشُّراةُ غَداة مَصْرع مالكٍ | شرف العُـلا ومكـارمَ البُنيانِ
قَتَلوا فتى العرب الذي كانت به | تَقْوى على اللَّزبـات في الأزمانِ
حرمـوا مَعَدّاً مـا لديه وأوقَعوا | عصبيَّـةً في قَلـبِ كُـلِّ يَماني
تَركُـوه في رَهَـج العَجاجِ كأنّه | أَسَدٌ يَصـول بساعِـدٍ وبَنانِ
هوَتِ الجُدودُ عن السُّعودِ لفقدِه | وتمسَّكـتْ بـالنَّحْسِ والدَّبَـرانِ
لا يَبْعِدَنَّ أخو خُزاعَـة إذ ثَوى | مستَشْهِـداً في طاعـةِ الرَّحمنِ
عَـزَّ الغُـواةُ بـه وذَلَّت أُمّةٌ | مَحْبُـوَّةٌ بحقائـقِ الإيمـانِ
وبكـاهُ مُصحَفُه وصدْرُ حسامِهِ | والمُسلِمـونَ ودَوْلَـةُ السُّلطانِ

---

1 في رواية : كبدر التمام .

2 شعره : 268–269 .

وغـدَت تُعقَّر خيلُـه وتُقسِّمَت أدراعُـه وسَوابِـغُ الأبـدانِ
أفتُحمَد الدُّنيا وقد ذَهَبَتْ بِمَنْ كان المُجيرَ لنـا مـن الحَدَثانِ !

[شوقه إلى بغداد]

أخبرني هاشِمُ بن محمد الخُزاعيّ قال : أنشدَني أبو غسّان دَماذ لبَكْر بن النطّاح يتشوَّق إلى بغداد وهو بالجبل يومئذٍ[1] : [من المتقارب]

نَسيمُ المُـدامِ وبَـرْد السَّحَرْ همـا هيَّجا الشّوقَ حتى ظَهَرْ
تقـولُ : اجتَنِب دارَنا بالنّهارِ وزُرْنا إذا غـاب ضوءُ القَمَرْ
فـإنّ لنـا حَرَساً إن رأوْكَ نَدِمْتَ وأُعطُوا عليك الظَّفَرْ
وكَـمْ صَنَعَ اللهُ مـن مرَّةٍ عليهـم وقـد أُمِرُوا بالحَذَرْ
سَقـى اللهُ بغـدادَ مـن بلدةٍ وساكنَ بَغْداد صَوْبَ المَطَرْ
ونُبِّئْتُ أنَّ جَـواري القُصُو رِ صَيَّرن ذِكْرِي حديثَ السَّمَرْ
ألا رُبَّ سائلـةٍ بالعـرا قِ عنّي وأُخرى تُطيل الذِّكَرْ
تقـول : عهدْنـا أبـا وائـلٍ كظَبْـي الفَـلاة المَليـح الحوَرْ
ليـاليَ كنـتُ أزور القِيانَ كأنَّ ثِيابـي بَهـارُ الشَّجَرْ

[غزل بقينة]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني ميمون بنُ هارون قال : كان بَكْر بنُ النَّطّاح يَهوى جارية من جَواري القيان وتَهْواه ، وكانت لبعض الهاشِميِّين ، يقال لها دُرّة ، وهو يذكُرها في شعره كثيراً ؛ وكان يَجْتمع معها في منزل رجُلٍ من الجُند من أصحاب أبي دُلَف يقال له : الفزْر . فسَعى به إلى مولاها ، وأعلَمه أنّه قد أفسدَها وواطَأها على أن تَهرُب معه إلى الجبل ، فمنعه من لقائها وحَجَبه عنها ، إلى أن خرج إلى الكَرَج مع أبي دُلَف ، فقال بكر بن النطّاح في ذلك[2] : [من الخفيف]

أهلُ دارٍ بين الرُّصافة والجِسْـ ـرِ أطالوا غَيْظي بطُولِ الصُّدودِ
عذَّبوني ببُعْدهم وابْتَلُوا قَلْـ ـبي بحبـين : طارِفٍ وتَليدِ[3]
مـا تَهُبّ الشَّمال إلاّ تنفَّسـ ـت وقال الفُؤادُ للعَيْن : جُودي

---

1 شعره : 246–247 (عن الأغاني) .
2 شعره : 237–238 (عن الأغاني) .
3 بحبين في شعره : بحزنين .

قلَّ عنهم صَبْري ولم يرحَموني فتحيَّرت كالطَّريــد الشّريــدِ
وكلْتني الأيّامُ فيــكِ إلى نفسِـ ـي فأعيَيْتُ وانتهى مَجْهودي

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوريّ[1] : [من الكامل]

العَينُ تُبْدي الحُبَّ والبُغضا وتُظهِــر الإبــرامَ والنَّقْضا
دُرَّةُ مــا أنصفْتِني في الهوى ولا رَحِمْتِ الجَسَدَ المُنْضى[2]
مرَّت بِنــا في قُرطُــق أخْضَرٍ يعشَق منهــا بَعضُهــا بَعْضا
غَضْبــى ولا واللهِ يــا أهلَها لا أشرَبُ البــارِدَ أو تَرْضى
كيف أطاعَتْكم بهَجْري وقد جَعلْتُ خَــدّيَّ لهــا أرْضا !

وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوريّ[3] : [من المنسرح]

صدَّتْ فأمسى لِقاؤُها حُلما واستبدل الطرفُ بالدُّموعِ دَما
وسلَّطت حُبَّهــا على كَبِدي فأبدَلَتْنــي بصِحَّــةٍ سَقَما
وصِرْتُ فرداً أبكِــي لِفُرقتها وأقــرعُ السِّنَّ بعدهــا نَدَما
شَقَّ عليها قولُ الوُشاة لها : أصبحتِ في أمرِ ذا الفَتى عَلَما
لولا شَقائــي ومــا بُليتُ به من هَجْرِها لاستترتُ فاكتُما[4]
كم حاجةٍ في الكتاب بُحتُ بها أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَما

وقال فيها أيضاً ، وفيه رمل لأبي الحَسَن أحمد بن جعفر جَحْظَة[5] : [من السريع]

بَعُــدتِ عنِّــي فتغيَّرتِ لي وليس عنــدي لــكِ تَغْيِيرُ
فَجَدِّدي مــا رثَّ من وَصْلِنا وكلّ ذَنْــبٍ لــكِ مَغْفُورُ
أطَيِّــب النَّفسَ بكتمــان مــا سارت بــه من غدْرِك العِيرُ
وَعــدُك يــا سَيِّدتي غــرّني منــكِ ومَــن يَعْشَقُ مَغْرورُ
يَحزنُني عِلمــي بِنَفْسي إذا قــال خَليــلي أنــتَ مَهْجورُ

---

1 شعره : 249–250 .
2 المنضى : المهزول .
3 شعره : 264–265 (عن الأغاني) .
4 شعره : ما استترت ما اكتتما .
5 شعره : 244 (عن الأغاني) .

يــا ليت مَن زَيَّنَ هـذا لها ... جارت لنـا فيـــه المَقادِيرُ
ساقي النَّدامى سَقِّها صاحِبي ... فإنّنـــي وَيْحـــكِ مَعْـذورُ
أأشربُ الخَمــرَ على هَجْرِها ... إنّــي إذاً بالهَجْــرِ مسرورُ !

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلَف إلى أصبهان[1] : [من الكامل]

يــا ظبيةَ السِّيبِ التـي أحببتُها ... ومَنَحتُها لُطفـي ولِـينَ جَناحي
عَينـايَ باكِيَتــانِ بعــدَكِ للّذي ... أَوْدَعْتِ قلبـي مِن نُدوبِ جِراحِ
سَقْياً لأحمدَ مـــن أخٍ ولِقاسمٍ ... فَقَــدا غُـدوِّي لاهِيـاً ورَواحي
وتَرَدُّدِي مـــن بَيت فـزرٍ آمِناً ... من قُرْبِ كُلِّ مُخالِفٍ ومُلاحي
أيّامَ تَغبِطُنــي المُلــوكُ ولا أرى ... أحــداً لـــه كتدلُّــلي ومَراحي
تَصِفُ القِيانُ إذا خلونَ مجانَتي ... ويَصِفْنَ للشَّربِ الكـرامِ سَماحي

ومِمّا يُغنَّى فيه من شعر بَكْرِ بن النَّطّاح في هذه الجارية قوله[2] : [من الكامل]

صوت

هـل يُبتَلى أحـدٌ بمِثْـلِ بلِيَّتــي ... أم ليس لي في العالَمين ضَريبُ
قالــت عَنانُ وأبصرتْني شاحِباً : ... يا بَكْرُ مالكَ قد عَلاك شُحوبُ
فأجَبتُها : يـا أختُ لم يلـقَ الذي ... لاقيــــتُ إلاّ المُبْتَـــلى أيُّوبُ
قـد كنـتُ أسمعُ بالهـوى فأظنُّه ... شيئـاً يَلَــذُّ لأهلِــهِ ويَطِيبُ
حتى ابتُلِيــتُ بحُلْــوه وبمُـرِّه ... فالحلــو منـــه للقُلـوبِ مُذيبُ
والمُـرّ يَعجِز مَنْطقي عـن وَصْفِهِ ... للمُـرِّ وصفٌ يـــا عَنانُ عَجيبُ
فأنـــا الشّقـــيّ بحُلْـــوِه وبِمُــرِّه ... وأنـــا المُعَنَّى الهائِـــمُ المَكرُوبُ
يـا دُرَّ حالَفَـكِ الجَمالُ فما لـه ... في وَجْه إنسانٍ سواكِ نَصيـــبُ
كلُّ الوجـوه تَشابَهَــتْ وَبَهَرْتِها ... حُسناً فوَجهُكِ في الوُجوهِ غريبُ
والشمس يغرُب في الحِجاب ضِياؤُها ... عنّـا ويُشْرِق وَجهُكِ المَحْجوبُ

ومِمّا يُغنَّى فيه من شِعْرِه فيها أيضاً[3] : [من الكامل]

---

1 شعره : 234–235 (عن الأغاني) .
2 شعره : 219–220 (عن الأغاني) .
3 شعره : 270–271 .

غَضِبَ الحبيبُ عليَّ في حُبِّي له ... نَفْسي الفِداءُ لِمُذْنِبٍ غَضْبانِ
ما لي بما ذكر الرّسولُ يدانِ بل ... إن تَمَّ رأيُكَ ذا خَلَعْت عِناني
يا مَنْ يَتُوقُ إلى حَبيب مُذنِبٍ ... طاوعْته فَجَزاك بالعِصْيانِ
هلاّ انتحرتَ فكنتَ أوَّلَ هالِكٍ ... إن لم يَكُن لك بالصُّدودِ يَدانِ
كنّا وكُنْتم كالبَنانِ وَكَفِّها ... فالكفُّ مفردَةٌ بغَيْرِ بَنانِ
خُلِق السُّرورُ لَمعْشر خُلِقوا له ... وخُلِقْتُ للعَبَراتِ والأَحزانِ

صوت[1]

[من الخفيف]

ليتَ شِعْرِي أأوّلُ الهَرْج هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنَةٍ غيرِ هَرْجِ[2]
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحنُ بخير ... قد أتانا من عَيْشِنا ما نُرَجِّي[3]
مِلكٌ يُطْعِم الطَّعام ويَسْقي ... لبنَ البُخْت في عِساسِ الخَلَنْجِ[4]
جَلب الخَيْل من تِهامَةَ حتّى ... بلغَت خيلُه قصور زَرَنْجِ[5]
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأكـ ... ـتاف يُوجِفن بين قُفٍّ ومَرْجِ[6]

عروضه من الخفيف . الشعر لعُبيد الله بن قَيْس الرُّقيّات ، والغناء ليُونُس الكاتب ماخوريّ بالبنصر ، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مَجرى البنصر عن إسحاق .

1 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 179–180 .
2 الهرج : القتل . انظر شرح الأستاذ محمود محمد شاكر في الطبقات : 531–532 وحاشية الديوان .
3 الديوان : فأنا بخير . . من عيشه .
4 الديوان :

ملك يبرم الأمور ولا يـ ... ـشرك في رأيه الضعيف المزجي

والمزجي : هو الذي يدافع الأمر ليفرغ منه بأقلّ الجهد . والبخت الإبل الخراسانية . والعساس : جمع عس وهو القدح الكبير . والخلنج : نوع من الشجر .
5 الديوان : وردت بدل بلغت . وزرنج : مدينة بخراسان .
6 الديوان : يرجعن . وذو الأكتاف : سابور بن هرمز . وقفّ : ما ارتفع من الأرض وغلظ . ومرج : أرض واسعة .

[402] ـ مقتل مصعب بن الزُّبير[1]

وهذا الشعر يقوله عُبَيْد الله بن قَيْس لِمُصعَب بن الزُّبير لمّا حَشَدَ للخروج عن الكوفة عامداً لمحاربة عبد الملك بن مَروان .

[عبد الملك يستشير]

وكان السبب في ذلك ، فيما أجاز لنا الحِرْميّ بن أبي العلاء روايته عنه ، عن الزُّبير بن بكّار ، عن المدائنيّ قال : لمّا كانت سنة اثنتين وسبعين[2] ، استشار عبدُ الملك بن مروان عبدَ الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق ومُناجزة مُصْعَب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد واليتَ بين عامين تغزو فيهما وقد خَسِرت خيلَك ورجالَك ، وعامُك هذا عامٌ حارٌ فأرح نفسك ورَجلَك ثم ترى رأيك . فقال : إنّي أُبادر ثلاثة أشياء ، وهي أنّ الشام أرضٌ بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي ، وأشرافُ أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم ، وثلاثةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قد كبروا ونفِدت أعمارُهم ، وأنا أُبادِر بهم الموتَ أحبّ أن يحضروا معي .

ثم دعا يَحيى بن الحكم ، وكان يقول : مَن أراد أمراً فَلْيُشاورْ يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى في المسير إلى العراق ؟ قال : أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مُصعباً بالعراق ، فلعن الله العراق ! فضحك عبدُ الملك .

ودعا عبدَ الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد غزوتَ مرة فنصرك اللهُ ، ثم غزوتَ ثانية فزادك الله بها عِزّاً ، فأقم عامَك هذا .

فقال لمحمد بن مروان : ما ترى ؟ قال : أرجو أن ينصُرَك الله أقمتَ أم غزوتَ ، فشمِّر فإنّ الله ناصرُك . فأمر الناسَ فاستعدّوا للمسير ، فلمّا أجمع عليه قالت عاتكةُ بنتُ يزيد بن معاوية زوجته : يا أمير المؤمنين وجِّه الجُنودَ وأقِم ، فليس الرأْيُ أن يُباشر الخليفةُ الحرب بنفسه . فقال : لو وجَّهتُ أهلَ الشام كُلّهم فعلِم مُصعَب أنّي لستُ معهم لهلك الجيشُ كلّه ، ثم تمثّل[3] : [من الطويل]

---

1 مقتل مصعب بن الزُّبير في كتب التاريخ الكبرى كالطبري والمسعودي والكامل والبداية والنهاية ، وانظر أنساب الأشراف والعقد .

2 الطبري والمسعودي : سنة 71 .

3 انظر الخبر وما تمثل به عبد الملك في العقد 407/4 .

ومُسْتَخبِرٍ عنّا يُرِيد بنا الرَّدى ومُستَخبراتٍ والعُيونُ سواكِبُ

ثم قدم محمد بن مَروان ومعه عبد الله بن خالد بن أُسيد وبِشْرِ بن مروان ، ونادى مُناديه : إنّ أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد بن مروان . وبلغ مُصعبَ بن الزُّبير مسيرُ عبد الملك ، فأراد الخُروجَ فأبى عليه أهلُ البصرة وقالوا : عدوُّنا مُطِلٌّ علينا ، يعنون الخوارج ، فأرسل إليهم بالمهلّب وهو بالموصلْ ، وكان عاملَه عليها ، فولاّه قتالَ الخوارج ، وخرج مُصعب فقال بعض الشعراء : [من الرجز]

أَكُلٌّ عـام لك باجُمَيْرا تَغزُو بنا ولا تُفِيد خَيْرا[1]

[سير القتال]

قال : وكان مُصعب كثيراً ما يخرُج إلى باجُمَيْرا يريد الشام ثم يرجع . فأَقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونيّة[2] ونزل مُصعب بمَسْكِن[3] إلى جنب أوانا[4] وخَنْدَق خَنْدقاً ثم تحول ونـزل دير الجاثَلِيق[5] وهو بمسكن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، ويقال فرسخان ، فقدّم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه وكلٌّ واحدٍ منهما على جيش والأمير محمـد ، وقـدّم مُصعبٌ إبراهيمَ بنَ الأشتر ؛ ثم كتب عبد الملك إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة يدعُوهم إلى نفسه ويمنيهم ، فأجابوه وشرطُوا عليه شروطاً ، وسألوه ولاياتٍ ، وسأله ولايةَ أصبهان أربعون رجلاً منهم . فقال عبد الملك لَمن حضره : ويْحكم ! ما أصبهان هذه ! تعجُّباً ممّن يطلبها . وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر : لك ولايةُ ما سقى الفراتُ إن تبعتني ، فجاء إبراهيمُ بالكتاب إلى مصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ، ولم يَخْصُصني بهذا دون غيري من نظرائي ؛ ثم قال : فأطعني فيهم ، قال : أصنع ماذا ؟ قـال : تدعوهـم فتضرب أعناقَهم . قال : أَقتُلهم على ظنّ ظننته ! قـال : فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أرض المدائن حتى تَنقضيَ الحرب ، قال : إذاً تفسد قلوبُ عشائرهم ، ويقول الناس : عبث مصعب بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تمدّني بهم فإنّهم كالمومسة تريد كلّ يوم خليلاً ، وهم يريدون كلّ يوم أميراً .

أرسل عبد الملك إلى مُصعَب رجلاً يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة ، فأَبى مُصعَب . فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال : اللهمّ انصر محمداً ، ثلاثاً ، ثم قال : اللهمّ انصر

---

1 باجميرا : موضع بأرض الموصل .

2 الأخنونيّة : موضع من أعمال بغداد .

3 مسكن : موضع على دُجيل عند دير الجاثليق به قبر مصعب .

4 أوانا : بلدة قريبة من بغداد .

5 دير الجاثليق : دير قديم غربي دجلة قريب من بغداد .

أُصلحنا وخيرنا لهذه الأُمّة . قال : وقدّم مُصعَب إبراهيمَ بن الأشتر ، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مُصعَب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ، فتناوشوا ، فقُتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس ، وقُتِل صاحب لواء بشر وكان يقال له أُسَيد . فأرسل محمد إلى عبد الملك أنَّ بشراً قد ضيَّع لواءه . فصرف عبدُ الملك الأمر كلّه إلى محمد ، وكفّ الناسُ وتواقفوا ، وجعل أُصحابُ ابن الأشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه . فأرسل عبدُ الملكِ إلى محمد : ناجزْهم ، فأبى ، فأوفد إليه رسولاً آخر وشتمه ؛ فأمر محمد رجلاً فقال له : قِف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدَعَنّ أحداً يأتيني من قِبَل عبد الملك . وكان قد دبّر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه . فكره أن يُفسِد عبد الملك تدبيره عليه ، فوجّه إليه عبدُ الملك عبدَ الله بن خالد بن أُسيد ؛ فلمّا رأَوْه أرسلوا إلى محمد بن مروان : هذا عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : رُدُّوه بأشدّ مِمّا رددتم مَنْ جاء قبله ، فلمّا قرب المساء أمر محمدُ بنُ مَروانُ أصحابه بالحرب ؛ وقال : حرِّكوهم قليلاً ، فتهايج الناس ، ووجّه مُصعَب عَتّابَ بنَ ورقاء الرِّياحيّ يُعَجِّز إبراهيم ، فقال له : قد قلت له : لا تُمِدّني بأحد من أهل العراق فلم يقبل ، واقْتَتَلوا . وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه ، بحضرة الرسول ليرى خلافَ أهل العراق عليه في رايه ، ألاّ تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهلُ الشام عنكم ؟ فقالوا : ولِمَ لا ننصرف ؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً . وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قُتِل . فلمّا أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال : انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر . قال : لا أعرف موضع عسكرهم ، فقال له إبراهيم بن عديّ الكنانيّ : انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك . فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب ، ثم رجع إلى محمد فقال : رأيتهم منكسرين . وأُصبح مصعب فدنا منه ، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا ، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان . فدنا إلى مصعب ثم ناداه : فداك أبي وأُمّي ، إنّ القوم خاذِلوك ولك الأمان ، فأَبى قبولَ ذلك . فدعا محمدُ بن مروان ابنَه عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه : انظر ما يريد محمد ، فدنا منه فقال له : إنّي لكم ناصح ؛ إنّ القوم خاذِلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشدَه . فرجع إلى أبيه فأخبره ، فقال : إنّي أظنّ القوم سيَفون ، فإن أحببت أن تأتيَهم فأْتِهم ، فقال : والله لا تتحدَّث نساء قريش أنّي خذلتك ورغبت بنفسي عنك ؛ قال : فتقدّم حتى أحتسبك ، فتقدّم وتقدّم ناس معه فقُتِل وقُتِلوا ، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة . وجاء رجل من أهل الشام ليحتزّ رأس عيسى ، فشدّ عليه مصعب فقتله ، ثم شدّ على الناس فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مِرفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيَفرِجون عنه ، ثم

يرجع فيقعد على المرفقة ، حتى فعل ذلك مراراً . وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال له : اعزُب يا كلب ، وشدّ عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصّب رأسه . وجاء ابن أبي فَرْوة كاتبُ مصعب فقال له : جُعِلتُ فداك ، قد تركك القوم وعندي خيل مضمَّرة فاركبها وانجُ بنفسك . فدفع في صدره وقال : ليس أخوك بالعبد . ورجع ابن ظَبْيان إلى مصعب ، فحمل عليه ، وزرق[1] زائدة بن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ! فصرعه ، وقال عبيد الله لغلام له : احتزَّ رأسه ، فنزل فاحتزّ رأسه ، فحمله إلى عبد الملك ، فيقال : إنّه لمّا وضعه بين يديه سجد . قال ابن ظَبيان : فهممت والله أن أقتله فأكون أفتكَ العرب ، قتلتُ ملكين من قريش في يوم واحد ، ثم وجدت نفسي تنازعني إلى الحياة فأمسكت .

قال : وقال يزيد بن الرِّقاع العامليّ أخو عديّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام : [من الطويل]

نحنُ قتلْنا ابنَ الحوارِيِّ مُصعَباً ... أخا أسد والمَذْحِجِيَّ اليمانيا[2]

يعني ابنَ الأشتر ، قال :

ومرَّت عُقاب الموت منّا بمُسلِمٍ ... فأهْوَت له ظُفراً فأصبَح ثاوِيا[3]

قال الزُّبير : ويروى هذا الشعر للبَعِيث اليَشْكُريّ ، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهليّ .

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، عن عَوانَة قال : كان مسلم بن عمرو الباهليّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر ، فطُعِن وسقط فارتُثَّ[4] ، فلمّا قُتِل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمانَ من عبد الملك ، فأرسل إليه : ما تصنع بالأمان وأنت بالموت ؟ قال : ليسلَم لي مالي ويأمن ولدي . قال : فحمل على سرير فأدخل على عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لأهل الشام : هذا أكفر الناس لمعروف ، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيد بن معاوية عندك ؟ فقال له خالد : تُؤَمِّنه يا أمير المؤمنين ، فأمَّنه ، ثم حُمِل فلم يبرح الصَّحْنَ

---

1 زرقه : رماه أو طعنه بالمزراق وهو الرمح القصير .

2 الطبريّ :

ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب ... أخا أسد والنخعيّ اليمانيا

3 الطبري : فأهوت له ناباً .

4 ارتث : حمل وبه رمق .

حتى مات ، فقال الشاعر : [من الطويل]

نحنُ قَتَلْنا ابنَ الحَوارِيّ مُصعباً أخا أَسَدٍ والمذحِجيّ اليمانيا

حدَّثنا محمد بن العبّاس قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ قال : قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : بماذا تحتجّ عند الله عزّ وجلّ من قتلك لمصعب ؟ قال : إن تُرِكتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطب من صَعْصَعة بن صُوحان .

[مصعب وسكينة]

وقال مصعب الزُّبيريّ في خبره : قال الماجشون : فلمّا كان يوم قَتْل مصعب دخل إلى سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه ، ولبس غِلالة وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمت سُكينة أنّه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه : واحُزناه عليك يا مصعب ؛ فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها منه ، فقال : أَوَكُلّ هذا لي في قلبك ! فقالت : إي والله ، وما كنت أُخفي أكثر . فقال : لو كنت أعلم أنّ هذا كلّه لي عندك لكانت لي ولك حال ، ثم خرج ولم يرجع .

قال مصعب : وحدَّثني مصعب بن عثمان : أنّ مصعب بن الزُّبير لمّا قدمت عليه سُكينة أَعطى أخاها عليَّ بن الحسين عليهم السلام ، وهو كان حملها إليه ، أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدَّثني معاوية بن بكر الباهليّ قال : قالت سُكينة : دخلتُ على مصعب وأنا أحسن من النّار الموقدة . قال : وكانت قد ولدت منه بنتاً ، فقال لها سمِّيها زَبْراء ، فقالت : بل أُسمِّيها باسم بعض أُمّهاتي ، فسمَّتها الرَّباب .

قال : فحدَّثني محمد بن سلام ، عن شعيب بن صخر ، عن أُمّه سُعْدة بنت عبد الله بن سالم قالت : لقيتُ سُكَينة بنت الحسين بين مكّة ومِنًى فقالت : قفي يا بنتَ عبدِ الله ، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها باللؤلؤ . فقالت : والله ما ألبستْها إيّاه إلاّ لتفضحه ؛ قال : فلمّا قُتِل مصعب وليَ أمرَ مالك عروةُ بن الزُّبير ، فزوّج ابنَه عثمانَ بن عروة ابنةَ أخيه من سكينة وهي صغيرةٍ فماتت قبل أن تبلغ ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار .

قال : ولّما دخلت سُكَينة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبدُ الملك فقالت : والله لا يتزوَّجني بعده قاتِلُه أبداً . وتزوَّجت عبدَ الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام ، ودخلتْ بينها وبينه رَمْلَةُ بنت الزُّبير أُخت مصعب حتى تزوَّجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك ، فولدت منه ابناً فسمَّته عثمان ، وهو الذي يُلقَّب بقرين ، ورُبَيحة ابنَي عبد الله بن عثمان ؛ فتزوّج رُبَيْحَةَ العبّاسُ بن الوليد بن عبد الملك .

[رثاء مصعب]

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّ الرَّزِيَّة يوم مَسْـ ـكِنَ والمُصيبَةَ والفَجِيعَهْ
يا ابنِ الحوارِيّ الذي لم يَعده يومُ الوقيعَهْ[2]
غَدَرتْ به مُضَرُ العِرا ق وأَمكَنَتْ منه رَبيعَهْ
تَاللهِ لو كانت له بالدَّيْر يومَ الدير شِيعَهْ[3]
لوجَدْتُموه حين يُد لج لا يُعرِّس بالمَضِيعَهْ[4]

غنّاه يونس الكاتب من كتابه ، ولَحْنه خفيف رمل بالوُسْطى ، وفيه لموسى شَهواتٍ خفيف رمل بالبِنْصر عن حَبَش ، وقيل : بل هو هذا اللحن ، وغلِط مَن نسبه إلى موسى .

وقال عديّ بن الرِّقاع العامليّ يذكُر مقتلَه[5] : [من المتقارب]

لعَمْرِي لقد أُصحَرَتْ خيلُنا بأَكنافِ دِجْلَةَ للمُصْعَبِ[6]
يَهُزّون كُلَّ طويل القنا ة معتدلَ النَّصلِ والثَّعلبِ
فِداؤك أُمّي وأَبناؤها وإن شئتَ زِدتُ عليهم أَبي
وما قلتُها رَهبَةً إنّما يَحُلّ العِقابُ على المذنبِ
إذا شِئتُ دافعْتُ مُستَقْتِلاً أُزاحِمُ كالجَمَل الأَجربِ
فمَن يَكُ مِنّا يَبِتْ آمِناً ومَن يَكُ من غَيرِنا يَهرُبِ

غنّاه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 184 .
2 يوم الوقيعه في الديوان : أهل الوقيعة .
3 الديوان :
يا لهف لو كانت له بالدير يوم الدير شيعه
4 يعرس : ينزل آخر الليل للراحة . ورواية الديوان :
لوجدتموه حين يغـ ـضب لا يعرج بالمضيعه
5 ديوان عدي بن الرقاع وانظر الطبري (حوادث سنة 71) .
6 أصحرت : برزت إلى الصحراء .

وقال ابن قيس يرثي مُصعَباً[1] : [من الطويل]

لقد أُورَثَ المِصْرَيْن خزْياً وذِلَّةً ... قتيلٌ بدَيْر الجاثَليقِ مُقِيمُ
فما قاتَلتْ في اللهِ بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صَبرتْ عند اللِّقاء تميمُ[2]
ولكنّه رامَ القِيامَ ولَم يَكُن ... لها مُضَرِيٌّ يوم ذاك كَرِيمُ[3]

[مصعب لا يفر]

قال الزُّبير : وكان مصعب لمّا قدِم الكوفةَ يسأَل عن الحسين بن عليّ عليهما السلام وعن قتْله ، فجعل عروةُ بنُ المغيرة يحدّثه عن ذلك ، فقال متمثّلاً بقول سُليمان بن قَتَّة : [من الطويل]

فإنَّ الأُلى بالطَّفِّ من آل هاشمٍ ... تأَسَّوْا فسَنُّوا للكِرامِ التَّأَسِّيا

قال عروة : فعَلِمت أَنّ مُصْعَباً لا يفرّ أَبداً .

قال الزُّبير : وقال أَبو الحكم بن خلاد بن قُرَّة السَّدوسيّ : حدَّثني أَبي قال : لمّا كان يوم السَّبخة حين عَسْكَرَ الحجّاج بإزاء شبيبٍ الشاريّ قال له الناس : لو تنحّيت أَيّها الأمير عن هذه السّبخة ؟ فقال لهم : ما تنحُّوني ، واللهِ ، إليه أَنتنُ ، وهل ترك مصعبٌ لكريم مفرّاً ؟ ثم تمثّل قولَ الكَلْحَبَة : [من الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أَوشَكت ... حِبالُ الهُوَيْنى بالفتى أَن تَقطَّعا

[خطبة عبد الله بن الزُّبير]

قال الزُّبير : وحدَّثني المَدائنيّ عن عَوانة والشّرقيُّ بن القطاميّ عن أَبي جَنابٍ قال : حدَّثني شيخٌ من أهل مكّة قال : لمّا أتى عبدَ الله بن الزُّبير قتلُ مصعب أضرب عن ذكره أيّاماً حتى تحدَّثت به إماءُ مكّة في الطريق ؛ ثم صعد المِنبر فجلس عليه مليّاً لا يتكلّم ، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه ، وجبينُه يرشَحُ عرقاً ، فقلت لآخر إلى جنبي : ما له لا يتكلّم ؟ أَتُراه يَهاب المنطق ؟ فوالله إنّه لخطيب ، فما تُراه يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكر قتلَ مصعب سَيِّدِ العرب فهو يفظع لذكره ، وغيرُ ملوم . فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدُّنيا والآخرة ، يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلُّ مَن يشاء ؛ ألا إنّه لم يَذِلّ والله مَن كان الحقّ معه وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ولم يَعِزّ مَن كان الباطل معه ، وإن كان في العُدَّة والعَدد

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 196 .
2 الديوان : فما نصحت لله . . .
3 الديوان :
ولكنه ضاع الذمام ولم يكن ... بها مضري . . .

والكثرة . ثم قال : إنّه قد أتانا خَبرٌ من العراق بلدِ الغدر والشقاق فساءنا وسرّنا ، أتانا أن مصعباً قُتِل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأمّا الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمُه عند المصيبة ، ثم يرعَوي من بعدُ ذو الرأي والدِّين إلى جميل الصبر . وأمّا الذي سرّنا منه فإنّا قد علمنا أنّ قتله شهادة له وأنّ الله عزّ وجلّ جاعلٌ لنا وله ذلك خِيرةً إن شاء الله تعالى . إنّ أهلَ العراق أسلموه وباعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسَرِه ، أسلموه إسلامَ النَّعَم المُخَطَّم[1] فقُتِل ، ولئن قتل لقد قتل أبوه وعمُّه وأخوه وكانوا الخيارَ الصالحين . إنّا والله ما نموت حَتْفَ أُنوفنا ، ما نموت إلاّ قَتْلاً ، قَعْصاً بين قِصَد الرِّماح وتحت ظلال السّيوف وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِل رجلٌ منهم في جاهلية ولا إسلام قطّ ، وإنّما الدُّنيا عاريةٌ من المَلِك القهّار ، الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبِل الدُّنيا عليّ لا آخذُها أخْذ الأشِرِ البطِر ، وإن تُدبر عنّي لا أبْكِ عليها بكاء الخِرِف المُهْتَر . ثم نزل .

وقال رجلٌ من بني أُسد بن عبد العُزّى يرثي مُصعباً : [من الطويل]

لعمـرُك إنّ المـوتَ منّـا لَمُولَعٌ بكُلِّ فتًـى رَحْبِ الذّراعِ أَريبِ
فإن يَكُ أمسى مُصعبٌ نال حَتفَه لقد كان صُلْبَ العُودِ غيرَ هَيُوبِ
جميلَ المُحَيَّا يُوهِـن القِرنَ غَربُه وإن عضَّه دَهْـرٌ فغيـر رَهُـوبِ
أَتـاه حِمامُ المَوْت وَسْط جُنودِه فطـاروا شِلالاً واسْتَقى بذَنُوبِ[2]
ولـو صَبروا نالـوا حُبّـاً وكرامةً ولكنّهـم وَلَّـوا بغير قُلـوبِ

[مصعب أشجع الناس]

قال : وقال عبد الملك يوماً لجلسائه : مَن أشجع الناس ؟ فأكثروا في هذا المعنى ، فقال : أشجعُ الناس مُصعبُ بنُ الزُّبير ، جمع بين عائشة بنتِ طلحة وسُكَينة بنت الحسن وأمَة الحَمِيد بنت عبد الله بن عاصم ، ووليَ العراقين ، ثم زحف إلى الحرب ، فبذلتُ له الأمانَ والحِباء والولايةَ والعفو عمّا خلص في يده ، فأبى قبول ذلك ، واطَّرح كلّ ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قدماً يقاتل وما بقي معه إلاّ سبعةُ نفر حتى قُتِل كريماً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا وَلِيَ مُصعبُ بنُ الزُّبير

1 النعم المخطم : البعير الذي جعل الخطام على أنفه لاقتياده .
2 طاروا شلالاً : فروا متفرقين .

العراقَ أقرَّ عبدَ العزيز بنَ عبدالله بن عامر على سِجِستان وأمدَّه بخَيل ، فقال ابنُ قيس الرُّقيات : [من الخفيف]

لَيتَ شِعْري أأوَّلُ الهَرْج هـذا ... أم زَمـانٌ من فتنةٍ غير هَـرْجِ
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحـن بخيرٍ ... قد أتانـا مـن عَيْشنا مـا نُرَجِّي
أُعطِيَ النَّصرَ والمهابـةَ في الأعـ ... ـداء حتـى أتَوْه مـن كلِّ فجٍّ
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأكـ ... ـتاف يُوجِفْن بـين قُفٍّ ومَرْجِ
ملـكٌ يُطعِـم الطّعامَ ويَسْقي ... لَبَـنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ

قال الزُّبير : حدَّثني عمِّي مُصعب : أنّ عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك ، فأقبل غِلمانٌ له معهم عِساس خَلَنْج فيها لبن البخت ، فقال عبد الملك : يا ابن قيس ، أين هذا من عِساس مصعب التي تقول فيها : [من الخفيف]

ملكٌ يطعـم الطعـام ويسقي ... لبنَ البُخت في عِساس الخَلَنْجِ

فقال : لا أين يا أمير المؤمنين ، لو طرحتَ عِساسَك هذه في عُسٍّ من عساس مُصعب لوَسِعها وتغَلغلت في جوفه ، فضحك عبد الملك ثم قال : قاتلك الله يا ابن قيس ، فإنّك تأبى إلاّ كرماً ووفاء .

[يونس الكاتب والوليد بن يزيد]

حدَّثني عمِّي قـال : حدَّثني أحمد بن الطيب قـال : قـال لي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود : خرج يونس الكاتب من المدينة يُريد الشام بتجارة ، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه فأتته رُسلُه وهو في الخان ، وذلك في خلافة هشام ، والوليدُ يومئذٍ أميرٌ ، فقالوا له : أجِب الأميرَ ؛ قال : فذهبتُ معهم ، فأدخلوني عليه ولا أدري مَن هو إلاّ أنّه حسنُ الوجه نبيل . فسلَّمتُ عليه ، فأمَرني بالجلوس فجلست ، ودَعا بالشراب والجواري ، فكنّا يومَنا وليلتنا في أمرٍ عجيب ، وغنَّيته فأعجبَه غنائي ، وكان مِمّا أعجبه : [من الخفيف]

لَيتَ شِعْري أأوَّلُ الهَرْج هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنةٍ غير هَـرْجِ

فلم يزل يستعيده إلى الصبح ، ثم اصطبح عليه ثلاثة أيّام . فقلت : أيّها الأمير ، أنا رجلٌ تاجر قدِمتُ هذا البلدَ في تجارةٍ لي ، وقد ضاعت ، فقال : تخرج غداً غُدْوةً وقد رَبِحتَ أكثرَ من تجارتك ، وتَمَّم شُربه . فلمّا أردتُ الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار ، فأخذتها ومضيت . فلمّا أفضت الخلافة إليه أتيتُه ، فلم أزل مُقيماً عنده حتى قُتِل .

قال أحمد بن الطيب ، وذكر مُصْعب الزُّبيريّ ، أنَّ يونس قال : كنتُ أشربُ مع أصحاب لي فأردتُ أن أبولَ ، فقمتُ فجلستُ أبُولُ على كثيب رمل ، فخطر ببالي قولُ ابنِ قَيس :

ليتَ شِعري أأوّلُ الهَرْجِ هذا

فغنَّيت فيه لحناً استحسنتُه وجاءَ عجباً من العجب ، فألقيتُه على جاريتي عاتكةَ ، وردَّدَتْه حتى أخذتْه ، وشاع لي في الناس . فكان أوّلَ صوت شاع لي وارتفع به قَدْري وقُرِنتُ بالفُحول من المغنِّين ، وعاشرت الخلفاءَ من أجله ، وأكسبني مالاً جليلاً .

صوت[1]

[من المتقارب]

أَلا نادِ جِيرانَنا يَقصِدُوا فنَقْضي اللُّبانـةَ أو نَعْهَـدُ[2]
كأَنَّ على كَبِـدي جَمْرَةً حِذاراً من البَيْن مـا تَبْرُدُ[3]

الشعر لكُثَيِّر ، والغناء لأَشْعَب المعروف بالطمع ، ثاني ثقيل بالوُسطى ، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر عن حَبَش .

1 ديوان كثيّر : 493 .
2 الديوان : ألا نادِ لجيراننا .
3 جمرة في الديوان : قرحة .

[403] ـ ذكر أَشعب وأَخباره[1]

هو أَشعَب بن جُبَير ، واسمه شُعَيب ، وكنيته أَبو العلاء ، كان يقال لأُمِّه : أُمّ الخَلَنْدَج ، وقيل : بل أُمّ جميل ، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حُمَيدة . وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبَيْدة ، وأسره مُصعب فضرب عنقه صبراً ، وقال : تخرج عليّ وأنتَ مولاي ؟ ونشأ أشعب بالمدينـة في دور آل أبي طالـب ، وتولَّت تربيتَه وكفلته عائشةُ بنت عثمان بن عفّان .

وحُكي عنه أنّه حكى عن أُمّه أنّها كان تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ ، وأنّها زَنَت فَحُلِقت وطِيف بها ، وكانت تنادي على نفسها : مَن رآني فلا يَزْنين ، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها : يا فاعلة ، نهانا الله عزَّ وجلّ عنه فعصيناه ، أوَنطيعك وأنتِ مجلودة محلوقة راكبة على جمل !

وذكر رَضْوان بن أَحمد الصَّيْدلانيّ فيما أُجاز لي روايته عنه ، عن يوسف بن الداية عن إبراهيم بن المهديّ : أنّ عُبيدة بن أشعب أخبره ، وقد سأله عن أوّلهم وأصلهم ، أنّ أباه وجدّه كانا مَولَيَي عثمان ، وأنّ أُمّه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب ، وأنّ ميمونة أُمّ المؤمنين أخذتها معها لمّا تزوّجها النبيّ ﷺ ، فكانت تدخل إلى أزواج النبيّ ﷺ فيستَظرِفْنها ؛ ثم إنّها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديثَ بعضهنّ إلى بعض وتغري بينهنّ ، فدعا النبيُّ ﷺ عليها فماتت .

وذكروا أنّه كان مع عثمان ، رضي الله عنه ، في الدار ، فلمّا حُصِر جرَّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان : مَن أغمد سيفه فهُو حرٌّ ، قال أشعَبُ : فلمّا وقعتْ والله في أُذني كنتُ أوّلَ مَن أغمَد سيفه ، فأُعتِقتُ .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : حدَّثني الفضل بن الرَّبيع قال : كان أشعبُ عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة ، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيُه . وهو أشعبُ بن جُبَير ، وكان أبوه مولى لآل الزُّبير ، فخرج مع المختار ، فقتله مُصعَب صبراً مع مَن قتل .

أَخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابنُ مهرويه قال : حدَّثنا أَحمد بن إسماعيل اليزيديّ قال : حدَّثني التَّوَّزيّ ، عن الأصمعيّ قال : قال أشعب : نشأت أنا وأبو الزّناد في حِجْر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة .

---

1 ترجمة أشعب في وفيات الأعيان 2 : 471–475 وفوات الوفيات 1 : 197–201 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 75 وميزان الاعتدال 1 : 258 وتاريخ بغداد 7 : 37 . والمحاسن والمساوىء : 597 وأخبار الظرفاء : 31 وثمار القلوب : 150 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة جانباً كبيراً من أخباره في مواضع متفرقة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة قال : حدَّثني محمد بن عثمان بن عفّان قال : قلت لأشعب : لي إليك حاجة ، فحلف بالطلاق ، لابنة وَرْدان : لا سألتُه حاجة إلاّ قضاها ، فقلت له : أخبرني عن سنِّك ، فاشتدّ ذلك عليه حتى ظننت أنّه سيُطَلِّق . فقلت له : على رِسْلك ، وحلفتُ له إنّي لا أذكر سنّه ما دام حيّاً ، فقال لي : أمّا إذ فعلت فقد هوّنت عليّ ، أنا والله حيث حُصِر جدّك عثمان بن عفّان ، أسعى في الدار ألتقط السهام . قال الزُّبير : وأدركه أبي .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله اليعقوبيّ عن الهيثم بن عديّ قال : قال أشعب : كنت ألتقط السهامَ من دار عثمان يوم حوصِر ، وكنت في شبيبتي ألحق الحُمُرَ الوحشيّة عدْواً .

[حدّ أمّه على الزنا]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل قالا : أخبرنا المدائنيُّ قال : كان أشعب الطامع ، واسمه شُعيب ، مولى لآل الزُّبير من قِبل أبيه ، وكانت أمّه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفّان ؛ وكانت بغت فضُربت وحُلِقت وحُملت على جمل ، وطِيف بها وهي تنادي : مَن رآني فلا يزنين ، فأشرفت عليها امرأة فقالت : يا فاعلة ، نهانا الله عزَّ وجلَّ عن الزنا فعصيناه ، ولسنا ندعه لقولك وأنتِ محلوقة مضروبة يُطاف بكِ ؟

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا أحمد بن مَهرويه قال : كتب إليّ ابنُ أبي خَيْثَمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : اسم أشعب شُعيب ، ويكنى أبا العلاء ، ولكنّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه ، وهو شعيب بن جُبير مولى آل الزُّبير ، وهم يزعمون اليوم أنّ أصلهم من العرب انتسبوا إلى ذي رعين ، وولده كثير عندنا ، وأمّ أشعب أم الخَلَندج . فزعم أشعب أنّ أمّه كان تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ ورَحِمِهم ، وامرأة أشعب بنت وردان ، ووردان الذي بنى قبر النبيّ ﷺ حين بنى عُمر بن عبد العزيز المسجد .

[أشعب حسن الصوت]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : وكتب إليّ ابنُ أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : كان أشعبُ من القرّاء للقرآن ، وكان قد نَسَك وغزا ، وكان حسنَ الصوت بالقرآن ، وربّما صلّى بهم القيام .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني أحمدُ بن يحيى قال :

أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم قال : كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنّي أصواتاً فيجيدها ، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزُّبيريّ : [من السريع]

صوت

إذا تمـــزَّزْتُ صُراحِيَّـــةً	كمثـل ريح المسك أو أطْيَبُ[1]
ثـم تغنَّـى لي بأهْزاجِــه	زَيْدٌ أخـو الأنصارِ أو أشْعبُ
حسِبْتُ أنّـي ملك جالِسٌ	حَفَّت بـه الأملاكُ والمَوْكِبُ
ومـا أبـالي وإلـهِ الوَرى	أشرَّق العالَـمُ أم غَرَّبـوا

غنَّى في هذه الأبيات زيد الأنصاريّ خفيف رمل بالبنصر .

[رواية أشعب الحديث]

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد أنّ الربيع بن ثعلب حدَّثهم قال : حدَّثني أبو البختريّ .

حدَّثني أشعب ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لو دعيتُ إلى ذراع لأجبتُ ، ولو أُهدِي إليّ كُراعٌ لقبلتُ» .

قال ابنُ أبي سعد ، ورُوِي عن محمد بن عباد بن موسى عن عتّاب بن إبراهيم ، عن أشعب الطامع ، قال عتّاب : وإنّما حملت هذا الحديث عنه لأنّه عليه ، قال : دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف عليّ وقال : يا أشعب ، ويلك لا تسأل ، فإنّي سمعتُ أبي يقول : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : «ليأتينَّ أقوامٌ يومَ القيامة ما في وجوههم مُزْعة لحم ، قد أخلقوها بالمسألة» .

ويروى عن يزيد بن موهب الرمليّ عن عثمان بن محمد ، عن أشعب ، عن عبد الله بن جعفر : أنّ النبيّ ﷺ تختَّم في يمينه .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : حدَّثني الأصمعيّ ، عن أشعب قال : استَنشدني ابنٌ لسالم بن عبد الله بن عمر غناءَ الرُّكبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته ، ورأسُ أبيه سالم في بتٍّ[2] فلم ينكر ذلك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو مسلمٍ عن عبد الرحمن بن الحكم ، عن المدائنيّ قال : دفعت عائشةُ بنت عثمان أشعبَ في

1 الصراحية : إناء الخمر .

2 بت : طيلسان من خزّ ونحوه .

البزّازين فقالت له بعد حول : أتوجّهتَ لشيء ؟ قال : نعم ، تعلّمتُ نصفَ العمل وبقي نصفُه ، قالت : وما تعلّمتَ ؟ قال : تعلّمتُ النشرَ وبقي الطيّ .

[وهب له غلام فغشي على أمه من الفرح]

قال المدائنيّ : وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهّم أذهب عنّي الحرص والطلب إلى الناس ، فمررت بالقرشيّين وغيرهم فلم يعطني أحدٌ شيئاً . فجئت إلى أمّي فقالت : ما لكَ قد جئتَ خائباً ؟ فأخبرتُها ، فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتَسْتقيل ربّك ، فرجعتُ فقلت : يا ربّ أقِلْني ، ثم رجعت ، فلم أمُرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلاّ أعطوني ووُهب لي غلامٌ . فجئت إلى أمّي بحمار مُوقَر من كلّ شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفتُ أن أخبرها بالقصّة فتموت فرحاً ، فقلت : وهبوا لي ، قالت : أيّ شيء ؟ قلت : غَين ، قالت : أيّ شيء غَيْن ؟ قلت : لام ، قالت : وأيّ شيء لام ؟ قلت : ألف ، قالت : وأيّ شيء ألف ؟ قلت : ميم ، قالت : وأيّ شيء ميم ؟ قلت : غلام . فغشي عليها ، ولو لم أقطّع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني العبّاس بن ميمون قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : سمعتُ أشعبَ يقول : سمعتُ الناسَ يموجون في أمر عثمان . قال الأصمعيّ : ثم أدرك المهديّ .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الرّبيعيّ قال : حدّثني هند بن حَمدان الأرقميّ المخزوميّ قال : أخبرني أبي قال : كان أشعبُ أزرقَ أحولَ أكشفَ[1] أقرع .

قال : سمعتُ الأرقميَّ يقول : كان أشعب يقول : كنتُ أسقي الماءَ في فتنة عثمان بن عفّان . والله أعلم .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثنا عيسى بن موسى قال : حدّثنا الأصمَعيُّ قال : أصاب أشعب ديناراً بالمدينة ، فاشترى به قطيفة ، ثم خرج إلى قُباء يعرِّفها ، ثم أقبل عليَّ فيما أحسب ، شك أبو يحيى ، فقال : أتُراها تُعرَّف .

قال أحمد : وحدّثناه أبو محمد بن سعد قال : حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال : حدّثني الواقديُّ قال : كنت مع أشعب نريد المُصَلَّى ، فوجد ديناراً ، فقال لي : يا ابنَ واقد قلت : ما تشاء ؟ قال : وجدت ديناراً فما أصنع به ؟ قال : قلت : عرِّفه ، قال : أم العلاء إذاً طالق ، قال : قلت : فما تصنع به إذاً ؟ قال : أشتري به قطيفة أعرِّفها .

---

1 أكشف : انحسر مقدم شعر رأسه .

قال : وحدَّثني محمد بن القاسم قال : وحدّثنيه محمد بن عثمان الكُريزيّ ، عن الأصمعيّ : أنّ أشعب وجد ديناراً فتحرّج من أخذه دون أن يُعرِّفه ، فاشترى به قطيفة ثم قام على باب المسجد الجامع فقال : مَن يتعرّف الوَبِدَة ؟

أخبرني أحمد الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : سألت العَنَزِيّ ، فقال ! الوَبدُ من كلّ شيء : الخَلَق ؛ وبِدَ الثوبُ ووَمِد إذا أخْلَق .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثنا عيسى بن موسى ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : رأيت أشعب يغنّي وكأنّ صوتَه صوتُ بلبل .

[يصرف الناس عن القاص بغنائه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف مَحْمَل ، وكان ثَمّ قاصٌّ يَقُصّ عليهم ، فجئتُ فأخذتُ في أغنية من الرقيق ، فتركوه وأقبلوا إليّ ، فجاء يشكوني إلى سالم فقال : إنّ هذا صرف وجوه الناس عنّي ، قال : وأتيتُ سالماً ، وأحسبه قال ، والقاسمَ ، فسألتهما بوجه الله العظيم ، فأعطياني ، وكانا يبغضانني أو أحدهما يبغضني في الله ، قال : قلنا : لا تجعل هذا في الحديث قال : بلى .

حدّثنا أحمد : قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : وحدَّثناه قَعنب بن محرز الباهليّ قال : أخبرنا الأصمعيُّ ، عن أشعب قال : قدِم علينا قاصٌّ كوفيٌّ يقصّ في رُفقته ، وفيها ألف بعير ، فخرجْنا وأحرمْنا من الشّجرة فطرّبتُ بالتّلبية ، فأقبل الناس إليّ وتركُوه . قال : ابنُ أمّ حُميد ، فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان فقال : إنّ مولاك هذا قد ضَيَّق عليّ معيشتي .

[يحلف ألاّ يأكل مضيرة]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهْم عن المدائنيّ قال : تغدّى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ ، فجاؤوا بمَضِيرة ، فقال أشعب لخبّاز : ضعها بين يديّ ، فوضعها بين يديه ، فقال زياد : مَن يُصلّي بأهل السّجن ؟ قال : ليس لهم إمام ، قال : أدخلوا أشعب يصلّي بهم ، قال أشعب : أَوَ غير ذلك أصلح اللهُ الأميرَ ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلف ألاّ آكُلَ مضيرةً أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني قعنب بن المحرز ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : ولّى المنصورُ زيادَ بن عبد الله الحارثيّ مكّة والمدينة . قال أشعب : فلقيتُه بالجُحْفة[1] فسلّمتُ عليه ، قال : فحضر الغداء ، وأُهدِي إليه جَدْي فطبخه

1 الجحفة : قرية بين مكّة والمدينة .

مَضيرة ، وحُشِيت القَبَة[1] قال : فأكلتُ أكلاً أتملَّح به ، وأنا أعرف صاحبي ، ثم أُتِي بالقَبَة ، فشققْتُها ، فصاح الطبّاخ : إنّا لله ! شقّ القَبة ، قال : فانقطعتُ . فلمّا فرغْت قال : يا أشعب ، هذا رمضان قد حضر ، ولا بدّ أن تصلّي بأهل السّجن ، قلت : والله ما أحفظ من كتاب الله إلاّ ما أُقيم به صلاتي ، قال : لا بدَّ منه ، قال : قلت : أوَلا آكل جَدْياً مضيرة ؟ قال : وما أصنع به وهو في بطنك ؟ قال : قلت : الطّريق بعيد أُريد أن أرجع إلى المدينة ، قال : يا غلام ، هاتِ ريشة ذَنَب ديك ، قال أشعب : والجُحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك ، قال : فأدخلت في حلقي فتقيّأتُ ما أكلتُ ، ثم قال لي : ما رأيك ؟ قال : قلت : لا أُقيم ببَلْدة يصاح فيها : شقَّ القَبَة ، قال : لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك ، فقل ولا تشطط قال : قلت : نصف دِرهم كِراء حمار يُبلِّغني المدينة ، قال : أنصفت وأعطانيه .

[بعض طرائف أشعب]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال أخبرني أبو مسلم ، عن المدائنيّ قال : أُتيَ أشعبُ بفالُوذجة عند بعض الولاة ، فأكل منها ، فقيل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكُن عُملت قبل أن يوحيَ الله عزَّ وجلَّ إلى النحل .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثنا عبد الله بن شعيب الزُّبيريّ عن عمِّه . قال أبو بكر : وحدَّثني ابن أبي سعد قال : حدَّثني عبد الله بن شعيب وهو أتمُّ من هذا وأكثر كلاماً ، قال : جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزُّبير ، فشكا إليه ، فأمر له بصاع من تمر . وكانت حال أشعب رثَّة ، فقال له أبو بكر بن يحيى : ويحك يا أشعب ! أنت في سِنّك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتُعْطى مثل هذا ؟ اذهبْ فادخُل الحمام فاخضِب لحيتَك . قال أشعب : ففعلتُ ، ثم جئتُه فألبسني ثيابَ صوف له وقال : اذهبْ الآن فاطلب ، قال : فذَهبتُ إلى هشام بن الوليد ، صاحب البغلة من آل أبي ربيعة ، وكان رجلاً شريفاً موسِراً ، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً ، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد ، وطفِق كلّما جلس في حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى ، جزاه الله عنّي خيراً ، أعرف الناس بمسألة ، فعل بي وفعل ، فيقص قصّته . فبلغ ذلك أبا بكر فقال : يا عدوَّ نفسه ! فضحتني في الناس ، أفكان هذا جزائي !

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد قال : حدَّثني شيخٌ أنّه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفَرْع[2] يبكي وقد خضب بالحناء .

1 القبة : جزء من أسفل الكرش .

2 الفرع : قرية بين مكة والمدينة .

فقالـوا : يـا شَيْخ ما يبكيك ؟ قال : لغربة هذا الجناح ، وكان على دار واحدة ليس بالفَرْع غيره .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه ، قال : أُخبرني محمد بن الحسين قال : حدَّثني أبي ، قال : نظرتُ إلى أشعب يُسَلِّم على رسول الله ﷺ قال : وهو يدعو ويتضرَّع ، قال : فأدمْتُ نظري إليه ، فكلّما أدمْتُ النظر إليه كلَّح وبثَّ أصابعه في يده بحذائي حتى هَرَبت فسألت عنه فقالوا : هذا أشعب .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفِهْريّ قال : إنّ أشعب مرَّ برشٍّ قد رُشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة فقال : كأنّ هذه الرشّ كِساءٌ بَرْنَكانيٌّ[1] فلمّا توسّطه قال : أظنّني والله قد صدقت ، وجلس يلمس الأرض .

أُخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثنا بعض المدنيِّين قال : كان لأشعب خرقٌ في بابه ، فينام ويُخرِج يدَه من الخرق ويطمع أن يجيءَ إنسانٌ فيطرح في يده شيئاً ؛ من الطمع .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ قال : صلّى أشعب يوماً إلى جانب مَروان بن أبان بن عثمان ، وكان مروانُ عظيـمَ الخَلـق والعَجيزة ، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه ، لها صوت ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوَهِم الناس أنّه هو الذي خرجت منه الريح ، فلمّا انصرف مروان إلى منزله جاءَه أشعب فقال له : الدِّية ، فقال : دِيَةُ ماذا ؟ فقال : دية الضرطة التي تَحَمَّلتها عنك ، والله وإلاّ شهّرتك ، فلم يدعْه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني إبراهيم بن الجنيد ، قال : حدَّثني سوّار بن عبد الله قال : حدَّثني مهديّ بن سليمان المِنقريّ مولى لهم ، عن أشعب قال : دخلتُ على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأُحبّه فيه ، فقال : ما أدخلك عليّ ؟ اخرج عنّي ، فقلـت : أسألك بالله لما جَدَدْتَ[2] عِذْقاً ، قال : يا غلام ، جُدّ له عِذقاً ، فإنّه سأل بمسألة لا يفلح من رَدَّها أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال حدَّثنا الرياشيّ قال : حدَّثني أَبو سلمة أَيّوب بن عمر ، عن المحرزيّ ، وهو أَيّوب بن عباية أبو سليمان قال : كان لأشعب علـيّ في كلّ

---

1 كساء برنكاني : كساء من صوف .

2 جدّ العذق : قطعه .

سنة دينار ، قال : فأتاني يوماً ببُطحان[1] فقال : عجّل لي ذلك الدينار ، ثم قال : لقد رأيتُني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مِمّا آخذ من هذا وهذا وهذا .

[مباراة بين أشعب وابنه]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : سمعتُ أبي يحكي عن بعض المدنيّين قال : كَبر أشعبُ فملّه الناس وبَرَد عندهم ، ونشأ ابنه فتغنّى وبكى وأندَر[2] ، فاشتهى الناس ذلك ، فأخصب وأجدب أبوه : فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه ، وجاء ابنه وامرأتُه فقال له : بلغني أنّك قد تغنّيت وأندرتَ وخطبتَ ، وأنّ الناس قد مالوا إليك فهلمّ حتى أُخايرَك[3] ، قال : نعم ، فتغنّى أشعب فإذا هو قد انقطع وأُرعَد ، وتغنّى ابنُه فإذا هو حسنُ الصوت مطرب ، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك ، ثم خطبا فكان الأمرُ كذلك ، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه ، ثم قال : نعم ، فمن أين لك مثل خُلُقي ؟ مَنْ لك بمثل حديثي ؟ قال : وانكسر الفتى ، فنَعَرت العجوز ومَن معها عليه .

[دفن بنت الحسين بن علي]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسين بن هارون قال : حدَّثني محمد بن عباد بن موسى قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارَنا هنا قال : حدَّثني محمد بن حرب الهلاليّ ، وكان على شُرطة محمد بن سليمان ، قال : دخلتُ على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدّثه قال : كانت بنتُ حسين بن عليّ عند عائشة بنت عثمان تربّيها حتى صارت امرأة ، وحجّ الخليفة فلم يبقَ في المدينة خَلْق من قريش إلاّ وافى الخليفة إلاّ مَن لا يَصلُح لشيء ، فماتت بنتُ حسين بن عليّ ، فأرسلت عائشةُ إلى محمد بن عمرو بن حَزم وهو والي المدينة ، وكان عفيفاً حديداً[4] عظيمَ اللّحية ، له جارية مُوكّلة بلحيته إذا ائتزر لا يأتزر عليها ، وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أدخلها تحت فخذه . فأرسلت عائشة : يا أخي قد ترى ما دخل عليّ من المصيبة بابنتي ، وغَيبةِ أهلي وأهلِها ، وأنت الوالي ، فأمّا ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني ، وأمّا ما يكفي الرجالَ من الرجالِ فاكفِنيه ، مُرْ بالأسواق أن ترفع ، وأْمر بتجريد مَن يحمل نعشها ، ولا يحملها إلاّ الفقهاء الألِبّاء من قريش بالوقار والسكينة ، وقُم على قبرها ولا يدخله إلاّ قرابتُها من ذوي الحِجا

---

1 بطحان : واد بالمدينة

2 أندر : أتى بالنوادر .

3 أخايرك : أغالبك .

4 رجل حديد : فيه شدّة .

والفضل . فأتى ابنَ حزم رسولُها حين تغدّى ودخل ليَقِيل ، فدخل عليه فأبلغه رسالتها ، فقال ابنُ حزم لرسولها : أقرىء ابنة المظلوم السلام وأخبرها أنّي قد سمعت الواعيةَ[1] وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أبرِد ، ثم أصلّي ، ثم أُنفِّذ كلّ ما أمرت به . وأمر حاجبَه وصاحبَ شُرطته برفع الأسواق ، ودعا الحرسَ وقال : خذوا السّياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلاّ ذوي قرابتها بالسكينة والوقار ؛ ثم نام وانتبه وأُسرِج له ، واجتمع كلُّ مَن كان بالمدينة ، وأتى بابَ عائشة حين أُخرِج النعشُ ، فلمّا رأى الناسُ النعش التقفوه ، فلم يملك ابنُ حزم ولا الحرسُ منه شيئاً ، وجعل ابنُ حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء : اربَعوا أيّ ارفقوا فلم يسمعوا ، حتى بُلغ بالنعش القبرُ . فصلّى عليها ، ثم وقف على القبر فنادى : مَن هاهنا من قريش ؟ فلم يحضره إلاّ مروانُ بن أبان بن عثمان ، وكان رجلاً عظيم البطن بادناً لا يستطيع أن ينثني من بطنه ، سخيفَ العقل ؛ فطلع وعليه سبعةُ قمصٍ ، كأنّها دَرَج ، بعضُها أقصرُ من بعض ورداءٌ عدنيّ يثمن ألفي درهم . فسلّم وقال له ابن حزم : أنتَ لعَمري قريبُها ، ولكنّ القبرَ ضيّق لا يسعك ، فقال : أصلح الله الأمير إنّما تضيق الأخلاق . قال ابن حزم : إنّا لله ، ما ظننتُ أنّ هذا هكذا كما أرى . فأمر أربعة فأخذوا بضَبْعِه حتى أدخلوه في القبر ، ثم أتى خراءُ الزّنج ، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله ، ثم قال : واسيِّدتاه وابِنْت أُختاه ! فقال ابن حزم : تاللهِ لقد كان يبلغني عن هذا أنّه مخنّث ، فلم أكن أرى أنّه بلغ هذا كلّه ، دَلّوه فإنّه عورة ، هو والله أحقّ بالدفن منها . فلمّا أُدخِلا قال مروان لخِراء الزنج : تنحَّ إليك شيئاً . فقال له خراء الزنج : الحمد لله ربّ العالمين ، جاء الكلب الإنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ . فقال لهما ابن حزم : اسكُتا قبّحكما الله وعليكما لعنته ، أيّكما الإنسيّ من الوحشيّ ، والله لئن لم تسكتا لآمرنّ بكما فتدفنان ، ثم جاء خالٌ للجارية من الحاطبيِّين وهو ناقةٌ من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال : أنا خالها وأُمِّي سودة وأُمّها حفصة ، ثم رمى بنفسه في القبر ، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح : أوه ! أصلح الله الأمير دقّ والله عرقوبي . فقال ابن حزم : دقّ اللهُ عرقوبَك وترقوتَك ! اسكُت ويلك ، ثم أقبل على أصحابه فقال : ويحكم إنّي خبِّرت أنّ الجارية بادن ، ومروانُ لا يقدر أن ينثني من بطنه ، وخراء الزنج مخنّث لا يَعقِل سُنّة ولا دفناً ، وهذا الحاطبيّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه ، فمَن يدفن هذه الجارية ؟ والله ما أمرتْني بهذا بنتُ المظلوم . فقال له جلساؤه : لا والله ما بالمدينة خَلْق من قريش ، ولو كان في

1 الواعية : الصراخ على الميت .

هؤلاء خير لما بَقُوا ؛ فقال : من هاهنا من مواليهم ؟ فإذا أبو هانىء الأعمى وهو ظئر لها ، فقال ابنُ حزم : مَن أنت رحمك الله ؟ قال : أنا أبو هانىء ظئر عبد الله بن عمرو بن عثمان وأنا أدفِن أحياءَهم وأمواتهم ، فقال : أنا في طلبك ، ادخُل رحمك الله ، فادفِن هؤلاء الأحياء ، حتى يُدلَّى عليك الموتى ؛ ثم أقبل على أصحابه فقال : إنّا لله ، وهذا أيضاً أعمى لا يبصر . فنادوا : مَن هاهنا من مواليهم فإذا برجلٍ يزيديّ يقال له أبو موسى قد جاء ، فقال له ابنُ حزم : مَن أنت أيضاً ؟ قال : أنا أبو موسى صالمين ، وأنا ابن السميط سميطين والسعيد سعيدين ، والحمد لله ربّ العالمين . فقال ابنُ حزم : والله العظيم لتكونن لهم خامساً ، رَحِمكِ الله يا بنت رسول الله ، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثّتك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وأظنّه سقط رجل آخر .

[أشعب وجديه]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني اليعقوبيّ محمد بن عبد الله قال : حدَّثني أبو بكر الزلال الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني مَن رأى أشعب وقد علّق رأسَ كلبه وهو يضربه ويقول له : تنبح الهديةَ وتُبصبِص للضيف .

أخبرنا أحمد ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن محمد الزُّبيريّ أبو الطّاهر قال : حدَّثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة قال : غَذَا أشعَبُ جَدْياً بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغايةَ قال : ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته : أيْ ابنة وَرْدان ، إنّي أُحِبّ أن تُرضِعيه بلبنك . قال : ففعلت ؛ قال : ثم جاء به إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال : بالله إنّه لابني ، قد رضع بلبن زوجتي وقد حَبوْتُك به ، ولم أرَ أحداً يستأهله سواك . قال : فنظر إسماعيلُ إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبح وسُمِط ، فأقبل عليه أشعب ، فقال : المكافأة ، فقال : ما عندي والله اليوم شيء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك . فلمّا يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد ، ثم اندفع يشْهَق حتى التقت أضلاعُه ، ثم قال : أَخْلني ، قال : ما معنا أحد يسمع ولا عينَ عليك . قال : وثب ابنُك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . قال : فارتاع جعفر وصاح : وَيْلك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أمّا ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حِيلَة ولا يسمَع هذا سامِعٌ أبداً بعدك . فجزاه خيراً وأدخله منزِلَه ، وأخرج إليه مائَتي دِينار وقال له : خذ هذه ولك عندنا ما تُحِبّ . قال : وخرج إلى إسماعيل لا يُبصِر ما يطأ عليه ، فإذا به مُترسِّل في مَجْلِسه . فلمّا رأى وجهَ أبيه نكِره ، وقام إليه ، فقال : يا إسماعيل أَوَفَعَلْتها بأشْعَب ؟ قتلتَ ولدَه . قال : فاستُضْحِك وقال : جاءَني بِجَدْيٍ من صفَتِه كذا ، وخبَّره الخبر . فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه . قال : فكان جعفر

يقول لأشعب : رعبتني رعبك الله فيقول : رَوْعةُ ابنِك والله إيّاي في الجَدْي أكبر من رَوْعتك أنتَ في المائتي الدينار .

[خالد بن عبد الله يجري عليه دون أن يعرفه]

أخبرنا أحمد قال : حَدَّثنا عبد الله بن عَمرو بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق المُسيَّبيّ قال : حدَّثني عُمَير بن عُبيد الله بن أبي بَكْر بن سُليمان بن أبي خَيْثمة ، قال : وعُمَير لقبٌ واسمُه عبد الرحمن ، عن أشعب قال : أتيتُ خالدَ بن عبد الله بن عَمرو بن عثمان بن عفّان ليلة أسأله ، فقال لي : أنتَ على طريقة لا أُعطي على مِثْلها ، قلت : بلى جُعِلْت فِداءك ؟ ؛ فقال : قُم فإن قُدِر شيء فسيكون ؛ قال : فقمت ، فإنّي لَفي بعض سِكك المدينة ، إذ لَقيني رجل فقال : يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً فما أنتَ صانع ؟ قلت : أشكر الله وأشكر مَن فعله . قال : كم عيالُك ؟ فأخبرتُه قال : قد أُمِرْتُ أن أُجرِي عليك وعلى عِيالِك ما كنتَ حيّاً . قال : مَن أمرَك ؟ قال : لا أُخْبرك ما كانت هذه فوق هذه ، يريد السماء ، وأشار إليها . قال : قلت : إنّ هذا معروف يُشْكَر ، قال : الذي أمرني لم يرِد شكرك ، وهو يتمنّى ألاّ يَصِل مِثْلَك . قال : فَمكثْتُ آخُذ ذلك إلى أن تُوُفّي خالدُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . قال : فشهِدَتْه قريشٌ وحَفَل له الناس قال : فشَهدتُه فلَقِيَني ذلك الرجلُ فقال : يا أشعب انْتِفْ رأْسَك ولحيتَك ! هذا والله صاحِبُك الذي كان يُجري عليك ما كنتُ أُعطِيك ، وكان والله يَتَمَنّى مباعدة مثْلك ؛ قال : فحمله والله الكرمُ إذْ سألتَه أن فعل بِك ما فعل ، قال عمير : قال أشعبُ : فعَمِلت بنفسي والله حينئذٍ ما حلّ وحَرُم .

[خشوع أشعب]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبّض وجْهَه فصيّره كالصُّبرة[1] المجموعة ، فرآه عامر بن عبد الله بن الزُّبير فحصبه وناداه : يا أشعب ، إنّما تناجي ربّك . فناجه بوجه طلق ، قال : فأرخى لِحيه حتى وقع على زَوره ، قال : فأعرض عنه عامر وقال : ولا كلّ هذا .

[يجز لحيته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني مُصْعَب قال : جزَّ أَشعبُ لِحْيَته فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير : ألم أقلْ لك إنّ البطّال أملح ما يكون إذا طالت لِحْيَته فلا تَجْزْزْ لِحْيَتك .

1 الصبرة : كومة من العظام .

[طرائف أخرى لأشعب]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى قال : أخبرنا أبو الحسن المَدائنيّ قال : وقف أشعَبُ على امرأة تعمل طبقَ خُوص فقال : لِتكبِّرِيه فقالت : لِمَ ؟ أتريد أن تَشتَريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهديَ إليّ فيه ، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أحمد بن يحيى قال : أخبرنا المدائنيّ ، قال : قالت صديقةُ أشعب لأشعبَ : هَبْ لي خاتمَك أذكرك به ، قال : اذكري أنّي منعتُكِ إيّاه ؛ فهو أحبّ إليَّ .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مُسْلِم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : قال أشعب مرّة للصبيان : هذا عمرو بنُ عثمان يقسّم مالاً ، فمضوا ، فلمّا أبطؤوا عنه اتّبعهم ؛ يحسب أن الأمر قد صار حقّاً كما قال .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : دعا زيادُ بنُ عبد الله أشعبَ فتغدّى معه ، فضرب بيده إلى جَدْي بين يديه ، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام ، فغاظه ذلك ، فقال لخدمه : أخبروني عن أهل السجن ألَهُم إمام يصلّي بهم ؟ وكان أشعبُ من القرّاء لكتاب الله تعالى ، قالوا : لا ؛ قال : فأدخلوا أشعب فصيِّروه إماماً لهم . قال أشعبُ : أوَغير ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال أحلف لك ، أصلحك الله ، ألاّ أذوقَ جَدْياً أبداً ، فخلاّه .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : رأيتُ أشعبَ بالمدينة يُقَلِّب مالاً كثيراً فقلتُ له : ويحك ما هذا الحرص ! ولعلّك أن تَكونَ أيسرَ مِمّن تطلب منه ! قال : إنّي قد مَهَرتُ في هذه المسألة ، فأنا أكره أن أدَعَها فتَنفلت منّي .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : قيل لأشعب : ما بَلَغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ اثنين يتسارّان قَطّ إلاّ كنت أراهما يأمران لي بشيء .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : قال أشعبُ لأمِّه : رأيتُك في النوم مطْلِيَّة بعسل وأنا مطليٌّ بعَذِرة . فقالت : يا فاسق هذا عَمَلُك الخبيثُ كساكه اللهُ عزّ وجلّ . قال : إنّ في الرؤيا شيئاً آخر ، قالت : ما هو ؟ قال : رأيتُني ألطَعُك وأنت تَلْطَعِيني ، قالت : لعَنك الله يا فاسق .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : كان أشعبُ يتحدَّثُ إلى امرأة بالمدينة حتى عُرِف ذلك ، فقالت لها جاراتها يوماً : لو سألتِه شيئاً فإنّه مُوسِر ؛ فلمّا جاء قالت : إنّ جاراتي ليَقُلْن لي : ما يصلُك بشيء . فخرج نافراً من منزلها ، فلم يَقربْها شهرين ، ثم إنّه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحاً ملآناً ماء ، فقالت : اشربْ هذا من الفزع ، فقال : اشربيه أنت من الطمع .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحيى ، واللفظ لأحمد ، قال : أخبرنا المدائنيّ عن جَهْم بن خلف قال : حدَّثني رجلٌ قال : قلتُ لأشعب : لو تحدَّثت عندي العَشِيّة ؟ فقال : أكره أن يجيء ثقيل ، قال : قلت : ليس غيرُك وغَيْري ؛ قال : فإذا صلّيتُ الظهرَ فأنا عندك .

فصلّى وجاء ، فلمّا وضَعَت الجاريةُ الطعامَ إذا بصديق لي يَدُقّ الباب ، فقال : ألا ترى قد صرتُ إلى ما أكره ؟ قال : قلت : إن عندي فيه عَشْرَ خصال ، قال : فما هي ؟ قال : أوّلُها أنّه لا يأكل ولا يشرب ، قال : التِّسْعُ الخصال لك ، أدخله . قال أبو مسلم : إن كرِهْتَ واحدةً منها لم أُدخِله .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : دخل أشعبُ يوماً على الحسين بن عليّ وعنده أعرابيٌّ قبيح المنظر مختلف الخِلقة . فسبَّح أشعبُ حين رآه ، وقال للحُسين عليه السلام : بأبي أنتَ وأمّي ، أتأذن لي أن أسْلح عليه ؟ فقال الأعرابيُّ : ما شئتَ ، ومع الأعرابيّ قوسٌ وكِنانة ، ففوّق له سهماً وقال : والله لَئِن فعَلْت لتكونَنَّ آخرَ سَلَحة سلَحْتَها ؛ قال أشعبُ للحسين : جُعِلتُ فداءك ، قد أخذني القُولَنج[1] .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : ذَكر أشعبُ بالمدينة رجُلاً قبيح الاسم ، فقيل له : يا أبا العلاء ، أتعرِف فُلاناً ؟ قال : ليس هذا من الأسماء التي عُرِضت على آدم .

وجَدْتُ في بعض الكتب ، عن أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ قال : توضَّأ أشعبُ فغسل رجلَه اليسرى وترك اليمنى ، فقيل له : لِمَ تركتَ غَسْل اليمنى ؟ قال : لأنّ النبيّ ﷺ قال : أُمّتي غُرٌّ مُحجّلون من آثار الوضوء ، وأنا أُحِبُّ أن أكون أغرّ مُحجَّلاً مُطلقَ اليمنى .

وأُخبرتُ بهذا الإسناد قال : سَمِع أشعبُ حُبّي المدينيَّة تقول : اللهمّ لا تمِتني حتى تغفرَ لي ذُنوبي ، فقال لها : يا فاسقة ! أنتِ لم تسألي الله المغفرة إنّما سألتِه عمرَ الأبد ، يُريدُ

1 القولنج : التهاب في الأمعاء الغليظة يصعب معه خروج البراز والريح .

أنّه لا يغفِر لها أبداً .

أخبرنا أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا المدائنيّ ، عن فُلَيْح بن سُليمان قال : ساوم أشعبُ رجُلاً بقَوْس عربيَّة فقال الرجلُ : لا أنقُصُها عن دينار . قال أشعبُ : أعتق ما أملك لو أنـّها إذا رُمِيَ بها طائر في جَوّ السماء وقع مشويّاً بين رغِيفين ما أخذتها بدِينار .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : أهدى رجلٌ من بني عامر بن لُؤيّ إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة ، وأشعب حاضر ؛ قال : كل يا أشعب ، فلمّا أكل منها قال : كيف تجدها يا أشعب ؟ قال : أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكُن عُمِلت قبل أن يوحي اللهُ عزّ وجلّ إلى النَّحل ، أي ليس فيها من الحلاوة شيء .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : سأل سالم بن عبد الله أشعبَ عن طمعه ، قال : قلتُ لصبياني مرّة : هذا سالِم قد فتح باب صدقة عمر ، فانطلقوا يعطكم تمراً ، فمضَوا ، فلمّا أبطؤوا ظننت أنّ الأمر كما قلت فاتّبعتهم .

أخبرني أحمد بنُ بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرني المدائنيّ قال : بينا أشعبُ يوماً يتغدّى إذ دخلت جارةٌ له ، ومع أشعب امرأته تأكل ، فدعاها لِتتَغدّى ؛ فجاءت الجارة فأخذت العرقوبَ بما عليه ، قال : وأهلُ المدينة يسمّونه عُرقوبَ ربّ البيت ، قال : فقام أشعَب فخرج ثم عاد فدقّ الباب ، فقالت له امرأته : يا سخِين العَيْن مالك ! قال : أدخل ؟ قالت : أتستأذن أنت ، وأنت ربُّ البيت ؟ قال : لو كنتُ ربَّ البيت ما كانت العُرْقوبُ بين يدي هذه .

أخبرني بعضُ أصحابنا قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني مصعب قال : قال لي ابن كُلَيْب : حدَّثتُ مرّة أشعب بمُلحة فبكى ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأتْ ابنتُها قُطِعت ، وقد نشأتَ أنتَ في مواليّ وأنا الآن أموت ، فإنّما أبكي على نفسي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : كان أشعبُ الطّمع يُغنّي وله أصواتٌ قد حُكِيت عنه ، وكان ابنُه عُبيدة يغنّيها ، فمِنْ أصواته هذه : [من الوافر]

أروني مَن يقــومْ لكم مقامي ... إذا ما الأمرُ جلّ عن الخِطابِ

إلى مَن تَفزعـون إذا حَثوتُم بأيديكـم عـليّ مـن الترابِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفّاف قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا شُعَيب بن عُبيدة بن أشعب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : كانت سُكَينة بنت الحُسين بن عليّ عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال : وقد كانت أحلفَتْه ألاّ يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً فقالت : اخرج بنا إلى حُمران[1] من ناحية عُسْفان . فخرج بها فأقامت ، ثم قالت له : اذهب بنا نعتمر ، فدخل بها مكّة ، فأتاني آتٍ ، فقال : تقول لك ديباجةُ الحرَم ، وهي امرأة من ولد عتّاب بن أسيد : لك عشرون ديناراً إن جئتَني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح ، قال أشعب : وأنا أعرف سُكَينة وأعلم ما هي ، ثم غلب عليّ طباع السوء والشره ، فقلت لزيد فيما بيني وبينه : إنّ ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت وكيت ، فقال : عِدْها الليلة بالأبطح . فأرسلت إليها فواعدتُها الأبطح ، وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحـت النمارق ، ووضعت حشايا وعليهـا أنمـاط ، فجلستْ عليها . فلمّا طلع زيد قامت إليه ، فتلقّته وسلّمت عليه ، ثم رجعت إلى مجلسها ، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سُكينة . فلمّا استبانها زيد قام فأخذ بركابها ، واختبأتُ ناحية ، فقامت الديباجة إلى سُكينة فتلقّتها وقبّلت بين عينيها ، وأجلستها على الفراش ، وجلست هي على بعض النمارق ؛ فقالت سُكينة : أشعبُ والله صاحبُ هذا الأمر ، ولستُ لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرّة ، لن يقوم لي بشيء أبداً . فطلعتُ على أربع أصيح صِياح الهرّة ؛ ثم دعت جاريةً معها مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت ، وصبّت في حجر الديباجة ، وحفنت لِمَن معها فصبّته في حجورهنّ وركِبتْ وركب زيد وأنا معهم . فلمّا صارت إلى منزلها قالت لي : يا أشعب أفعلتَها ؟ قلت : جعلت فداءك ، إنّما جَعلتْ لي عشرين ديناراً ، وقد عرفتِ طمعي وشرهي ، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبويّ لقتلتهما . قال : فأمرت بالرحيل إلى الطائف ، فأقامت بالطائف وحوّطت من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها . قال : ثم قالت لي يوماً : قد أثمنا في زيد وفعلنا ما لا يحلّ لنا ، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة ، وأذنت لزيد فجاءها .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبدُ الله بن محمد بن أبي سَلَمة قال : جاءَ أشعبُ إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه ، فمرّت جارية لأحدهم بحُزمة عَراجين من صدقة عمر ، فقال له أشعبُ : فديتُك ، أنا محتاج إلى حطب فَمُرْ لي بهذه الحزمة ، قال : لا ، ولكن أُعطيك نصفَها على أن تحدّثني بحديث ديباجة الحرم . فكشف أشعبُ ثوبَه عن استه واستوفز وجعل يخنس[2] ويقول : إنّ لهذا زماناً ،

---

1 حمران : ماء .

2 استوفز : قعد منتصباً غير مطمئن . ويخنس : يتأخر .

وجعلت خصيتاه تخطّان الأرض ، ثم قال : أعطاني واللهِ فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً ، وأعطاني فلان كذا ، وأعطاني فلان كذا ، حتى عدّ أموالاً ، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف .

وفي ديباجة الحرم يقول عمرُ بن أبي ربيعة[1] : [من الطويل]

صوت

ذَهبتَ ولَم تُلمم بديباجة الحرمْ وقد كنتَ منها في عَناءٍ وفي سَقَمْ
جُنِنْتَ بها لَمّا سمعتَ بذكرها وقد كنتَ مجنوناً بجاراتها القُدُمْ
إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى فكن حجراً بالحزْن من حَرَّةٍ أصمّ

غنّاه مالك بن أبي السّمح من رواية يونس غير مجنّس .

قال الزُّبير : وحدَّثني شعيب بن عبيدة عن أبيه قال : دخل رجل من قريش على سُكينة بنت الحسين عليهما السلام ، قال : فإذا أنا بأشعب مُتَفَحِّج جالس تحت السرير . فلمّا رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة ، فجعلت أنظر إليه وأعجب . فقالت : ما لك تنظر إلى هذا ؟ قلت : إنّه لعجب ، قالت : إنّه لخبيث ، قد أفسد علينا أُمورنا بغباوته ، فحضنته بَيْضَ دجاج ، ثم أقسمت أنّه لا يقوم عنه حتى ينقب . وهذا الخبر عندنا غير مشروح ، ولكن هذا ما سمعناه ، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهديّ التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم ، وقد ذكر في أخبار سُكينة[2] .

وروي عن أحمد بن الحسن البزّاز : وجدتُ بخطّ ابن الوشّاء عن أبي الوشاء ، عن الكديميّ عن أبي عاصم قال : قيل لأشعب الطامع ، أرأيت أحداً قطّ أطمعَ منك ، قال : نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العِلك .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، وعمِّي عبد العزيز بن أحمد ، وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني مصعب ، عن عثمان بن المنذر ، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سمعتُ جلبةً شديدة مقبلة من البلاط ، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة ، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً ، وإذا أشعب بين أيديهم بكفّه دُفٌّ وهو يغنّي به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول : [من مجزوء الوافر]

---

1 البيتان الأولان في ديوان عمر : 355 والثالث فيه من قصيدة أخرى ، وروايته :
إذا أنت لم تعشق ولم تتبع الهوى فكن صخرة بالحجر من حجر أصم
2 تقدمت أخبار سكينة في الأغاني 17 : 34 .

ألا حـيٌّ التي خرجت قُبيلَ الصّبح فاختْمرتْ
يقـــال بعينهـا رَمَـدٌ ولا واللهِ مـا رمِـدتْ

فإذا تجاوز في الرقص الجماعةَ رجع إليهم حتى يُخالطَهم ويستقبل المرأة فيغنّي في وجهها وهي تَبْسَم وتقول : حسبك الآن . فسألت عنها ، فقالوا : هذه جارية صُرَيم المغنّية استلحقها صريم عند موته ، واعترف بأنّها بنته ، فحاكمت ورثتَه إلى السلطان ، فقامت لها البينةُ فألحقها به وأعطاها الميراثَ منه ؛ وكانت أحسنَ خلقِ اللهِ غناءً ، كان يُضرَب بها المثل في الحجاز فيقال : أحسن من غناء الصُّرَيمِيَّة .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : وحدَّثني أبي قال : اجتازت جنازة الصُّرَيْميَّة بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال : ذهب اليوم الغناءُ كلّه ، وعلى أنّها الزانية كانت ، لا رحمها الله ، شرَّ خلق الله ، فقيل : يا أشْعب ليس بين بكائك عليها ولعْنِك إيّاها فصلٌ في كلامك . قال : نعم ، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش ، فيُطبخ لنا في دارها ثم لا تعشّينا ، يشهد الله ، إلاّ بسِلْق .

[يتحدى الغاضري]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : قال حدَّثنا مصعب : بلغ أشعب أن الغاضريّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره ، وأنّ جماعة قد استطابوه ، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويُضحكهم . فصار إليه ، ثم قال له : قد بلغني أنّك قد نحوتَ نحوي وشَغَلت عنّي مَنْ كان يألفني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل ، ثم غَضَّن وجهَه وعرّضه وشنَّجه حتى صار عرضُه أكثرَ من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ؛ ثم أرسل وجهَه وقال له : افعل هكذا وطوّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدرَه ، وصار كأنّه وجهُ الناظر في سيفِه ؛ ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبةٌ كسنام البعير ، وصار طولُه مقدارَ شبر أو أكثر ؛ ثم نزع سراويلَه وجعل يمدّ جلد خُصييه حتى حكّ بهما الأرض ، ثم خلاّهما من يده ومشى وجعل يخنِس وهما يخُطّان الأرض ؛ ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى حتى صار أطولَ ما يكون من الرجال . فضحك والله القوم حتى أُغمي عليهم وقطع الغاضريُّ فما تكلّم بنادرة ، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أعاوِد ما تكره ، إنّما أنا تلميذُك وخرّيجُك ، ثم انصرف أشعب وتركه .

[عودة إلى أمّه]

أخبرني رضوانُ بن أحمد الصيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهديّ ، عن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه : أنّه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأنّ أباه

كان من مماليك عثمان ، وأَنَّ أُمّه كانت تنقل كلام أزواج النبيّ ﷺ بعضهنّ إلى بعض ، فتُلقي بينهنّ الشرّ ، فتأذّى رسول الله ﷺ بذلك ، فدَعا اللهَ عز وجلّ عليها فأماتها ، وعُمِّر ابنُها أشعب حتى هلك في أيّام المهديّ .

[كان من المعتزلة]

وكان في أشعب خِلالٌ ، منها أنّه كان أطيبَ أهل زمانه عِشرة وأكثرهم نادرة ، ومنها : أنّه كان أحسنَ الناس أداءً لغناء سمعه ، ومنها : أنّه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امرءاً منهم .

[ابن عمر يوقر بعيره تمراً ويغنّيه]

قال إبراهيم بن المهديّ فحدَّثني عُبَيْدةُ بن أشعب ، عن أبيه قال : بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدّق بثمرته ؛ فركبتُ ناضحاً ووافيتُه في ماله ؛ فقلتُ : يا ابن أمير المؤمنين ويا ابن الفاروق أوقِرْ لي بعيري هذا تَمْراً . فقال لي : أمِنَ المهاجرين أنتَ ؟ قلتُ : اللهمّ لا ؛ قال : فمن الأنصار أنت ؟ فقلت : اللهمّ لا ؛ قال : أفمِن التابعين بإحسان ؟ فقلت : أرجو ؛ فقال : إلى أن يُحقَّق رجاؤك ؛ قال : أفمن أبناء السبيل أنت ؟ قلت : لا ، قال : فعلام أوقر لك بعيرك تمراً ؟ قلت : لأنّي سائل ، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن أتاك سائل على فرس فلا تردَّه» . فقال : لو شئنا أن نقول لك : إنّه قال : لو أتاك على فرس ، ولم يقل أتاك على ناضح بعير لقلنا ، ولكنّي أُمسِك عن ذلك لاستغنائي عنه ؛ لأنّي قلت لأبي عمر بن الخطاب : إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته ؟ فقال : إنّي سألت رسول الله ﷺ عمّا سألتني عنه ، فقال لي : نعم إذا لم تصب راجِلاً ونحن أيّها الرَّجل نُصيب رجّالة فعلام أعطيك وأنت على بعير ؟ فقلت له : بحقّ أبيك الفاروق ، وبحقّ الله عزّ وجلّ ، وبحقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما أوقرته لي تَمْراً . فقال لي عبد الله : أنا مُوقِرُه لك تَمْراً ، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررتُ لك قسمك ، ولو أنّك اقتصرت على استحلافي بحقّ أبي عليّ في تمرة أعطيكها لَمّا أنفذت قسمك ، لأنّي سمعت أبي يقول : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : لا تُشدُّ الرّحالُ إلى مسجد لرجاء الثواب إلاّ إلى المسجد الحرام ومسجدي بيَثْرِبَ ، ولا يُبِرُّ امرؤٌ قَسَم مُستَحْلِفه إلاّ أن يستحلفه بحقّ الله وحقّ رسوله ؛ ثم قال للسودان في تلك الحال : أوقِرُوا له بعيرَه تمراً ، قال : ولّما أخذ السودان في حشو الغرائر قلتُ : إنّ السودان أهلُ طرب ، وإن أطرَبْتهم أجادوا حَشْوَ غرائري ، فقلت : يا ابنَ الفاروق ، أتأذن لي في الغناء فأُغنّيك ؟ فقال لي : أنتَ وذلك ، فاندفعت في النَّصْب ، فقال لي : هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه . ثم غنّيته صوتاً آخراً لطُوَيس المغنّي وهو : [من الطويل]

خلِيلَيَّ ما أُخفي من الحبِّ ناطِقٌ ودمْعي بما قلتُ الغَداةَ شهيدُ

فقال لي عبد الله : يا هناهُ ، لقد حدَث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه ، قال : ثم غَنَّيتُه لابن سُرَيج : [من السريع]

يا عينُ جودي بالدّموع السِّفاحْ وابْكي على قَتْلى قُريشِ البِطاحْ

فقال : يا أَشْعَب ، ويحك ، هذا يَحْيِقُ الفؤاد ، أَراد : يحرق الفؤاد ، لأنّه كان أَلثَغ لا يُبين بالراء ولا باللام . قال أشعَب : وكان بعد ذلك لا يراني إلاّ استعادني هذا الصوت .

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : حدَّثني عمِّي قال : لقي أشعبَ صديق لأبيه فقال له : ويحك يا أشعب ، كان أبوك ألحى وأنتَ أثطُّ[1] فإلى مَنْ خرجت ؟ قال : إلى أُمّي .

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : أَخبرنا أَحمد بن أَبي خَيثمة قال : حدَّثنا مُصْعبُ بن عبد الله ، عن مُصعب بن عثمان قال : لقي أشعبُ سالمَ بنَ عبد الله بن عمر فقال : يا أشعب ، هل لك في هَرِيس قد أُعِدَّ لنا ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأُمّي . قال : فصِرِ إليّ ، فمضى إلى منزله ، فقالت لـه امرأتُـه : قد وَجـَّه إليكَ عبدُ الله بن عمرو بن عثمان يدعوك . قال : ويحكِ ، إن لسالِم بن عبدالله هريسةً قد دعاني إليها ، وعبدُ الله بن عمرو في يدي متى شئت ، وسالم إنّما دعْوَتـُه للنّاس فَلْتة ، وليس لي بُـدٌّ من المُضِيّ إليه . قالت : إذاً يغضَب عبدُ الله ، قـال : آكل عنـده ، ثم أصير إلى عبد الله . فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكلَ مُتَعالل ، فقال له : كُلْ يا أشعب وابعث ما فَضَل عنك إلى منزلك ، قال : ذاك أردت بأبي أنتَ وأُمّي . فقال : يا غلام ، احمل هذا إلى منزله ، فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له : ثكِلتْكَ أمّك ، قد حَلَف عبدُ الله أن لا يُكَلّمك شهراً ؛ قال : دعيني وإيّاه ، هاتي شيئاً من زَعْفران ، فأعطته ودخل الحمّـام يمسح على وجهـه ويديه وجلس في الحمام حتى صفّره ، ثم خرج متكئاً على عصا يُرعِـد ، حتى أتى دارَ عبدِ الله بن عمرو . فلمّا رآه حاجبُه قال : ويحَك ، بلغتْ بك العلّةُ ما أرى ؟ ودخل وأعلم صاحبَه فأذِن له ، فلمّا دخل عليه إذا سالمُ بنُ عبد الله عنده . فجعل يزيدُ في الرِّعدَة ، ويُقارِبُ الخَطْوَ ، فجلس وما يَقدِر أن يستَقِلّ ، فقال عبد الله : ظَلَمْناك يا أشعب في غَضَبِنـا عليـك ، فقال لـه سالم : مـا لك ويلك ! أَلم تكن عندي آنفاً وأَكلتَ هَرِيسة ؟ فقال له : وأيّ أكل ترى بي ؟ قال : ويلك ! ألم أقل لك كَيْتَ وكَيْت وتَقُلْ لي كَيت وكَيت ؟ قال لـه : شُبِّه لك ، قال : لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ ، والله إنّي لأظُنّ الشيطانَ يتشبّه بك . ويلك ! أَجادٌّ أَنتَ ؟ قال : عليَّ وعليَّ إن كنتُ خرجتُ منذ شهر . فقال له عبدُ الله : اعزُب ويْحَكَ أَتبْهَتُه ، لا أُمَّ لك ! قـال : ما قلتُ إلاّ حقّـاً . قال : بحياتي

1 أثط : خفيف شعر اللحية أو الحاجبين .

اصدُقْني وأنت آمِنٌ من غضبي . قال : لا وحياتك لقد صدَق . ثم حدَّثه بالقصّة فضحك حتى استَلْقى على قفاه .

[ابنه يذكر بعض طرائف أبيه]

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيدَ لمّا ولاّه دمشقَ بعث إليه عبيدة بن أشعب ، وكان يَقْدُم عليه من الحجاز إذا أراد أن يَطرَب ، وأراد أن يطرفه به ، فقدم عليه .

قال إبراهيم : وكان يحدّثني من حديث أبيه بالطرائف[1] : عادَلْتُه[2] يوماً وأنا خارج من دمشق في قبّة على بغل لألهوَ بحديثه ، فأصابنا في الطريق بردٌ شديد فدعوتُ بدُوّاج سمّور[3] لألبسه ، فأُتيت به فلمّا لبستُه أقبلتُ على ابن أشعب فقلت : حدِّثني بشيءٍ من طمع أبيك . فقال لي : ما لك ولأبي ، ها أنا إذ دعوتَ بالدُّوّاج فما شَككتُ والله في أنّك إنّما جئتَ به لي ، فضحكتُ من قوله ، ودعوتُ بغيره فلبستُه وأعطيتُه إيّاه ، ثم قلت له : ألأبيكَ ولدٌ غيرك ؟ فقال : كثير ، فقلت : عشرة ؟ قال : أكثر ، قلت : فخمسون ؟ قال : أكثر كثير ، قلت : مائة ؟ قال : دع المئين وخذ الألوف ، فقلت : ويلك ! أيُّ شيءٍ تقوله ؟ أشعبُ أبوك ليس بينك وبينه أب ، فكيف يكون له الألوف من الولد ؟ فضحك ثم قال : لي في هذا خبر ظريف ، فقلت له : حدِّثني به ، فقال : كان أبي منقطعاً إلى سُكَينة بنتِ الحسين ، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان وكانت محبّة له ، فكان لا يستقرّ معها ، تقول له : أريد الحجّ فيخرج معها ، فإذا أفْضَوا إلى مكّة تقول : أريد الرجوعَ إلى المدينة ، فإذا عاد إلى المدينة ، قالت : أريد العمرةَ ، فهو معها في سفر لا ينقضي . قال عبد الله : فحدّثني أبي قال : كانت قد حلَّفته بما لا كفّارةَ له ألاّ يتزوّجَ عليها ولا يتسرّى ولا يُلِمّ بنسائه وجواريه إلاّ بإذنها ، وحجَّ الخليفةُ في سنة من السنين فقال لها : قد حجّ الخليفةُ ولا بُدَّ لي من لقائه ؛ قالت : فاحلِفْ بأنّك لا تدخلُ الطائفَ ، ولا تُلمّ بجواريك على وجهٍ ولا سبب ، فحلف لها بما رَضِيَتْ به من الأيمان على ذلك ؛ ثم قالت له : احلِفْ بالطلاق ؛ فقال : لا أفعل ، ولكن ابعثي معي بثقتك ، فدعَتْني وأعطَتني ثلاثين ديناراً وقالت لي : اخرُج معه ، وحلّفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألاّ أطلِق له الخروجَ إلى الطائف بوجه ولا سبب ، فحلفتُ لها بما أثلج صدرها . فأذَنَتْ له فخرجَ وخَرجْتُ معه . فلمّا حاذَيْنا الطائف قال لي : يا أشعب ، أنت

1 تقدمت هذه الأخبار في ترجمة سكينة .

2 عادله : ركب معه على نفس البعير .

3 دواج : لحاف يلبس . والسمور : حيوان يتخذ منه فرو ثمين .

تعرِفُني وتعرف صنائعي عندك ، وهذه ثلاثمائة دينار ، خُذْها بارَك الله لك فيها وأْذَنْ لي أَلُمّ بجواريّ . فلمّا سمعتُها ذهب عقلي ثم قلت : يا سيِّدي ، هي سُكَينة ، فاللهَ اللهَ فيَّ ! فقال : أَوَتعلم سُكينةُ الغيبَ ؟ فلم يزل بي حتى أخذتُها وأذنتُ له ، فمضى وبات عند جواريه . فلمّا أصبحنا رأيتُ أبياتَ قوم من العرب قريبةً منّا ، فلبستُ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت لزيد قيمتُها ألفُ دينار ، وركبتُ فرسَه وجئتُ إلى النساء فسلّمتُ فرددن وأجللنني للهيئة والزيّ الذي لا يلبس مثله إلاّ أولاد الخلفاء . ونسبنني فانتسبتُ نسبَ زيد ، فحادثَنني وأَنِسن بي . وأقبل رجال الحيّ ، وكلّما جاء رجل سأل عن نسبي فخُبِّر به هابني وسلّم عليّ وعَظَّمني وانصرف ، إلى أن أقبل شيخٌ كبير منكر مبطون ، فلمّا خُبِّر بي وبنسبي شال حاجبَيه عن عينه ، ثم نظر إليّ وقال : وأبي ما هذه خلقةُ قُرَشيّ ولا شمائله ، وما هو إلاّ عبدٌ لهم نادّ ، وعلمتُ أنّه يريد شرّاً ؛ فركبتُ الفرسَ ثم مضيتُ . ولحقني فرماني بسهم فما أَخطأ قَرَبُوسَ السرج ، وما شككتُ أنّه يلحقني بآخر يقتلني فسلحْتُ ، يعلم الله ، في ثيابي فلوّثها ونفذ إلى الحُلَّة فصيَرها شُهْرة . وأَتيتُ رحْلَ زيد بن عمرو فجلست أغسِل الحُلّة وأُجفّفها ، وأقبل زيد بن عمرو ، فرأى ما لحِق الحُلَّة والسرج ؛ فقال لي : ما القصّة ؟ ويلك ! فقلت : يا سيِّدي الصدق أنجى ، وحدَّثته الحديثَ فاغتاظ ثم قال لي : أَلم يكفِك أَن تلبس حلّتي وتصنع ما صنعت ، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني ، وجعلتني عند العرب وَلاَّجاً جَمّاشاً[1] ، وجرى عليك ذُلُّ نَسِبِ إليّ ، أنا نفيٌّ من أبي ومنسوبٌ إلى أبيك إن لم أَسُؤْك وأبلُغْ في ذلك .

ثم لقي الخليفةَ وعاد ودخلنا إلى سُكينة ، فسألتْه عن خبره كلّه فخبّرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه ، فقالت : إيه وما كان من خبرك في طريقك ؟ هل مضَيْتَ إلى جواريك بالطائف ؟ فقال لها : لا أدري ، سلي ثِقتَك . فدعَتني فسألتني ، وبدأتُ فحلفتُ لها بكلّ يمين محرجة أنّه ما مَرَّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقني . فقال لها : اليمينُ التي حلَف بها لازمة لي إن لم أَكُن دخلتُ الطائفَ وبتُّ عند جواريّ وغسَّلْتهنّ[2] جميعاً ، وأخذ منّي ثلاثمائة دينار ، وفعل كذا وكذا ؛ وحدَّثها الحديثَ كلّه وأراها الحُلَّة والسرج . فقالت لي : أفعَلتَها يا أشعب ! أنا نَفِيَّة من أبي إن أَنفقتَها إلاّ فيما يسوءك ، ثم أمرت بكَبْس منزلي وإحضارها الدنانيرَ فأُحضِرت ، فاشترت بها خشباً وبيضاً وسِرْجيناً ؛ وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلفت ألاّ أخرج منه ولا أُفارقه حتى أحضن البيضَ كلّه إلى أن يَنْقَب . فمكثت أربعين يوماً أَحضُن لها البيض حتى نَقِبَ ، وخرج منه فراريج كثيرة فربَّتْهنّ وتناسَلنَ فكُنَّ بالمدينة يسمَّين بنات أشعب ونسلَ

1 الجماش : المتعرض للنساء .

2 غسلتهن : جامعتهن .

أشعب . فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نَسْلٌ يزيد على الألوف ، كلّهنّ أهلي وأقاربي .

قال إبراهيم : فضحكتُ والله من قوله ضحكاً ما أذكر أنّي ضحكتُ مثلَه قطّ ووصلته ، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنّه مات هناك .

[يتسور على سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا مُصعَب بن عبد الله بن عثمان قال : قال رجل لأشعب : إنّ سالم بنَ عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير ، فبادَر حتى لحِقه فأغلق الغلامُ البابَ دونَه ، فتسوّر عليه ، فصاح به سالم : بناتي ويلك بناتي ، فناداه أشعب : ﴿لقد علِمتَ ما لنا في بناتِكَ مِن حقّ وإنّكَ لتعلم ما نريدُ﴾[1] ، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن سعيد قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي قال : بعثتْ سُكينة إلى أبي الزّناد فجاءَها تستفتيه في شيء ، فاطّلع أشعبُ عليه من بيت وجعل يُقَوْقِىء مثلَ ما تُقَوْقِىء الدجاجة ، قال : فسبّح أبو الزّناد وقال : ما هذا ؟ فضحكتْ وقالت : إنّ هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرِنا ، فحلفتُ أن يحضُن بيضاً في هذا البيت ولا يفارقه حتى يَنْقُب ، فجعل أبو الزّناد يعجب من فعلها .

وقد أخبرني محمد بن جعفر النحويّ بخبر سُكَينة الطويل على غير هذه الرواية ، وهو قريب منها ، وقد ذكرتُه في أخبار سُكينة بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان .

[عبد يسلح في يده]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن أبي خَيثَمة قال : حدَّثنا مُصعَب ، قال : حدَّثني بعض المدنيِّين قال : كان لأشعبَ خَرْقٍ في بابه ، فكان ينام ثم يُخرِج يدَه من الخَرْق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدّة الطمع . فبعث إليه بعضُ مَن كان يعبث به من مُجّان آل الزُّبير بعبدٍ له فسلح في يده ، فلم يعد بعدها إلى أن يُخرج يده .

وأخبرني به الجوهريّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن محمد بن الحسن ، عن مُصْعب ، عن بعض المدنيِّين فذكر نحوَه ولم يذكر ما فعل به الماجِن .

[يغنّي سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن محمدُ الزُّبيريّ أبو طاهر قال : حدَّثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيلة قال : حدَّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أنَّ أشعبَ حدَّثه قال : جاءَني فِتيَة من قريش فقالوا : إنّا نحبّ أن تُسمِع

1 سورة هود ، الآية : 79 .

سالم بنَ عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتُعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي على ذلك جُعْلاً فتنني ، فدخلتُ على سالم فقلت : يا أبا عمر ، إنّ لي مُجالسةً وحُرمَة ومودة وسِنّاً ، وأنا مولع بالتَّرنّم ، قال : وما الترنّم ، قلت : الغناء ، قال : في أيّ وقت ؟ قلت : في الخَلْوة ومع الإخوان في المُنْزه ، فأُحبّ أن أسْمِعَك ، فإن كرهتَه أمسكْتُ عنه ، وغنيته فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ فأعلمتُهم ، قالوا : وأيّ شيء غنَّيته ؟ قلت : غنَّيتُه[1] : [من الخفيف]

قَرِّبا مَرْبَطَ النّعامَةِ مِنِّي   لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالي

فقالوا : هذا بارد ولا حركة فيه ، ولسنا نرضى ، فلمّا رأيتُ دَفْعَهم إيّايَ وخفتُ ذهابَ ما جعلوه لي رجعتُ فقلت : يا أبا عمر ، آخر ، فقال : ما لي ولك ؟ فلم أُملّكه كلامه حتى غنّيتُ ، فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ إليهم فأعلمتُهم فقالوا : وأيّ شيء غنّيته ؟ فقلت : غنَّيتُه قوله : [من الخفيف]

لم يُطيقوا أن يَنزِلوا ونَزلْنا   وأخو الحرب مَنْ أطاقَ النِّزالا

فقالوا : ليس هذا بشيء ، فرجعتُ إليه فقال : مَهْ ؟ قلت : وآخر ، فلم أُمَلّكْه أمرَه حتى غنَّيتُ[2] : [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبَراتِهنّ وقُلنَ لي :   مـاذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

فقال : نهلاً نهلاً ! فقلت : لا والله إلاّ بذاك السّداك ، وفيه تمر عَجْوة من صَدَقة عمر . فقال : هو لك . فخرجتُ به عليهم وأنا أخطِر فقالوا : مَهْ ؟ فقلت : غنَّيتُ الشيخ :

غَيَّضْن مـن عَبراتِهنّ وقُلْنَ لي   . . . .

فطرِب وفرض لي فأعطاني هذا ، وكذَبتُهم ، والله ما أعطانيه إلاّ استكفافاً لي حتى صَمتُّ .

قال ابن أبي سعد : السّداك ، الزّبيلُ الكبير . وفرض لي أيّ نقّطني ، يعني ما يَهبُه الناس للمَغنِّين ويُسمُّونه النُّقَط .

[أحسن تأدية للألحان من معبد]

حدَّثني الجوهريّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني قَعْنَبُ بنُ المحرز عن الأصمعيّ قال : حدَّثني جعفر بن سليمان قال : قدِم أشعبُ أيّامَ أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يُغنّيَهُم فغنّى فإذا ألحانُه مُطرِبة وحلقُه على حاله ، فقال له جعفر بن المنصور : لَمن هذا الشعر والغناء : [من مجزوء الوافر]

1 البيت للحارث بن عباد وقد تقدم في حرب بكر وتغلب في الأغاني 5 : 24 .

2 البيت لجرير في ديوانه (صادر) : 476 .

لِمَـن طَلَلٌ بـذاتِ الجَيْـ ـش أمسى دارساً خَلَقا ؟

فقال له : أخذتُ الغناء عن مَعبد ، وهو للدّلال ، ولقد كنتُ آخذُ اللحن عن معبد فإذا سُئل عنه قال : عليكم بأشعب فإنّه أحسَنُ تأديةً له منّي .

[يطرب جريراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مصعب قال : قدِم جريرٌ المدينة ، فاجتمع إليه الناسُ يستنشدونه ويسألونه عن شعره ، فيُنشِدهم ويأخذون عنه وينصرفون ، ولزمه أشعبُ من بينهم فلم يفارقْه ، فقال له جرير : أراك أطولَهم جلوساً وأكثرَهم سؤالاً ، وإنّي لأظنُّك ألأمَهم حسباً ، فقال له : يا أبا حَزْرة ، أنا والله أنفعُهم لك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا آخذ شِعْرَك فأحسِّنه وأُجوِّدُه ، قال : كيف تُحسِّنه وتُجوِّده ؟ قال ، فاندفع فغنّاه في شعره والغناءُ لابن سُرَيْج[1] : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيَة السلامُ عليكم قبلَ الرحيلِ وقبلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لـو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عَهْدكم يوم الرَّحيلِ فعلْتُ مـا لم أفْعلِ

قال : فطرِب جَرير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبتُه بركبته وقال : أشهد أنّك تُحَسِّنه وتُجوِّده ، فأعطاه من شعره ما أراد ، ووصله بدنانير وكسوة .

حدَّثني أحمدُ بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبي قال : قال الهيثم بن عَديّ : لقيت أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهلَ زمانِك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديثِ الملوكِ ويُعطون إعطاءَ العبيد .

[أشعب يحجب لأمّ عمرو بنت مروان]

حدَّثني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أحمد بنُ يَحيى قال : أخبرنا مُصعَب قال : حجَّت أمّ عمرو بنت مَروان فاستَحْجَبت[2] أشعب وقالت له : أنت أعرفُ الناس بأهل المدينة ، فأْذن لهم على مراتبهم ، وجلستْ لهم مَلِيّاً ، ثم قامت فدخلت القائلة . فجاء طُوَيْس فقال لأشعب : استأذِن لي على أُمّ عمر ، فقال : ما زالت جالسة وقد دَخلت ؛ فقال له : يا أشعب ملكتَ يومين فلم تَفُتّ بَعْرَتين ولم تَقْطع شَعْرتين . فدقّ أشعبُ البابَ ودخل إليها ، فقال لها : أنشُدكِ الله يا ابنةَ مَروان ، هذا طُوَيْس بالباب فلا تتعرَّضي للسانه ولا تُعرِّضيني ، فأْذِنَت له . فلمّا دخل إليها قال لها : والله لئن كان بابك غُلُقاً لقد كان بابُ أبيك

1 ديوان جرير (صادر) : 357 .

2 استحجبت : ولته الحجابة .

فُلُقاً[1] ، ثم أخرج دُفَّة ونقر به وغنّى : [من الكامل]

ما تمنعي يَقَظى فقد تُؤْتِيْنَه في النوم غير مُصَرَّد محسوبِ
كان المُنى بلقائها فَلَقِيتُها فلهوتُ من لهوِ امرىءٍ مكذوبِ

قالت : أيّهما أَحَبُّ إليك : العاجِل أم الآجِل ؟ فقال : عاجِلٌ وآجِل ، فأَمرتْ له بكِسْوة .

أخبرني الجوهريّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، عن أبي مُسْلم ، عن المدائنيّ قال : حدَّث رجل من أهلِ المدينة أشعبَ بحديث أعجبه فقال له : في حديثك هذا شيء قال : وما هو ؟ قال : تَقْلِيبُه على الرأس .

[عند الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهريُّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : بعث الوليدُ بنُ يزيد إلى أشعب بعدما طلَّق امرأته سُعْدَة فقال له : يا أشعبُ ، لك عندي عشرةُ آلافِ درهم على أن تبلّغ رسالتي سُعْدة ، فقال له : أحضِرِ المالَ حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بِدرَةً فوضعها أشعب على عنقه ، ثم قال : هاتِ رسالَتك يا أميرَ المؤمنين ، قال : قل لها : يقول لك : [من الوافر]

أَسُعْدَةُ هل إليك لنا سبيلٌ وهل حتى القيامَة من تلاقي ؟!
بلى ولعلَّ دهراً أن يُواتي بموتٍ من حليلكِ أو طلاقِ
فأُصبحَ شامِتاً وتقرَّ عَيْني ويُجمَع شملُنا بعد افتراقِ

قال : فأتى أَشعبُ الباب ، فأُخبِرت بمكانه ، فأَمرتْ ففُرِشَت لها فُرُش وجلستْ فأَذِنَتْ له ؛ فدخل فأنشدها ما أمره ؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال : يا سيِّدتي إنّها بعشرة آلاف دِرهم ؛ قالت : والله لأَقتلنَّك أو تبلّغه كما بلّغتني ، قال : وما تَهَبين لي ؟ قالت : بِساطي الذي تحتي . قال : قومي عنه ، فقامت فطواه ثم قال : هاتي رسالتك جُعِلتُ فِداءك ، قالت : قل له : [من الطويل]

أَتبكي على لُبْنى وأَنتَ تركتَها فقد ذهبتْ لُبْنى فما أنتَ صانِعُ ؟!

فأَقبل أَشعبُ فدخل على الوليد فأَنشده البيت ، فقال : أَوَّه ! قتلتني والله ، ما تُراني صانعاً بك يا ابنَ الزّانية ؟ اخترْ إمّا أن أُدلِّيَكَ منكَّساً في بئر ، أو أرميَ بك من فوق القصر مُنكَّساً ، أو أضربَ رأسَك بعمودي هذا ضربة . فقال : ما كنتَ فاعلاً بي شيئاً من ذلك قال : ولِم ؟ قال : لأنّك لم تكُن لِتُعذّب رأساً فيه عَيْنان قد نَظَرتا إلى سُعْدة . فقال :

---

1 غلق : مغلق . وفلق : مفتوح .

صدَقْتَ يا ابن الزانية ، اخرُج عنّي .

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزيد ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بنِ عديّ ، أنَّ سُعدَة لمّا أنشدَها أشعَبُ قوله : [من الوافر]

أسُعدَة هــل إليكِ لنا سَبيلٌ وهل حَتَّى القيامة من تلاقي ؟!

قالت : لا والله لا يكونُ ذلك أبداً ، فلمّا أنشدَها : [من الوافر]

بَــلى ولعَــلَّ دهــراً أن يُواتي بمَوْتٍ مــن حَليلِكِ أو طلاقِ

قالت : كلاّ إن شاء الله ، بل يَفْعَل اللهُ ذلك به ، فلَمّا أنشدَها : [من الوافر]

فأُصبحَ شامِتاً وتَقَــرَّ عَيْنــي ويُجمَــعَ شملُنا بعــد افتِراقِ

قالت : بل تكون الشَّماتة به ، وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهريّ عن ابن مَهْرُوَيْه .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بنُ سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عَدِيّ قال : كتبَ الوليدُ بنُ يزيد في إشخاص أشعَبَ من الحِجازِ إليه وحَملِه على البَريد ، فحُمِلَ إليه . فلمّا دَخَل أمَر بأن يَلبِس تُبَّاناً ويُحمَل فيه ذنب قِرْد ، ويُشدَّ في رجلَيه أجراس ، وفي عُنُقه جَلاجِل ، ففعلِ به ذلك . فدَخَل وهو عَجَبٌ من العَجَب ، فلمّا رآه ضَحِك منه وكَشَف عن أيْرِهِ ، قال أشعب : فنظرت إليه كأنّه نايٌ مَدْهون ، فقال لي : اسجُد للأصمّ وَيلَك ، يعني أيرَه ، فسجَدتُ ، ثم رفعتُ رأسي وسجَدتُ أخرى ، فقال : ما هذا ؟ فقلتُ : الأولى للأصَمّ ، والثانية لخُصْيَتَيْك . فضَحِك وأمَر بنزع ما كان ألبَسَنيه ووَصلني ، ولم أزل من نُدَمائه حتى قُتِل .

أخبرني محمد بن مَزيد قال : حدَّثنا حَمّاد بنُ إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأشعبَ إنّه أُهدي إلى زياد بنِ عبد الله الحارثيّ قُبَّة أدَم قيمتُها عشرة آلاف دِرهَم فقال : امرأتُه الطَّلاقُ لو أنّها قُبَّة الإسلام ما ساوَتْ ألف دِرهم . فقيل له : إنّ معها جُبَّة وَشْيٍ حَشْوها قَزٌّ قيمتُها عشرون ألف دينارٍ ، فقال : أمُّه زانية لو أنَّ حَشوَها زَغَبُ أجنِحَة الملائكةِ ما ساوت عِشرين ديناراً .

[أشعب ووالي المدينة البخيل]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أبو أيّوب المدائنيّ قال : حدّثني مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ عن أبيه قال : حدّثني أشعب قال : وَلِيَ المدينة رجلٌ من ولد عامِر بن لُؤيّ ، وكان أبخل النّاس وأنكدَهم . وأغراه اللهُ بي يَطْلُبني في لَيْلِه ونَهاره ، فإن هَرَبتُ منه هَجَم على منزلي بالشُّرط ، وإن كنتُ في موضع بعثَ إلى مَن أكون معه أو عنده يطلبُني منه ، فيُطالبني بأن أُحدِّثه وأُضحِكه ، ثم لا أسْكُت ولا ينام ، ولا يُطعِمُني ولا يُعطيني شيئاً . فلقيتُ منه جهداً عظيماً

وبَلاءِ شديداً . وحَضَرَ الحَجُّ ، فقال لي : يا أَشعب ، كُن معي ، فقلت : بأَبي أَنت وأُمِّي ، أنا عليل ، وليست لي نيّة في الحجّ . فقال : عَلَيه وعَلَيه وقال : إنّ الكَعْبَة بيتُ النّار ، لئن لم تخرج معي لأُودِعَنَّك الحبس حتى أقدُم . فخرجتُ معه مُكرَهاً ، فلمّا نزلنا المنزلَ أظهرَ أنّه صائم ونام حتى تشاغَلْت ، ثم أكل ما في سُفْرته ، وأمر غُلامه أن يُطعمني رغيفين بِمِلْح . فجِئتُ وعندي أنّه صائم ، ولم أزل أنتظر المغرب أتوقّع إفطارَه ، فلمّا صلّيتُ المغرِبَ قلتُ لغُلامه : ما ينتظِر بالأَكْل ؟ قال : قد أكل منذُ زمان ، قلْت : أَوَلَم يكن صائِماً ؟ قال : لا . قلت : أفأطوي أنا ؟ قال : قد أعدّ لك ما تأكلُهُ فكُلْ ، وأخرجَ إليَّ الرِّغيفين والمِلح فأكلتُهما وبِتُّ ميِّتاً جوعاً ؛ وأصبحتُ فسِرْنا حتى نزلنا المنزِل ، فقال لغلامه : ابتَعْ لنا لحماً بدِرهم ، فابتاعه ، فقال : كَبِّب لي قِطَعاً ، ففعل ، فأكله ونَصَب القِدْر ، فلما اغبرَّت قال : اغرُف لي منها قِطَعاً ، ففعل ، فأكلها ؛ ثم قال : اطرح فيها دُقَّة وأطعِمْني منها ، ففعل ؛ ثم قال : ألقِ توابِلَها وأطعِمني منها ، ففعل ؛ وأنا جالس أنظُر إليه لا يدعوني . فلمّا استوفى اللحمَ كلَّه قال : يا غُلام ، أطعِم أشعبَ ، ورمى إليّ برغيفين ، فجئتُ إلى القِدْر وإذا ليس فيها إلاّ مَرَق وعظام . فأكلت الرَّغيفَين ، وأخرج له جراباً فيه فاكهةٌ يابسةٌ ، فأخذ منها حفنة فأكلها ، وبقي في كَفِّه كَفٌّ لوزٍ بقِشْرِه ، ولم يكُن له فيه حيلة ، فرمى به إليَّ وقال : كُلْ هذا يا أشعب . فذهَبْتُ أُكسِر واحدة منها فإذا بضَرسي قد انكسرَت منه قِطعة فسَقَطَت بين يديَّ ، وتباعدتُ أطلبُ حَجَراً أكسِرُه به ، فوجدتُه ، فضربت به لوزة فطفرَتْ ، يعلمُ اللهُ ، مقدارَ رَمْية حَجَر ، وعدوتُ في طَلَبها ، فبينما أنا في ذلك إذ أقبلَ بنو مُصْعَب ، يعني ثابتاً وإخوته ، يُلبُّون بتلك الحُلوق الجَهوَرِيّة ، فصِحْتُ بهم : الغوثَ الغَوثَ ! العِياذُ بالله وبكم يا آل الزُّبير ! الحقوني أدرِكوني ! فرَكضوا إليَّ ، فلما رأوْني قالوا : أشعب ، ما لك ويلك ؟ قلت : خُذوني معكم تُخلِّصوني من الموت . فحَمَلوني معهم ، فجعلتُ أرفرِف بيَدِي كما يفعل الفَرْخ إذا طَلَب الزَّقَّ من أبَويه . فقالوا : ما لكَ ويلَك ؟ قلت : ليس هذا وقت الحديث ، زُقّوني ممّا معكم ، فقد مُتُّ ضُرّاً وجُوعاً منذ ثلاث . قال : فأطعَموني حتى تراجعت نفسي ، وحملوني معهم في مَحمَل ، ثم قالوا : أخبرنا بقصَّتك ، فحدَّثتهم وأريتهم ضِرْسي المكسورة ؛ فجعلوا يضحكُون ويُصَفِّقون وقالوا : ويلك ، من أينَ وقعتَ على هذا ؟ هذا من أبخل خَلْقِ الله وأدنَئِهم نَفساً ؛ فحلَفْتُ بالطّلاق أنّي لا أدخُل المدينة ما دامَ له بها سُلطان . فلم أدخُلها حتى عُزِل .

[بينه وبين الغاضريّ مرّة أخرى]

أُخبرني رضوان بن أُحمد الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدَّثنا

إبراهيم بن المهديّ قال : حدَّثني عبيدة بن أشعب قال : كان الغاضريّ مُندِرَ[1] أهلِ المدينة ومُضحِكهم قبل أبي ، فأسقَطَه أبي واطَّرح . وكان الغاضريُّ حَسنَ الوجه مادّ القامةِ عَبْلاً فَخماً ، وكان أبي قصيراً دَميماً قليلَ اللحم ؛ إلاّ أنّه كان يتضرَّم ويتوقَّد ذَكاءً وحِدّةً وخِفّةَ رُوح ، وكان الغاضريّ يحسده إلاّ أنّهما متساويان ، وكان الغاضريّ لقيطاً منبوذاً لا يُعرَف له أبٌ ، فمرَّ يوماً ، ومعه فِتيَة من قريش ، بأبي في المسجِد وقد تأذّى بثيابه فنَزَعها ، وتجرَّد وجَلَس عُرياناً . فقال لهم الغاضريّ : أنشدتُكم اللهَ هل رأيتم أعجب من هذه الخِلْقة ! يريد خِلقَة أبي . فقال له أبي : إنّ خِلقَتي لَعَجيبة ، وأعجَبَ منها أنّه زَقَّني اثنان فصِرْت نضْواً[2] ، وزقَّك واحدٌ فصِرْتَ بُخْتياً[3] قال : وأهلُ المدينة يسمّون المَهْلُوس[4] من الفِراخ النِّضْو والمُسَرْوَل[5] البُخْتيّ . فغضب الغاضريُّ عند ذلك وشتمه ، فسقط واستبرِد ، وترك النوادرَ بعد ذلك ؛ وغَلَب أبي على أهل المدينة واستَطابُوه ، وكان هذا سَبَبه .

[جدي زياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني جعفر بنُ قدامة قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه قال : كان زيادُ بن عبدِ الله الحارثيّ أبخلِ خلق الله ، فأولَمَ وليمَةً لطُهْر بعض أولادِه . وكان الناس يَحضُرون ويُقدَّم الطَّعامُ فلا يأكلون منه إلاّ تعَلّلاً وتشعُّثاً[6] لعِلْمِهم به ، فقدِّم فيما قدِّم جَدْيٌ مشويٌّ فلم يَعرِض له أحد ، وجعل يردِّدُه على المائدة ثَلاثة أيّام والنّاس يَجْتَنبونه إلى أن انقضت الوليمةُ . فأصغى أشعب إلى بعض مَن كان هناك فقال : امرأتُه الطّلاق إن لم يكُن هذا الجدْيُ بعد أن ذُبح وشُوِي أطولَ عُمراً وأمدَّ حياةً منه قبل أن يُذبح ، فضحِك الرّجلُ ، وسَمِعها زيادٌ فتغافل .

[سُكينة تأمر بحلق لحيته]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : حدَّثني إبراهيم بنُ المهديّ ، عن عبيدة بن أشعب قال : غَضِبتْ سُكينةُ على أبي في شيءٍ خالفَها فيه فحلفَت لتَحلِقَنَّ لِحيتَه ، ودعت بالحَجّام فقالت له : احْلِق لِحيتَه ، فقال له الحجّام : انفُخ شدْقَيك حتى أتمكَّن منك . فقال له : يا ابنَ البَظْراء ، أمرتْك أن تَحلِق لِحيتي أو تُعَلِّمَني الزَّمْر ! خبِّرني عن امرأتك إذا أردتَ أن تَحلق

---

1 مندر : يأتي بالنوادر .

2 زقه : أطعمه كما يطعم الطائر فراخه . والنضو : المهزول .

3 البختي : جمل خراساني .

4 المهلوس : المهزول .

5 المسرول : الحمام الذي في رجليه ريش كاسراويل .

6 التشعث : الأكل القليل .

جِرَها تَنْفُخ أشداقَه ! فغضِب الحجَّام وحلف ألاّ يَحلِق لحيته وانصرف . وبلغَ سُكَينة الخبَر وما جرى بينهما فضَحِكت وعَفَت عنه .

[حكاية عن بخل زياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال : حدَّثني أبو العيناء عن الأَصمعيّ قال : أهدى كاتِبٌ لزياد بن عبد الله الحارثيّ إليه طعاماً ، فأُتي به وقد تغدَّى فغضب وقال : ما أصنَعُ به وقد أكلْتُ ؟ ادعُوا أهلَ الصُّفّة[1] يأكلونه . فبعَث إليهم وسأل كاتبَه : فيمَ دعا أهلَ الصُّفَّة ؟ فعرّف ، فقال الكاتب : عرِّفوه أنّ في السِّلال أخبِصَةً وحلواءَ ودجاجاً وفراخاً . فأُخبِر بذلك ، فأمر بكَشْفها ، فلمّا رآها أمر برَفعها فرُفِعَت ، وجاء أهلُ الصُّفَّة فأُعلِم ، فقال : أضربوهم عشرين عشرين دِرَّة ، واحبسوهم فإنّهم يَفْسُون في مسجد رسول الله ﷺ ويؤذُون المُصلّين ، فكُلِّم فيهم ، فقال : حلِّفوهم ألاّ يُعاوِدوا وأطلِقوهم .

[عبث أبان بن عثمان بأعرابيّ]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شبَّة قال : حدَّثنا ابنُ زبالة ، قال : حدَّثنا ابن زَبَنَّج راوية ابنِ هَرْمة عن أبيه قال : كان أبانُ بنُ عثمان من أهزَلِ النّاس وأعبَثِهم ، وبلغ من عَبَثه أنّه كان يَجيء بالليل إلى منزِل رَجُلٍ في أعلى المدينة له لقب يَغضَب منه فيقول له : أنا فلانُ بنُ فلان ، ثم يهتف بلقَبه ، فيشتُمُه أقبح شَتْم وأبانُ يَضحك . فبينما نحنُ ذاتَ يوم عنده وعنده أشْعَبُ إذ أقبل أعرابيٌّ ومعه جَمَل له ، والأعرابيُّ أشقَرُ أزرقُ أزعَرُ[2] غَضوبٌ يتلَظّى كأنّه أفعى ، ويتبيَّن الشَّرُّ في وجهِه ، ما يدنو منه أحدٌ إلاّ شتمه ونهره . فقال أشعب لأبان : هذا والله من البادية ادعوه ، فدُعيَ وقيل له : إنّ الأميرَ أبانَ بنَ عُثمان يَدْعُوك . فأتاه فسلَّمَ عليه ، فسأله أبانُ عن نسبه فانتسب له ، فقال : حيّاك الله يا خالي ، حبيبٌ ازدادَ حُبّاً . فجلس ، فقال له : إنّي في طَلَب جَمَلٍ مِثْلِ جملك هذا منذ زمان فلم أجِدْه كما أشتهي بهذه الصِّفة ، وهذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فالحمد لله الذي جَعَل ظَفَري به من عند مَن أُحبّه ، أتبيعُه ؟ فقال : نعم أيّها الأمير ، فقال : فإنّي قد بذلتُ لك به مائة دينار ، وكان الجملُ يُساوي عشرة دنانير ، فطَمِع الأعرابيُّ وسُرَّ وانتفخ ، وبان السُّرورُ والطَّمع في وَجْهِه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويْلك يا أشعَب ! إنَّ خالي هذا من أهلِك وأقاربك ، يعني في الطمع ، فأوسع له مِمّا عندك . فقال له : نعم بأبي أنت وزيادة . فقال له أبان : يا خالي ، إنّما زِدْتُك في الثمن على بَصيرة ، وإنّما الجمَل يساوي ستّين ديناراً ،

1 أهل الصفة : فقراء المهاجرين ومن لم يكن له مسكن .

2 أزعر : سيىء الخلق .

ولكن بذلتُ لك مائة لقِلَّة النَّقْد عندنا ، وإنِّي أُعطيك به عُروضاً تُساوي مائة ، فزاد طَمَعُ الأعرابيُّ وقال : قد قَبِلْتُ ذلك أيّها الأمير ، فأسَرَّ إلى أشعب ، فأخرجَ شيئاً مُغَطّى فقال له : أخرِجْ ما جِئْتَ بـه ، فأخـرج جَرْدَ عمامة خزٍّ خلقٍ تساوي أربعةَ دراهم ، فقال له : قوِّمها يا أشعب ، فقال له : عِمامة الأمير تُعرَف به ، ويشهدُ فيهـا الأعيـادَ والجُمَـع ويلقـى فيهـا الخُلفاء ؛ خمسون ديناراً . فقال : ضَعْها بين يديه . وقال لابن زَبَنْج ، أثبِت قيمتها . فكتب ذلك ، ووُضِعَتْ العمامة بين يدَي الأعرابيّ ، فكاد يدخل بعضُه في بعض غيظاً ، ولم يقدِر على الكلام ؛ ثم قال : هاتِ قَلَنْسُوَتي ، فأخرج قَلَنْسُوة طويلة خَلَقة قد علاها الوسخ والدُّهن وتخرَّقَت ، تساوي نصف درهم ؛ فقال : قوِّم ، فقال : قَلَنْسُوة الأمير تعلُو هامتَه ويُصلّي فيها الصَّلوات الخمس ، ويجلسُ للحُكم ؛ ثلاثون ديناراً . قال : أثْبِت ، فأثبَتَ ذلك ، ووُضِعَت القَلَنْسُوة بين يدَي الأعرابيّ ، فتربَّدَ وجهُه وجَحظَتْ عيناه وهمَّ بالوُثوب ، ثم تماسَك وهو متقلقِل .

ثم قال لأشعب : هات ما عِندَك ، فأخرج خُفَّين خلقين قد نُقبا وتقشَّرا وتفتَّقا ؛ فقال له : قوِّم ، فقال : خفّا الأمير يطأ بهما الرَّوضةَ ، ويعلو بهما مِنبر النبيّ ﷺ ؛ أربعون ديناراً . فقال : ضعْهُما بين يدَيه فوضعهما . ثم قال للأعرابيّ : اضْمُم إليك متاعَك ، وقال لبعض الأعوان : اذهَبْ فخذ الجملَ ، وقال لآخر : امْضِ مع الأعرابيّ فاقبِض منه ما بقيَ لنا عليه من ثمن المتاع وهو عِشرون ديناراً ، فوثب الأعرابيّ فأخذَ القماشَ فضرب به وُجوه القوم لا يألُو في شِدَّة الرَّمـي بـه ، ثم قال له : اتدري أصلحك الله من أيّ شيء أموت ؟ قال : لا ، قال : لم أدرِك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولَد مثلك ؛ ثم نهض مثلَ المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضَحِك أبان حتى سَقَط وضَحِك كلُّ مَن كان معه . وكان الأعرابيُّ بعد ذلك إذا لَقي أشْعب يقول له : هَلمَّ إليَّ يا ابن الخبيثة حتى أُكافِئك على تقويمك المتاع يوم قُوِّم ، فيهرب أشعبُ منه .

[يخاف حسد العجوز على خفّة موته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : حدَّثني شيخ من أهل المدينة قال : كانت بالمدينة عجوزٌ شديدةُ العين ، لا تنظُر إلى شيء تَسْتَحسِنه إلاّ عانته[1] ، فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو يقول لبنته : يا بنيَّة ، إذا مُتُّ فلا تَندُبيني والناس يَسمعونك ، فتقولين : وا أبتاه أندُبك للصَّوم والصَّلوات ، وا أبتاه أندُبُك للفِقْه والقراءة ، فيُكذِّبك النّاسُ ويلعُنوني . والتفت أشعبُ فرأى المرأة ، فغطّى وجهه بكُمِّه وقال لها : يا فلانة

1 عانته : أصابته بالعين .

بالله إن كُنتِ استَحْسَنْتِ شيئاً مِمّا أنا فيه فصَلّي على النبيّ ﷺ لا تُهْلِكيني . فغضِبت المرأةُ وقالت : سَخِنت عينك ، في أيّ شيءٍ أنتَ ممّا يستحسَن ! أنتَ في آخِرِ رَمَق ! قال : قد علمت ولكن قلت لئلاّ تكوني قد استَحْسنتِ خِفَّة الموت عليَّ وسُهولة النَّزع ، فيشتدُّ ما أنا فيه . وخرجَت من عِنده وهي تشتُمه ، وضَحِكَ كلُّ مَن كان حوله من كلامه ، ثم مات .

[ضرطة بنقطة]

أَخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ أَبي طاهر قال : حدَّثنا أَبو أَيّوب المدينيّ ، عن مصعب قال : لاعب أشْعَبُ رَجلاً بالنَّرد ، فأشرَف على أنْ يَقمُرَه إلاّ بضرب دويكين[1] ، ووقع الفصّان في يد ملاعبه ، فأصابه زَمَعٌ[2] وجزع ، فضرَب يكين وضَرَط مع الضربة فقال له أشعَب : امرأتُه طالِق إن لم أحسب لك الضَّرطة بنقطة حتى يصير لك اليكان دُوويكٌ وتَقْمُر . وسلم له القَمْر بسبب الضَّرطة .

[مزيد من طرائفه]

أَخبرني الحَسَن قال : حدَّثنا أَحمدُ ، قال : حدَّثني أَبو أَيّوب ، عن حَمَّاد ، عن ابن إسحاق ، عن أَبيه قال : قال رجلٌ لأَشعب : كان أَبوكَ ألحى وأنتَ أثطُّ فإلى مَن خرجت ؟ قال : إلى أُمِّي ، فمرَّ الرجلُ وهو يَعْجَب من جوابه ، وكان رجلاً صالحاً .

أَخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني الرياشيُّ قال : سَمِعتُ أَبا عاصم النَّبيل يقول : رأيتُ أشعبَ وسأله رجُلٌ : ما بَلَغ من طَمَعِك ؟ قال : ما زُفّت عروسٌ بالمدينة إلى زوجها قَطّ إلاّ فتَحْتُ بابي ، رَجاءَ أن تُهدى إليَّ طمعاً .

أَخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمِّه قال : تظَلّمت امرأةُ أَشعب منه إلى أبي بَكر محمد بن عمرو بن حزم وقالت : لا يَدعُني أهدأُ من كثرة الجِماع ، فقال له أشعب : أتُراني أعلِفُ ولا أَركَبُ ، لتكفَّ ضِرسَها لأَكُفَّ أيْري .

قال : وشَكا خالٌ لأَشعبَ إليه امرأتَه وأنّها تَخونُه في ماله . فقال له : فدَيتك لا تأْمَنَن قحبة ، ولو أنّها أُمُّك ، فانصرف عنه وهو يَشتُمه .

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثني قَعْنَبُ بنُ المُحرِز عن الأَصمعيّ ، عن جَعفر بن سليمان ، قال : قدِم علينا أشعبُ أيّامَ أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بني هاشم ، وسألوه أن يُغنّيَ فغنّاهم فإذا ألحانُه مُطرِبة وحلْقُهُ على حاله ، فسألوه : لِمَنْ هذا اللحن : [من مجزوء الوافر]

---

1 لعلّها : دوويك .

2 زمع : دهش .

لِمَنْ طَلَلٌ بذاتِ الجَيْـ ـشِ أمسى دارِساً خَلَقا[1] ؟

فقال : للدلال ، وأخذته عن مَعْبَد ، ولقد كنتُ آخذ عنه الصوتَ ، فإذا سُئِل عنه قال : عليكم بأشعب فإنّه أحسنَ أداءً له منّي .

[الحسن بن الحسن يعبث به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال : ذكر الزُّبير بن بكّار ، عن شُعيب بن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه قال : كان الحسن بنُ الحسنِ بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يَعبَث بأبي أشدَّ عَبَث ، وربّما أراه في عَبَثه أنّه قد ثَمِل وأنّه يُعَربِد عليه ، ثم يخرُج إليه بسيف مَسْلول ويُريه أنّه يريد قتلَه ، فيَجري بينهما في ذلك كلّ مُستَمع . فهَجَره أبي مدّة طويلة ، ثم لقِيَه يوماً ، فقال له : يا أشعب ، هَجَرْتَني وقطعتني ونَسيت عَهدي . فقال له : بأبي أنتَ وأمّي ، لو كنتَ تعربد بغير السيفِ ما هجرتك ، ولكن ليس مع السيف لَعِبٌ . فقال له : فأنا أُعفِيك من هذا فلا تراه منّي أبداً ، وهذه عشرة دنانير ، ولك حِماري الذي تحتي أَحمِلُك عليه ، وصِر إليَّ ولك الشرط ألا ترى في داري سيفاً ؛ قال : لا والله أو تُخرِج كلّ سيف في دارك قبل أن نأكل ؛ قال : ذلك لك . قال : فجاءه أبي ، ووفّى له بما قال من الهِبَة وإخراج السُّيُوف ، وخلَّف عنده سيفاً في الدار ، فلمّا توسَّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيفَ مشهوراً ، ثم قال : يا أشعب إنّما أخرجتُ هذا السيف لخير أُريدُه بك ، قال : بأبي أنتَ وأمّي ، وأيُّ خير يكون مع السَّيف ؟ ألست تذكُر الشرطَ بيننا ؟ قال له : فاسمع ما أقول لك ، لست أُضربك به ، ولا يلحقك منه شيء تكرهُهُ ، وإنّما أُريد أن أُضجعَك وأجلِس على صدرك ، ثم آخذ جِلدَة حلْقِك بإصبعي من غير أن أقبِض على عَصَب ولا وَدَج ولا مَقتل ، فأحزَّها بالسيف ، ثم أقومُ عن صَدْرِك وأُعطيك عشرين ديناراً . فقال : نشَدْتك اللهَ يا ابنَ رسولِ الله ألاّ تفعَل بي هذا ! وجعل يصرُخ ويبكي ويستغيث ، والحسنَ لا يزيدُه على الحَلْفِ له أنّه لا يقتُله ولا يتجاوز به أن يَحُزّ جِلدَه فقط ، ويتوعّده مع ذلك بأنّه إن لم يفعله طائعاً فعله كارِهاً ، حتى إذا طال الخَطْب بينهما ، واكتفى الحَسَن من المزح معه ، أراه أنّه يتغافل عنه ، وقال له : أنتَ لا تفعل هذا طائعاً ، ولكن أجيءُ بحَبْل فأكتِفك به . ومضى كأنّه يجيء بحبل ، فهَرَب أشعَبُ وتَسوَّر حائِطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسَقَط إلى داره ، فانفكَّت رِجلُه وأُغمي عليه . فخرج عبد الله فَزِعاً ، فسأله عن قصّته ، فأخبره ، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً ، وأقام في منزله يعالجه ويَعُوله إلى أن صَلَحت حالُه .

---

1 طلل في ل : ربع .

قال : وما رآه الحَسَنُ بنُ الحسن بعدها .

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بنُ بَكّار قال : حدَّثني عَمِّي قال : دعا حسنُ بنُ حسنٍ بن عليّ عليهم السلام أشعَبَ ، فأقام عنده ، فقال لأشعب يوماً : أنا أشتهي كَبدَ هذه الشاة ، لشاةٍ عنده عَزيزةٍ عليه فارهةٍ ، فقال له أشعب : بأبي أنت وأُمِّي أعْطِنيها وأنا أذبحُ لك أسمَن شاةٍ بالمدينة . فقال : أُخبِرك أنّي أشتَهي كبدَ هذه وتقول لي : أسمن شاةٍ بالمدينة ، اذبَحْ يا غُلام ، فذبحها وشوى له من كبدِها وأطايِبِها ، فأكل . ثم قال لأشعب من الغدِ : يا أشعب أنا أشتهي من كبد نجيبي هذا ، لِنَجيب كان عنده ثمنه ألوفُ دراهم ، فقال له أشعب : يا سيِّدي في ثمن هذا والله غناي ، فأعطِنيه وأنا والله أُطعِمُك من كبد كلّ جزورٍ بالمدينة . فقال : أُخبرك أنّي أشتهي من كبد هذا وتُطْعِمُني من غيره ! يا غلام انحَر ، فنحرِ النَّجيبُ وشَوى كبده فأكلاه فلمّا كان اليوم الثالث قال له : يا أشعبُ ، أنا والله أشتهي أن آكُل من كبدك . فقال له : سُبْحان الله أتأكُلُ من أكبادِ النّاس ! قال : قد أخبرتك ، فوثب أشعَب فرَمى بنَفسِه من درجة عالية فانكسرت رِجلُه . فقيل له : ويْلَك أظننتَ أنّه يَذبَحُك ؟ فقال : والله لو أنّ كَبِدي وجَميعَ أكبادِ العالَمين جميعاً اشتَهاها لأكَلَها . وإنّما فَعَل حسن بالشّاةِ والنَّجيب ما فعل توطئة للعَبَث بأشعب .

تمّت أخباره .

صوت

[من المتقارب]

أَلَـمَّتْ خنُـاسُ وإلمامُهـا أَحادِيـثُ نَفْس وأَحلامُها
يَمانِيَّةٌ مـن بني مالِـكٍ تَطاوَل في المَجْـدِ أَعمامُها

الشعر لعُوَيف القَوافي الفَزاريّ[1] والغِناء للهُذَليّ رمل بالوسطى ، عن عمرو ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ فيه لحناً لجميلة ولم يذكر طريقته ، وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ مُطلَق في مجرى الوسطى .

1 شعره : 152 .

[404] ـ أخبار عُوَيْف ونسبه[1]

[نسبه]

هو عُوَيف بن معاوية بن عُقْبة بنِ حِصْن وقيل : ابنُ عُقبة بن عُيينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عَديّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار .

وعُوَيْف القوافي شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة من ساكني الكوفة ، وبيتُه أحدُ البيوتِ المُقدَّمة الفاخرة في العرب .

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو عمرو بنُ العَلاء أنَّ العرب كانت تَعُدُّ البُيوتاتِ المشهورة بالكِبَر والشَّرف من القبائل بعد بيت هاشِم بن عبد مَناف في قريش ثلاثة بيوت ، ومنهم مَن يقولُ أربعة : أوّلُها بيت آل حُذَيْفة بن بَدْر الفَزاريّ بيتُ قيس ، وبيْتُ آلِ زُرارة بن عُدَس الدَّارميِّيْن بيتُ تميم ، وبيتُ آلِ ذي الجَدَّين بن عبد الله بن همّام بيت شَيْبان ، وبيتُ بني الدّيّان من بني الحارث بن كعب بيتُ اليَمَن .

وأمّا كِندة فلا يُعدُّون من أهل البُيوتات ، إنّما كانوا مُلوكاً .

وقال ابن الكلبيّ : قال كِسْرى للنُّعمان : هل في العرب قبيلة تَشرُف على قبيلة ؟ قال : نعم . قال : بأيِّ شيء ؟ قال : مَن كانت له ثلاثةُ آباء متوالية رؤساء ، ثم اتَّصل ذلك بكمال الرّابع ، والبيتُ من قبيلته فيه . قال : فاطلُب لي ذلك ، فطَلَبه فلم يُصِبه إلاّ في آل حُذيفة بن بَدْر بيت قيس بن عيلان ، وآلِ حاجب بن زرارة بيتِ تميم ، وآل ذي الجَدَّين بيت شيبان ، وآل الأشعَث بن قيس بيت كِندة . قال : فجمع هؤلاء الرَّهط ومَن تبعَهم من عشائرهم . فأقعد لهم الحُكّام العُدول ، فأقبل من كُلِّ قوم منهم شاعِرُهم ، وقال لهم : ليتكلَّم كلُّ رجلٍ منكم بمآثِر قومِه وفعالهم ، وليَقل شاعِرُهم فيصدُّق . فقام حُذيفة بن بَدْر ، وكان أسنَّ القوم وأجرأهم مُقدَماً ، فقال : لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنَّ منّا الشَّرف الأقدمَ ، والعِزَّ الأعظمَ ، ومأثرة الصَّنيع الأكرم . فقال مَن حوله : ولِمَ ذاك يا أخا فَزارة . فقال : السنا الدّعائِمَ التي لا ترام ، والعِزَّ الذي لا يُضام ! قيل له : صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]

فَزارةُ بيتُ العِزّ والعِزُّ فيهمُ ... فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها

---

1 ترجمة عويف القوافي في معجم المرزباني : 127–128 والسمط : 814 وخزانة البغدادي 6 : 384–387 وقد جمع ما تبقى من شعره د. نوري حمودي القيسي في «شعراء أمويون» 2 : 135–154 ، وأخبار مرج راهط في كتب التاريخ .

لها العِزَّةُ القَعْساءُ والحَسَبُ الذي ... بَناه لِقَيْس في القديم رِجالُها
فمَنْ ذا إذا مُدَّ الأَكفُّ إلى العُلا ... يَمُدُّ بأُخرى مِثْلَها فينالُها[1]
فهَيهاتَ قد أَعْيا القُرونَ التي مَضَت ... مآثِرُ قَيْس مَجدُها وفَعالُها[2]
وهل أحدٌ إن مَدَّ يوماً بكَفِّه ... إلى الشمس في مَجْرى النُّجوم ينالُها
وإن يَصْلُحوا يَصلُحْ لذاك جَمِيعُنا ... وإن يَفْسُدوا يَفْسُدْ على النّاس حالُها

ثم قام الأشعَث بن قيس ، وإنّما أُذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنُّعمان ، فقال : لقد عِلِمت العربُ أنّا نقاتل عديدَها الأكثرَ ، وقديم زحفِها الأكبر ، وأنّا غِياثُ اللَّزَباتِ[3] . فقالوا : لِمَ يا أخا كِندة ؟ قال : لأنّا وَرِثنا مُلك كندة فاستظللنا بأفيائِه ، وتقلّدنا مَنْكِبَه الأعظم ، وتوسّطنا بُحبوحه الأكرم ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

إذا قِسْتَ أبياتَ الرِّجالِ بِبَيْتِنا ... وجدتَ له فَضْلاً على مَنْ يُفاخِرُ
فَمنْ قال كلاَّ أو أتانا بخُطَّةٍ ... يُنافِرُنا يوماً فنحن نُخاطِرُ
تَعالَوا فعُدُّوا يعلم النَّاس أيُّنَا ... له الفَضلُ فيما أورثَتْه الأكابرُ

ثم قام بَسْطام بن قَيْسٍ فقال : لقد عِلِمت ربيعة أنّا بُناة بيتها الذي لا يَزُول ومغرس عِزّها الذي لا يُنقل . قالوا : ولِمَ يا أخا شَيْبان ؟ قال : لأنّا أدركهم للثَّأر ، وأقتلهم للملك الجبّار ، وأقولُهم للحقّ ، وألدُّهم للخَصْم ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

لعَمْري لَبِسْطامٌ أحقّ بفضلها ... وأولَى بِبَيْت العزِّ عِزِّ القبائلِ
فَسائِلْ ، أبيت اللّعْن ، عن عزِّ قومِنا ... إذا جَدَّ يوم الفَخْر كلُّ مناضلِ
ألسْنا أعزَّ الناسِ قوماً وأُسرةً ... وأضْرَبَهم للكَبْشِ بين القبائلِ
فَيُخبِرَك الأقوامُ عنها فإنّها ... وقائعُ لَيسَت نُهزةً للقبائلِ
وقائعُ عِزٍّ كلّها رَبَعِيَّةٌ ... تَذِلُّ لهم فيها رِقابُ المَحافلِ
إذا ذُكِرت لم يُنْكِرِ النَّاسُ فضلَها ... وعاذَ بها من شَرِّها كُلُّ قائلِ
وإنَّا مُلوكُ النَّاسِ في كل بَلْدةٍ ... إذا نَزَلت بالنَّاسِ إحْدى الزَّلازِلِ

ثم قام حاجب بن زرارة فقال : لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنّا فَرْع دِعامتها ، وقادة زحفِها ، فقالوا له : بِمَ ذاك يا أخا بني تميم ؟ قال : لأنّا أكثرُ الناس إذا نسبْنا عدداً ، وأنجبهم ولداً ، وأنّا

1 مثلها في ل : غيرها .
2 مضت في ل : خلت .
3 اللزبات : جمع لزبة ، وهي الشدّة والقحط .

أعطاهم للجزيل ، وأحملُهم للثَّقيل ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

لقد عَلِمتْ أبناءُ خِندِفَ أنَّنا ... لنا العِزُّ قِدْماً في الخُطوب الأوائِلِ

وأنّا هِجانٌ أهْلُ مجد وثَرْوَةٍ ... وعِزٌّ قديمٍ ليس بالمتضائِلِ[1]

فكَمْ فيهمُ من سَيِّدٍ وابْنِ سَيِّدٍ ... أغَرَّ نجيبٍ ذي فعالٍ ونائلِ

فسائلْ ، أبيتَ اللَّعن ، عنّا فإنّنا ... دعائمُ هذا النّاس عند الجَلائلِ

ثم قام قيس بن عاصم فقال : لقد عَلِم هؤلاء أنّا أرفعَهُم في المكرُمات دعائم ، وأثبتهم في النّائباتِ مقاوم . قالوا : ولِم ذاك يا أخا بني سعد ؟ قال : لأنّا أمنعُهم للجار ، وأدركهم للثّار ، وأنّا لا نَنْكَلُ إذا حَمَلنا ولا نرام إذا حَلَلْنا ، ثم قام شاعرُهم فقال : [من الطويل]

لقد عَلِمَتْ قيسٌ وخِندِفُ كُلُّها ... وجُلُّ تَميم والجُموع التي تَرى

بأنّا عِمادٌ في الأُمورِ وأنّنا ... لنا الشَّرفُ الضَّخمُ المُركَّب في النَّدى

وأنَّا لُيوثُ النّاس في كلّ مأزِقٍ ... إذا اجتُزَّ بالبِيضِ الجماجِمُ والطُّلى[2]

وأنّا إذا داعٍ دَعانا لنَجْدةٍ ... أجبْنا سِراعاً في العلا ثَمَّ مَنْ دَعا

فمَنْ ذا لِيوم الفَخْرِ يَعْدِل عاصماً ... وقَيْساً إذا مُدَّ الأكُفُّ إلى العُلا

فَهَيْهاتَ قد أعيا الجميعَ فَعالُهم ... وفاتُوا بيَوْم الفَخْرِ مَسْعاةَ مَنْ سَعى

فلمّا سمع كِسْرى ذلك منهم قال : ليس منهم إلاّ سيِّد يَصلح لموضعه ، وأسنى حِباءَهم .

[رجع الحديث إلى عويف القوافي]

وإنّما قيل لعُوَيف : عُوَيْف القَوافي لِبَيْت قاله ، نَسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دُريد ولم أسمعه منه . قال : أخبرنا السَّكَن بنُ سعيد ، عن محمد بن عَبّاد ، عن ابن الكلبيّ قال : أقبلَ عُوَيْف القوافي ، وهو عُوَيف بن معاوية بن عُقبة بن حصن بن حُذيفة الفَزاريّ ، وإنّما قِيل له عويف القَوافي ، كما حدَّثني عَمّارُ بنُ أبان بن سعيد بن عُيَيْنة ، ببيت قاله[3] : [من الطويل]

سأكذِبُ مَن قد كان يَزعمُ أنّني ... إذا قُلتُ قولاً لا أُجيدُ القَوافِيا

قال : فوقف على جرير بن عبد الله البَجَليّ وهو في مجلسه فقال[4] : [من الوافر]

1 الهجان : الخيار والخالص من كل شيء ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .
2 الطلى : الرقاب .
3 شعره : 154 .
4 شعره : 154 .

أُصُبّ على بَجيلة من شقاها ... هِجائي حين أدركني المَشِيبُ

فقال له جرير : ألا أشتري منك أعراض بَجيلَة ؟ قال : بلى ، قال : بِكَمْ ؟ قال : بألف دِرهم وبِرذون ، فأمر له بما طَلَب فقال[1] : [من الرجز]

لولا جَريرٌ هَلَكتْ بَجيلَهْ ... نِعْم الفتى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

فقال جرير : ما أُراهم نَجَوْا منك بعد .

نسختُ من كتاب أبي سعيد السكريّ في كِتاب «مَنْ قال بيتاً فلُقِّب به» قال : أخبرني محمد بن حبيب قال : وإنّما قيلَ لعُوَيف عُويفُ القوافي لقوله ، وقد كان بعض الشعراء عَيَّره بأنّه لا يُجيد الشعر ، فقال أبياتاً منها : [من الطويل]

سأُكذِب مَنْ قد كان يَزعمُ أنَّني ... إذا قُلتُ شعْراً لا أُجيدُ القَوافِيا

فسُمِّي عُوَيف القوافي .

[عند الوليد بن عبد الملك]

أُخبرنا محمد بنُ خَلَف وكيع قال : حدَّثني أحمد بنُ إسحاق ، عن أبيه ، قال : حدَّثني عزيزُ بنُ طَلْحة بنِ عبد الله بن عثمان بن الأرقَم المخزوميّ ، قال : حدَّثني غيرُ واحد من مشيخة قريش ، قالوا : لم يكن رجلٌ من وُلاةِ أولادِ عبد الملك بن مروان كان أنفسَ على قومه ، ولا أحْسَدَ لهم من الوليد بن عبد الملك . فأذِنَ يوماً للنّاس فدخلوا عليه ؛ وأذِن للشُّعراء ، فكان أوّل مَن بَدر بين يديه عُوَيْف القوافي الفَزاريّ . فاستأذنه في الإنشادِ فقال : ما بَقَّيتَ لي بعد ما قلتَ لأخي بَني زُهرة ! قال : وما قلتُ له مع ما قلتُ لأمير المؤمنين ؟ قال : ألستَ الذي تقول[2] : [من الكامل]

يا طَلْحَ أنتَ أخو النَّدى وحَلِيفُه ... إنَّ النَّدى من بعد طَلْحَة ماتا

إنَّ الفَعالَ إليك أُطلَقَ رَحْلَه ... فبِحَيْث بِتَّ من المَنازِلِ باتا

أو لَسْتَ الذي تقول[3] : [من الوافر]

إذا ما جاء يومُك يا ابنَ عَوْف ... فلا مَطَرتْ على الأرض السَماءُ

ولا سار البَشيرُ بغُنم جَيْشٍ ... ولا حَمَلت على الطُّهْرِ النِّساءُ[4]

---

1 شعره : 151 .

2 شعره : 143 .

3 شعره : 142 .

4 ل : ولا سار العزيز .

تَساقى النِّساءُ بعدكَ يا ابْنَ عَوْفٍ ذَرِيعَ المَوْتِ ليس لـه شِفاءُ

أَلَم تَقُم علينا الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أَسمعَ منك شيئاً ، ولا أنفعك بنافِعةٍ أبداً ، أَخرجوه عنّي .

[قصّته مع طلحة أخي بني زهرة]

فلمّا أُخرج قال له القُرشِيُّون والشامِيُّون : وما الذي أَعطاك طلحَةُ حين استخرج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطاني غيرُه أكثرَ من عطيَّته ، ولكن لا والله ما أعطاني أحدٌ قطّ أحلى في قَلبي ولا أبقى شُكْراً ولا أجدَر ألاّ أنساها ما عَرفتُ الصِّلاتِ من عطيَّته . قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدِمْتُ المدينة ومعي بُضَيّعة[1] لي لا تَبلُغ عشرة دنانير ، أُريدُ أن أبتاعَ قَعوداً من قِعدان الصَّدَقة ، فإذا برجل في صَحْن السُّوق على طِنْفِسةٍ[2] قد طُرِحَتْ له ، وإذا النّاس حوله ، وإذا بين يديه إبلٌ معلوفة له ؛ فظننت أنّه عامِلُ السّوق ؛ فسلَّمت عليه ، فأثبتني وجهِلْتُه . فقلت : أي رَحِمك الله ، هل أنت مُعيني بِبَصَرِك على قَعُود من هذه القِعْدان تبتاعه لي ؟ فقال : نعم ، أوَ مَعَك ثمنه ؟ فقلت : نعم ، فأهوى بيدِه إليَّ فأعطيتُه بُضَيِّعَتي ، فرفع طِنْفسَته وألقاها تحتها ، ومَكَث طويلاً ، ثم قمتُ إليه فقلت : أي رَحِمَك الله ، انظُر في حاجتي فقال : ما منعني منك إلاّ النِّسيان ، أمَعَك حبل ؟ قلتُ : نعم ، قال : هكذا أفرِجوا ، فأفرَجُوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه ، فقال : اقرِن هذه وهذه وهذه . فما بَرِحتُ حتى أمَرَ لي بثلاثين بَكْرة أدنى بَكْرة منها ، ولا دنِيَّة فيها ، خيرٌ من بضاعتي . ثم رفع طِنْفِسَته فقال : وشأنَك ببضاعتك فاستَعِن بها على مَن ترجع إليه . فقلت : أي رَحِمك الله ، أتدْري ما تقول ؟ فما بَقي عنده إلاّ مَنْ نهَرني وشتمني ، ثم بَعَث معي نفراً فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثَّنِيّة ، فوالله لا أنساه ما دُمت حيّاً أبداً .

وهذا الصوتُ المذكور تمثَّل به إبراهيمُ بنُ عبد الله بنِ حَسَن بن حَسَن بن عليٍّ يوم مقْتلِه .

حدَّثني ابنُ عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني مَيسرَةُ بن سيَّار أَبو محمد قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ عليّ الرّافقيّ ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ؛ وحدَّثنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى المنجِّم ، وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ قالا : حدَّثنا عُمَرُ بن شَبّة قال : حدَّثني عبد الملك بن سليمان ، عن عليّ بن الحسن ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ؛ وروايةُ ابن عَمّار أتمُّ من هذه الرِّواية .

ونسختُ هذا الخبر أيضاً من بَعض الكتب عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ ، عن أبي عثمان

1 بضيّعة : تصغير بضاعة ، وهي مقدار من المال للتجارة .

2 الطنفسة : البساط والحصير .

اليَقْطُرِيّ[1] ، عن أَبيه ، عن المُفضَّل ، وهو أَتمُّ الرِّوايات ، وأَكثرُ اللفظ له قال : قال المفضَّل : خرجتُ مع إبراهيم بنِ عبد الله بنِ حسن بن حسن ، فلمّا صار بالمِرْبَد ، وقف على رأس سليمان بن عليّ فأُخرِجَ إليه صبيان من ولده ، فضمَّهم إليه وقال : هؤلاء واللهِ منّا ونحن منهم ، إلاّ أن آباءَهم فعلوا بنا وصنعوا ، وذكر كلاماً يعتدُّ عليهم فيه بالإساءَة ، ثم توجّه لوجهه وتَمثَّل[2] : [من المنسرح]

مَهْلاً بَنـي عَمِّنـا ظُلامتنا ... إنّ بنـا سَوْرَةً من القَلَقِ[3]

لِمِثْلِكم نَحمِل السيوفَ ولا ... تُغمَز أَحسابُنـا من الدَّقَقِ[4]

إنّي لأَنمـي إذا انتَميت إلى ... عزٍّ عزيـزٍ ومَعْشَرٍ صُدُقِ[5]

بيضٍ سِبـاطٍ كأَنّ أَعينَهم ... تكحَل يوم الهِياج بالعَلَقِ[6]

فقلت : ما أَفحلَ هذه الأبياتِ ، فلِمَن هي ؟ قال : لضِرار بنِ الخطّاب الفِهْريّ ، قالها يوم الخَنْدق ، وتمثَّل بها عليُّ بنُ أبي طالب عليه السّلام يوم صِفِّين ، والحسين بن عليّ يوم قُتِل ، وزَيدُ بن عليّ عليهم السلام ، ولحقَ القومَ ، ثم مضى إلى باخَمْرى[7] ، فلمّا قَرُب منها أتاه نَعيُ أخيه محمد ، فتمثل : [من الكامل]

نُبِّئْتُ أَنَّ بنـي رَبيعـة أَجمعوا ... أَمـراً خلالَهُـمُ لتقْتُـلَ خالِدا

إن يَقتُلوني لا تُصِب أَرماحُهـم ... ثأرِي ويَسْعى القَومُ سَعْياً جاهِدا

أَرمي الطريقَ وإن صُدِدتُ بِضيقِه ... وأُنازِلُ البطـلَ الكَميَّ الجاحِدا

فقلت : لِمَن هذه الأبيات ؟ فقال : للأَحوص بن جعفر بن كِلاب ، تمثَّل بها يوم شِعْب جَبَلة ، وهو اليوم الذي لَقِيت فيه قَيْسٌ تميماً . قال : وأقبلت عساكر أبي جعفر ، فقتِل من أَصحابه وقتِل من القوم ، وكاد أن يكون الظَّفَر له .

قال ابن عمّار في حديثه : قال المُفضَّل : فقال لي : حرِّكْني بشيء ، فأَنشدته هذه الأبيات : [من الطويل]

أَلا أَيُّهـا النّاهـي فَزارةَ بعدمـا ... أَجدَّتْ بسَيْرٍ إنّمـا أَنـتَ حالِمُ

---

1 ل: اليزيدي .

2 ديوان ضرار بن الخطاب الفهري (صادر) : 75 .

3 القلق في الديوان : الغلق ، وهو الضجر وضيق الصدر .

4 الدقق : الذين يظهرون عيوب الناس . وفي الديوان : الرفق : الضعف .

5 الديوان : حي كرام ومعشر صدق .

6 الديوان : بيض جعاد ، أي كرام .

7 باخمرى : موضع بين الكوفة وواسط .

أبـى كُلُّ حُـرٍّ أن يَبيتَ بوِتْـرِه ... ويُمنـعَ منـه النومُ إذ أَنت نائِمُ
أَقـولُ لفِتيـان العَشيِّ تَروّحـوا ... على الجُردِ في أَفواهِهِنَّ الشَّكائِمُ
قِفُوا وقْفَةَ مَنْ يَحْيَ لا يَخزَ بعدها ... ومَـن يُخْتَرم لا تَتَّبِعـه اللَّوائِمُ
وهل أَنتَ إن باعَدْتَ نَفسَك منهمُ ... لتَسْلم فيمـا بعـد ذلـك سالِمُ

فقال لي : أعِدْ ، فتنبَّهت وندِمت ، فقلت : أَوَغير ذلك ؟ فقال : لا ، أعدها ، فأَعَدتها ؛ فتمطَّى في رِكابَيْه حتى خِلتُه قد قطعهما ، ثم خمل فكان آخرَ العهد به .

هذه روايةُ ابنِ عمّار ، وفي الرواية الأُخرى : فحَمَل فطَعَن رَجُلاً ، وطعنه آخر ، فقلت : أَتباشِر الحربَ بنفسِك والعسكرُ مَنوطٌ بك ؟ فقال : إليك يا أخا بني ضَبَّة ، كأَنَّ عُوَيفاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيثُ يقول : [من المتقارب]

أَلَمَّـت خُنـاسُ وإلمامُها ... أَحاديثُ نفسٍ وأَحلامُها
يَمانيَّـةٌ من بنـي مالكٍ ... تَطاولَ في المَجدِ أَعمامُها
وإنّ لنـا أَصلَ جُرْثُومةٍ ... تَـرُدُّ الحـوادِثَ أَيّامُها
تـرُدُّ الكَتيبَـةَ مَغْلولـةً ... بها أَفْنُهـا وبهـا ذامُها[1]

قال : وجاءه السَّهْمُ العائر فشَغَله عنِّي .

[ينشد عمر بن عبد العزيز]

أَخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قـال : حدَّثنـا الحسن بن عُلَيـل العَنْزِيّ ، قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديُّ ، قال : حدَّثني أصحابنا الأسديُّون ، عن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعريّ قال : حضرت مع عُمَر بن عبد العزيز جِنازة ، فلمّا انصرف انصرفتُ معه ، وعليه عمامةٌ قد سَدَلها من خَلْفِه ، فما عَلِمتُ به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به[2] : [من الطويل]

أَجِبْني أَبا حَفْص لقيتَ محمداً ... على حَوْضِـه مُسْتَبْشِراً ورآكا

فقال له عمر : لَبَّيْك ، ووقف ووقف الناسُ معه ، ثم قال له : فمَه ؟ فقال :

فأَنتَ امرؤٌ كِلْتا يديك مُفيدةٌ ... شِمالُك خيرٌ مـن يمين سِواكا

قال : ثم مه ؟ فقال : [من الطويل]

بلغتَ مَدى المُجرِين قبلَك إذْ جَرَوا ... ولم يَبلُغ المُجْـرون بَعـدُ مَداكا

---

1 الأفن : ضعف الرأي . والذام : العيب والنقص .
2 شعره : 150 .

فجَـدَّاك لا جَدَّيـنِ أَكرمُ منهما ... هُناك تَناهـى المَجـدُ ثـم هُناكا

فقال له عمر : ألا أراك شاعراً ! ما لك عندي من حَقّ ؛ قال : لا ، ولكنّي سائل وابنُ سبيل وذو سُهْمَةٍ[1] . فالتفت عُمَر إلى قَهْرمانه فقال : أعطِه فَضْل نفقتي ، قال : وإذا هو عُوَيْف القوافي الفَزاريّ .

[هجاء بني مرّة]

أَخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا أَبو غسّان دَماذ ، عن أَبي عُبيدة ، قال : لمّا كان يَوم ابن جرح ، واقتتلت بنو مرّة وبنو حُنّ بن عُذْرة ، قال عُويف القوافي لبني مُرّة يهجوهم ويوبِّخهم بتَرْكهم نصرَهم[2] : [من الطويل]

كُنّـا لكم يـا مُـرّ أُمّاً حَفِيَّـةً ... وكنتُـم لنا يـا مـرّ بَـوّاً مُجَلَّدا[3]

وكنتـم لنـا سَيْفـاً وكُنّا وِعاءَه ... إذا نحـن خِفْنـا أن يكِلَّ فيُغْمَدا

فأَجابه عُقَيل بنُ عُلَّفَة بقصيدته التي أَوّلُها : [من الطويل]

أَمـاوِيَّ إنَّ الركبَ مُرتحِلٌ غـدا ... وحَـقٌّ ثَـوِيٌّ نـازلٍ أن يُـزَوَّدا

يقول فيها يخاطب عويفاً :

إذا قُلتُ : قد سامحت سَهْماً ومازِناً ... أَبى النَّسَبُ الدّانيّ وكُفرُهُم اليَدا

وقـد أَسلَمُـوا أَستاهُهم لقَبيلـةٍ ... قُضاعِيَّةٍ يدعـون حُنّـاً وأَصْيَدا

فما كنتَ أُمّاً بل جعلتُك لي أَخاً ... وقد كنتَ في النّاس الطَّريدَ المُشَرَّدا

عُوَيف استِها قد رُمتَ وَيْلَكَ مَجدَنا ... قديماً فلـم تَعْـدُ الحِمارَ المُقَيَّدا

ولـو أَنَّني يومَ ابنِ جُرْحٍ لَقيتُهم ... لجرَّدْتُ في الأَعداء عَضْباً مُهَنَّدا

وأَبيات عُوَيف هذهِ يقولها يوم مَرْج راهِط ؛ وهي الحرب التي كانت بين قيس وكَلْب .

[وقعة مرج راهط]

أَخبرني بالسَّبَب فيه أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال : أَخبرني سليمان بن أَيُّوب بن أعين أبو أيّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : كان بدءُ حَرْب قيس وكَلْب في فِتنة ابن الزُّبير ما كان من وقعة مَرج راهِط ، وكان من قصَّة المَرج أنَّ مَروان بن الحكَم بن أبي العاص قَدِم بعد هلاكِ يَزيد بن معاوية والنّاسُ يموجون ، وكان سعيد بن بَحْدل الكلبيُّ على

1 سهمة : القرابة والنصيب والقسمة .

2 شعره : 145 .

3 البوّ : جلد ولد الناقة يحشى تبناً لتدرّ عليه .

قِنَّسْرِين ؛ فوثب عليه زُفَر بن الحارث فأخرجه منها وبايع لابنِ الزُّبير . فلمّا قعد زُفَر على المِنبر قال : الحمدُ لله الذي أقعَدَني مقعد الغادر الفاجرِ ، وحَصِر ، فضَحِك الناس من قوله . وكان النُّعمان بن بَشير على حِمْص ، فبايَع لابن الزُّبير . وكان حَسّان بن بَحْدل على فِلسْطِين والأُرْدن ، فاستعمل على فلسطين رَوْحَ بنَ زِنباع الجُذاميّ ، ونزل هو الأُردُنّ فوثب نابِلُ بنُ قيس الجُذاميّ على رَوْح بن زِنباع ، فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزُّبير .

[موقف الضحاك بن قيس الفهريّ]

وكان الضَّحَّاك بن قيس الفِهْرِيّ عامِلاً ليزيدَ بن معاوية على دمشق حتى هلك . فجعل يقدِّم رِجلاً ويُؤخِّر أُخرى ؛ إذا جاءته اليمانية وشِيعَةُ بني أُميّة أخبرهم أنّه أُمويّ ، وإذا جاءته القيسيَّة أخبرهم أنّه يدعو إلى ابن الزُّبير . فلمّا قدِم مروان قال له الضَّحَّاك : هل لك أن تقدَم على ابن الزُّبير ببيعة أهلِ الشام ؟ قال : نعم ، وخرج من عنده ، فلقيه عمرو بنُ سعيد بن العاص ، ومالك بن هبيرة ، وحُصَين بن نمير الكِنديّان ، وعُبيد الله بنُ زياد ، فسألوه عمّا أخبره به الضَّحَّاك ، فأخبرهم ؛ فقالوا له : أنتَ شيْخ بَني أُميَّة ، وأنتَ عَـمُّ الخليفة ، هلمّ نُبايعك . فلمّا فَشا ذلك أرسل الضَّحَّاك إلى بني أُميَّة يعتذر إليهم ، ويذكر حُسْنَ بلائِهم عنده ، وأنَّه لم يُرد شيئاً يكرهونه . فاجتمع مروان بنُ الحكَم ، وعَمْرُو بنُ سعيد بن العاص ، وخالِدُ وعبدُ الله ابْنا يَزيد بن معاوية وقال لهم : اكتبوا إلى حسّان بن بَحْدَل فليَسِرْ من الأردن حتى ينزِل الجابية ، ونسير من هاهنا حتى نلقاه ، فيستخلِف رجلاً ترضونه . فكتبوا إلى حسّان ، فأقبل في أهل الأردُن ، وسار الضَّحَّاك بن قيس وبنو أُميّة في أهل دمشق . فلمّا استقلّت الرَّاياتُ من جهة دمشق ، قالت القيسيَّة للضَّحَّاك : دعوتنا لبَيْعة ابنِ الزُّبير ، وهو رجُلُ هذه الأُمَّة ، فلمّا تابعناك خرجتَ تابعاً لهذا الأعرابيّ من كَلْب تُبايع لابنِ أُختِه تابعاً له ، قال : فتقولون ماذا ؟ قالوا : نقول : أن تَنْصرف وتظهِر بيعةَ ابنِ الزُّبير ونظهِرَها معك . فأجابهم إلى ذلك ، وسار حتى نزل مَرْج راهط ، وأقبل حسّان حتى لَقي مَروان بن الحَكَم ، فسار حتى دخل دمشق ؛ فأتته اليمانيّة تشكر بلاءَ بني أُميّة ، فساروا مع مروان حتى نزلوا المَرْج على الضَّحَّاك ، وهم نحو سبعة آلاف ، والضَّحَّاك في نحو من ثلاثين ألفاً . فلَقوا الضَّحَّاك ، فقتل الضَّحَّاك ، وقتِل معه أشرافٌ من قيس ، فأقبل زُفَر هارِباً من وَجهِه ذاك حتى دخل قَرْقِيسيا ، وأقام عُمَير بنُ الحُباب شيئاً على طاعة بني مروان ، ثم أقبل حتى دخل قَرْقِيسيا على زُفر فأقام معه ، وذلك بعد يوم خازِر[1] حين قُتِل عُبيد الله بنُ زياد .

وأقبل زُفَر يبكي قَتلى المَرج ويقول[2] : [من الطويل]

---

1 خازر : نهر بين إربل والموصل يصب في دجلة .

2 الأبيات في الطبري (حوادث 64) .

لعَمْري لقــد أبقَت وَقِيعةُ راهِطٍ لِمــروان صَدْعــاً بيننــا مُتنائيا[1]
أتذهــبُ كَلْبٌ لَــم تَنَلْها رِماحُنا ويُترك قَتْــلى راهطٍ هــيَ ماهيا
فقد يَنْبُت المَرْعى على دِمَن الثّرى وتبقى حَــزازاتُ النُّفوس كما هِيا
أبعدَ ابنِ صَقْرٍ وابنِ عَمــرو تتابعا ومَصْرَعِ هَمَّــام أُمَنَّــى الأمانِيا[2]

فقال ابن المِخْلاة الكلبيّ يجيبه[3] : [من الطويل]

لعَمْري لقــد أبقَت وَقيعَةُ راهطٍ على زُفَــرٍ داءً مــن الــدَّاء باقِيا
تُبَكِّــي على قَتْــلى سُلَيمٍ وعامــرٍ وذُبيانَ مغروراً وتُبْكي البَواكِيا[4]

وقال ابن المِخْلاة في يوم المَرْج : [من الطويل]

ويومٍ تــرى الرّاياتِ فيــه كأنّها حوائــمُ طَيْرٍ مُسْتَديــرٌ وواقــعُ
مضى أربــعٌ بعــد اللِّقــاء وأربَعٌ وبالمرجِ بــاقٍ من دم القَوم ناقِعُ
طعَنَّا زِياداً في استِه وهــو مُدْبِرٌ وثَوْرٌ أصابَتْــه السُّيوفُ القواطِعُ
ونَجَّى حُبَيْشاً مُلْهِبٌ ذُو عُلالــةٍ وقــد جُذَّ من يُمنى يدَيْهِ الأصابعُ[5]
وقد شَهِد الصَّفَّين عمرُو بنُ مُحرِزٍ فضاق عليــه المَرْجُ والمرجُ واسِعُ

وقال رجل من بني عُذْرة : [من الرجز]

سائِل بَنــي مَرْوان أهــلَ العَجِّ رَهْــطَ النَّبــيِّ ووُلاة الحَــجِّ[6]
عنّا وعن قَيْسٍ غَــداةَ المَرْجِ إذ يُثْقِفُــون ثَقَفــاً بِنَــجِّ[7]
تَسْدِيسَ أطْرافِ القَنا المُعوَجِّ إذ أخلَف الضَّحَّاكَ ما يُرَجِّي
مُذ تَركوا من بَعْد طول هَرْجِ لَحمَ ابنِ قيسٍ للضِّباعِ العُرْجِ

وقال جَوَّاس بنُ القَعْطل الكلابيُّ في يوم المَرج : [من الوافر]

هُــمُ قَتلُــوا براهِطَ جدَّ قَيْس سُلَيْما والقبائــلَ مــن كلابِ

---

1 الطبري : لحسان صدعاً .
2 الطبري : أبعد ابن عمر وابن معن تتابعا ومصرع همام أمنّى الأمانيا
3 الطبري والمرزباني : الأبيات لجواس بن القعطل .
4 الطبري والمرزباني : معذوراً وتبكي .
5 الملهب : الفرس الشديد الجري المثير للغبار . والعلالة : الجرية الثانية للفرس . وجذّ : قطع .
6 العج : رفع الصوت .
7 يثقفون : يطعنون . والنج : سيل الجرح .

وهـم قَتَلُوا بَني بَـدْر وعَبْساً ... وأُلصِقَ حُرُّ وَجْهك بالتُّرابِ
تَذكَّرتَ الذُّحول فلن تُقَضَّى ... ذحولُكَ أو تُساقَ إلى الحِسابِ[1]
إذا سارتْ قبائـلُ من جَناب ... وعوفٍ أَشْحنوا شُمَّ الهضابِ[2]
وقـد حاربْتَنا فوجَدْتَ حَرْباً ... تُغصِّك حين تشرَب بالشَّرابِ

فأَقبل عُمَير يخطُر، فخرج من قَرْقِيسيا يتطرَّف بوادي كلب، فيُغِير عليها وعلى مَن أَصاب من قضاعة وأهلِ اليَمن، ويخصّ كَلْباً ومَعْشَر تَغْلب، قبل أن تقع الحرب بين قَيْس وتَغْلِب، فجعل أَهلُ البادِيَة ينتصِفون من أهل القَرار[3] كلّهم. فلمّا رأتْ كلبٌ ما لَقي أصحابُهم، وأنّهم لا يَمتنِعون من خَيْل الحاضرة، اجتمعوا إلى حُمَيد بن حُرَيث بنِ بَحْدل، فسار بهم حتى نزل تَدْمر، وبه بنو نُمَير، وقد كان بين النُّمَيْرِيِّين خاصة وبين الكلبيِّين الذين بتَدْمر عقدٌ مع ابن بَحْدل بن بعّاج الكلْبيّ. فأَرسلت بنو نُمَيْر رُسُلاً إلى حُمَيد يناشِدُونه الحرمة، فوثب عليهم ابن بعّاج الكلبيّ فذبَحهم، وأرسلوا إليهم: إنّا قد قَطَعنا الذي بيننا وبينكم، فالْحقُوا بما يَسَعُكم من الأرض، فالتقوا فقتِل ابن بعّاج وظُفِر بالنُّمَيْرِيِّين فقتِلوا قتلاً ذَريعاً وأُسِرُوا، فقال راعي الإبل في قتل ابن بعَّاج ولم يذكُر غيرَه من الكلبيِّين[4]: [من الطويل]

تَجِيءُ ابنَ بَعَّاج نُسورٌ كأَنَّها ... مجالِسُ تَبغي بيعةً عنـد تاجرِ
تُطِيـف بكَلْبِيٍّ عليـه جَدِيَّـةٌ ... طويل القَرا يقذِفْنَه في الحَناجرِ[5]
يقولُ لـه مَنْ كان يَعْلَم عِلمَه ... كذاكَ انْتِقام للهِ من كُلِّ فاجرِ

وقـد كان زُفـرُ بـن الحـارِث لمَّا أغـار عُمَير بنُ الحباب على الكَلبيِّين قـال يُعيِّرهـم بقولـه: [من الكامل]

يا كلبُ قد كَلِب الزَّمان عليكُمُ ... وأَصابكم منِّـي عَـذابٌ مُرسلُ
إنّ السَّماوةَ لا سَمـاوةَ فالْحقـي ... بمنابت الزَّيتُـون وابنَـيْ بَحْدَلِ[6]
وبـأَرض عَـكٍّ والسَّواحلِ إنّها ... أَرضٌ تُـذَوَّب باللِّقـاحِ وتُهزَلُ

1 الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر.
2 أشحنوا: ملأوا.
3 أهل القرار: الحضر.
4 ديوان الراعي النميري (ڤايبرت): 131.
5 الجدية: الدم الذي لزق بالجسد. والقرا: الظهر.
6 في البيت إقواء. وانظر أنساب الأشراف 5: 308. والسماوة: ماء لبني كلب بين الكوفة والشام.

[غارة مضادة على بوادي قيس]

فجمع لهم حُمَيْد بنُ الحُرَيث بن بَحْدل ، ثم خرج يُريد الغارة على بوادي قَيس ، فانْتهى إلى ماءٍ لبني تَغْلب ، فإذا النِّساء والصِّبيان يبكون ، فقالت لهم النساء ، وهن يحسبنهم قيساً : وَيْحَكم ، ما ردَّكُم إلينا ، فقد فعلتم بنا بأمسِ ما فعلتم ؟ فقالت لهم كلب : وما لكم ؟ قالوا أغار علينا بالأمس عُمَير بنُ الحباب ، فقتل رجالنا ، واستاق أموالَنا ، ولم يَشككن أنَّ الخيلَ خَيلُ قَيس وأنَّ عُميراً عاد إليهن . فقال بعضُ كلب لحُمَيد ، ما تريد نِسوة قد أُغِير عليهن وحُرِبن ، وصِبْية يتامى ، وتدَعُ عميراً . فاتَّبعوه ، فبينا هم يسيرون إذ أخذوا رجلاً ربيئةً للقوم[1] . فسألوه فقال لهم : هذا الجيش هاهنا والأموال ، وقد خرج عُمَيْر في فوارس يريد الغارة على أهلِ بيت من بني زُهَير بن جَناب ، أخبرَ عنهم مُخبِر . فأقام حُمَيْد حتى جَنَّ عليه اللَّيل ، ثم بَيَّت القومُ بياتاً . وقال حُمَيْد لأصحابِه : شِعارُكم : نحن عباد الله حقّاً . فأصابوا عامة ذلك العَسْكر ، ونجا فيمَن نجا رجلٌ عُرْيان قذف ثوبه وجلس على فرس عُرْيٍ ، فلمّا انتهى إلى عُمَير ، قال عُمَير : قد كنتُ أسمعُ بالنذير العُرْيان[2] فلم أرَه ، فهو هذا ، ويلك ما لَك ! قال : لا أدري غير أنّه لقينا قومٌ فقتلوا من قتلوا وأخذوا العَسْكر ، فقال : أفتعرفهم ؟ قال : لا . فقصد عُمَير القومَ وقال لأصحابه : إن كانت الأعاريبَ فسيُسارعُون إلينا إذا رأوْنا ، وإن كانت خيولُ أهل الشام فستقِف . وأقبل عُمَير ، فقال حُمَيد لأصحابه : لا يتحرَّكَنَّ منكم أحدٌ ، وانصبُوا القَنا ، فحمَل عُمَيْر حملة لم تحرّكهم ، ثم حَمَل فلم يتحرَّكوا ، فنادى مراراً : ويْحَكم مَن أنتم ؟ فلم يتكلَّموا ، فنادى عُمَير أصحابه : ويلكم خيلُ بني بَحْدل والأمانة ؛ وانصرف على حامِيَته ، فحَمَل عليه فوارِسُ من كَلْب يَطلُبونه ، ولَحِقه مولًى لكَلْب يقال له شقرون ، فاطَّعنا ، فجُرِح عُمَيْرٌ وهرَب حتى دخل قَرْقِيسيا إلى زُفَر ، ورجع حُمَيد إلى مَن ظَفر به من الأسْرى والقَتْلى ، فقطع سِبالَهم[3] وأُنُفَهم ، فجعَلها في خَيط ، ثم ذهب بها إلى الشام ؛ وقال قائل : بل بعث بها إلى عُمَير وقال : كيف ترى ؟ أوَقْعي أم وَقْعَك ؟ فقال في ذلك سِنانُ بن جابِرِ الجُهَنيّ : [من الطويل]

لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بَحْدلٍ حُمَيْداً شَفى كَلْباً فقرَّتْ عُيُونُها
وعرَّف قَيْساً بالهوانِ ولم تكُنْ لتَنْزِع إلاّ عند أمرٍ يُهِينُها

---

1 ربيئة : كشاف متقدم .

2 المثل : «أنا النذير العريان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخرة : 84 .

3 السبال : جمع سبلة ، وهي الدائرة على الشفة العليا ، وقيل ما على الشاربين من الشعر .

فقلتُ لـه : قَيسُ بنُ عَيْلان إنَّه سريعٌ ، إذا ما عَضَّت الحربُ ، لِينُها
سما بالعِتاقِ الجُرْد من مَرْج راهطٍ وتَدْمُرَ يَنْوِي بَذْلَهـا لا يَصونُها
فكان لهـا عَـرضُ السَّماوةِ لَيْلَةً سَواءٌ عليهـا سَهْلُهـا وحُزونُها
فمَنْ يَحْتَمِلُ في شأنِ كَلْبٍ ضَغِينةً علينا إذا ما حانَ في الحَرْبِ حِينُها
فإنّا وكَلْباً كاليديـن متى تَضَعْ شِمالك في شيءٍ تُعِنْهـا يَمِينُها
لقد تُرِكَتْ قَتْلى حُمَيدِ بنِ بَحْدلٍ كثيراً ضواحِيهـا قليـلاً دَفِينُها
وقَيْسِيَّةٍ قـد طَلَّقتْهـا رِماحُنـا تلفَّـتُ كالصَّيداء أُودى جَنينُها[1]

وقال سِنانٌ أيضاً في هذا الأمر بعد ما أوقعَ ببني فَزارة : [من البسيط]

يـا أُختَ قَيْسٍ سَلي عنّا علانِيَةً كي تُخبَري من بَيانِ العِلْمِ تِبْيانا
إنَّا ذَوُو حَسَبٍ مـالٍ ومَكْرُمَةٍ يـومَ الفَخارِ وخَيْرُ النَّاسِ فُرْسانا
منّا ابنُ مُرَّة عَمْرٌو قد سَمِعْتِ به غَيْثُ الأَرامِلِ لا يُردَينَ مـا كانا
والبَحْـدَليُّ الـذي أردت فوارِسُه قيساً غَداةَ اللّوى من رمل عَدْنانا
فغـادرت حَلْبَساً منهـا بمُعْتَرَكٍ والجعـدَ مُنعَفِراً لم يُكْسَ أكفانا
كائِن تَركْنا غداةَ العاهِ من جَزَرٍ للطير منهـم ومن ثَكْلى وثَكلانا[2]
ومن غوانٍ تُبكّـي لا حَميمَ لها بالعاهِ تدعو بنـي عَـمٍّ وإخوانا

فلمّا انتهى الخبر إلى عبد المَلِك بن مروان ، وعبدُ الله ومُصعبٌ يومئذٍ حيّان ، وعند عبد الملك حسَّانُ بن مالِك بن بَحْدل وعبدُ الله بن مسعَدة بن حَكَم الفزاريّ ، وجيء بالطَّعام ، فقال عبدُ المَلِك لابن مَسْعَدة : ادْنُ ، فقال ابنُ مَسْعَدة : لا والله ، لقد أوقع حُمَيْد بسُلَيْم وعامِرٍ وقعة لا ينفعني بعدها طعامٌ حتى يكون لها غِيَرٌ . فقال له حَسَّان : أجزعْت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطَّاعة والمَعْصِية ، فأصَبْنا منكم يوم المرج ، وأغار أهلُ قَرْقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب ؟ فلمّا رأى حُمَيد ذلك طلب بثأر قومه ، فأصاب بعضَ ما أصابهم ، فجَزعت من ذلك . وبلغَ حُمَيْداً قولُ ابن مَسْعدة فقال : والله لأشْغلَنَّه بمَن هو أَقرب إليه من سُلَيم وعامر .

[عويف القوافي يحزن لقتلى فزارة]

فخرج حُمَيْد في نحوٍ من مائتيّ فارِس ، ومعه رَجلان من كَلْب دليلان ، حتى انتهى إلى

---

1 الصيداء : المائلة العنق .

2 العاه : جبل بأرض فزارة . قال ياقوت : العاه هو الموضع الذي أوقع فيه حميد بن بحدل ببني فزارة .

بني فزارَةَ أهلِ العمودِ لخَمْس عشرة مَضَت من شَهْر رمضان ، فقال : بعثني عبد الملك ابن مروان مُصدِّقاً : فابعثوا إلى كلّ مَنْ يُطيق أن يلقانا ، ففعلوا ، فَقَتلهم أو مَنِ استطاعَ منهم ، وأخذَ أموالَهم ، فبَلَغ قتلاهم نحواً من مائةٍ ونيِّف ، فقال عُوَيْف القوافي[1] : [من الطويل]

مَنا اللهُ أن ألقى حُمَيْد بنَ بَحْدل بمنزلة فيها إلى النّصفِ مُعْلَما[2]

لكيما نُعاطِيه ونَبلوَ بيننا سُرَيْجيَّةً يُعجِمن في الهام مُعجما[3]

ألا ليت أنّي صادفَتْني مَنِيَّتي ولَم أرَ قَتْلى العامِ يا أُمَّ أسْلَما

ولَم أرَ قتلى لم تَدَع لي بعدَها يَدَيْن فما أرجو من العيشِ أجذَما

وأُقْسِم ما لَيثٌ بخَفَّان خادِرٌ بأشجع من جَعْدٍ جَناناً ومُقدَما[4]

يعني الجَعْدَ بن عِمرانَ بن عُيَيْنة وقتِل يومئذٍ .

[أسماء بن خارجة يشكو حميداً]

فلمّا رجع عبدُ الملك من الكُوفة وقُتِل مُصعَب ، لحقه أسماءُ بن خارجة بالنُّخَيلة ، فكلَّمه فيما أتى حُمَيْد به إلى أهلِ العمود من فَزارة ، وقال : حدَّثنا أنّه مصدِّقك وعامِلك ، فأجبناك وبكَ عُذنا ، فعليك وفي ذمّتك ما على الحرِّ في ذِمَّته ، فأقِدْنا من قضاعيٍّ سِكِّير . فأبى عبد الملِك وقال : أنظر في ذلك وأستشير . وحُمَيْد يَجْحد وليست لهم بيِّنة ؛ فودَاهم ألفَ ألفَ ومائتي ألف ، وقال : إنّي حاسِبُها في أعطياتِ قُضاعة ، فقال في ذلك عَمْرُو بنُ مِخْلاة الكَلْبيّ : [من الوافر]

صوت

خُذوها يا بَني ذُبْيان عَقْلا على الأجيادِ واعتَقِدوا الخِداما[5]

دراهِمَ من بني مَرْوان بيضا يُنَجِّمها لكم عاما فعاما

وأيقَنَ أنَّه يومٌ طويل على قَيْسٍ يُذيقُهمُ السِّماما

ومُخْتَبٌ أمام القومِ يَسْعى كسِرحانِ التَّنُوفَةِ حين ساما[6]

---

1 شعره : 152 (عن الأغاني) .

2 منا الله : قدّر .

3 السريجية : نوع من السيوف .

4 من المثل : أشجع من ليث بخفان خادر .

5 اعتقد الشيء : عقده . الخدام : جمع خدمة ، وهي السير الغليظ يشد في رسغ البعير .

6 مختب : مسرع . والتنوفة : الأرض الواسعة أو الصحراء .

رأى شَخْصاً على بلـدٍ بَعيدٍ ... فكبَّـر حـين أبصَـره وقاما
وأقبــلَ يسأَلُ البُشْرى إلينـا ... فقـال : رأيتُ إنساً أو نعاما
وقال لخَيْلِـه سيري حُمَيْـد ... فإنَّ لكُـلِّ ذي أَجَلٍ حِماما
فمـا لاقيتُ من سجح وبدر ... ومُـرَّة فاتركي حَطباً حُطاما
بكـلِّ مُقلَّـص عَبْـلٍ شَواه ... يَـدُقُّ بِوقْـع نابَيْـه اللِّجاما
وكلّ طِمِـرَّةٍ مَرطـى سَبوحٍ ... إذا مـا شَدَّ فارِسُها الحِزاما[1]
وقائِلَـةٍ على دَهَشٍ وحُـزْنٍ ... وقـد بَلَّـت مدامِعُها اللِّثاما
كأَنَّ بَنـي فَزارةَ لم يكونوا ... ولم يَرْعَـوْا بأَرْضِهِـم الثُّماما
ولَـم أَرَ حاضراً منهـم بِشاءٍ ... ولا مَـنْ يملِك النَّعَم الرُّكاما[2]

[انتقام فزارة]

قال : فلمّا أُخذوا الدِّيَة انطلقت فَزارةُ فاشترت خَيْلاً وسِلاحاً ، ثم استَتْبَعت سائرَ قبائل قيس ، ثم أغارت على ماءٍ يدعى بناتِ قَيْن ، يجمع بُطوناً من بُطون كَلب كثيرة وأكثرُ مَنْ عليه بنو عَبْدِ وُدٍّ وبنو عُلَيم بن جناب ، وعلى قَيس يومئذٍ سعيد بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، وحَلْحَلَة بن قيس بن الأشْيَم بن يسار أحدُ بني العُشَراء . فلمّا أاغاروا نادَوا بني عُلَيم : إنّا لا نَطْلُبكم بشيء ، وإنّما نطلُب بني عَبْد وُدّ بما صَنَع الدَّليـلان اللّذان حَمَلا حُمَيْداً ، وهما المأمورُ ورجُل آخر اسْمُه أبو أيُّوب . فقُتِل من العَبْدِيّين تسعةَ عشر رجلاً ، ثم مالوا على العُلَيْمِيِّين فقتلوا منهم خمسين رجلاً ، وساقوا أموالاً .

[عبد الملك يعرض الدية]

فبلغ الخبرُ عبدَ الملك ، فأَمهَل حتى إذا وَلِيَ الحَجَّاجُ العِراقَ كتَب إليه يَبْعث إليه سَعِيدَ بن عُيَيْنة وحَلْحَلة بن قيس ومعهما نفر من الحرس . فلمّا قَدِم بهما عليه قذفهما في السِّجن وقال لِكَلْب : والله لئن قَتَلتم رجلاً لأُهَرِيقَنَّ دماءَكم . فقدِم عليه من بني عَبْدِ وُدّ عياضٌ ومُعاويةُ ابنا ورد ، ونُعمان بنُ سويد ، وكان سُوَيد أبوه ابن مالك يومئذٍ أشرفَ مَن قتِل يوم بنات قَيْن ، وكان شيخَ بني عَبْدِ وُدّ . فقال له النُّعمان : دماءنا يا أميرَ المؤمنين ! فقال له عبدُ الملك : إنّما قُتِل منكم الصَّبيُّ الصَّغيرُ والشيخُ الفاني . فقال النُّعمان : قُتِل منّا والله مَنْ لو كان أخاً لأبيك لاخْتِير عليك في الخِلافة . فغَضِب عبدُ الملك غضَباً شديداً ، فقال له معاويةُ وعياض : يا أمير

1 المرطى : الخفيف شعر الجسم .

2 النعم الركام : النعم الضخم .

المؤمنين ، شَيخ كَبير مَوْتور .

فأعرضَ عنه عبدُ الملك وعَرضَ الدِّيَة ، وجعل خالِدُ بنُ يزيد بن معاوية ومن وَلدَتْه كلب يقولون : القَتْل ، ومَن كانت أُمُّه قَيْسيَّة من بني أُميَّة يقولون : لا ، بلِ الدِّيَة كما فُعِل بالقوم ، حتى ارتفع الكلام بينهم بالمَقْصُورة . فأخرجَهم عبد الملك ودفع حَلْحَلة إلى بعض بني عَبْدِ وُدّ ، ودفع سَعِيدَ بنَ عُيينة إلى بعض بني عُلَيم ، وأقبل عليهما عبدُ الملك فقال : ألم تأتياني تستعدِياني فأعدَيتكما واعطيتكما الدِّيَةَ ، ثم انطلقتما فأخفَرتما ذِمَّتي وصنَعْتما ما صنَعْتما . فكَلَّمه سعيد بكلام يستعْطِفه به ويُرققه ، فضرب حَلْحلة صَدْرَه وقال : أترى خضوعَك لابنِ الزَّرقاء نافعَك عنده ؟ فغَضِب عبدُ الملك وقال : اصبر حَلْحَلَة ، فقال له : أصبرُ من عَوْدٍ بجَنْبَيْه جُلَب[1] فقتِلا وشَقَّ ذلك على قَيْس ، وأعظَمه أهلُ البادِية منهم والحاضرَة ، فقال في ذلك عليُّ بنُ الغدير الغَنَويّ : [من الوافر]

لِحَلْحَلَةَ القَتيلِ ولابنِ بدْر ... وأهلِ دِمَشْقَ أَنْجِبَةٌ تَبِينُ

فَبَعْدَ اليَوْم أَيّامٌ طِوالٌ ... وبعد خمودِ فتْنَتِكم فُتونُ

وكلُّ صَنِيعةٍ رصدٌ ليومٍ ... تحُلّ به لصاحِبِها الزّبونُ

خليفة أُمَّةٍ قُسِرت عليه ... تخمَّط واستخفَّ بمَنْ يدينُ[2]

فقد أتيا حُمَيْد ابن المَنايا ... وكُلُّ فَتًى ستَشْعَبه المَنُونُ

وقال رجل من بني عبد وُدّ : [من الطويل]

نحن قَتَلْنا سَيِّدَيْهم بشَيْخِنا ... سُوَيدٍ فما كانا وفاءً به دَما

وقال حَلْحَلُة وهو في السّجن : [من الطويل]

لعَمْري لئن شَيْخا فَزارَة أُسلِما ... لقد خَزِيت قَيْسٌ وما ظَفِرت كَلْبُ

وقال أَرطاةُ بنُ سُهَيَّة يُحرِّض قَيْساً : [من الوافر]

أَيُقتَلُ شَيخُنا ويُرى حُمَيْدٌ ... رَخيّ البالِ مُنتَشِياً خُمورَا[3]

فإن دُمنا بذاكَ وطالَ عُمْر ... بِنا وبكمُ ولم نَسْمع نَكيرا

فناكَتْ أُمَّها قيسٌ جِهاراً ... وعَضَّت بعدَها مُضَرُ الأُيُورا

---

1 المثل «أصبر من عود بدفيه (بجنبيه) جلب» في الدرة الفاخرة : 269 وجمهرة العسكري 1 : 587 ومجمع الميداني 1 : 408 ومستقصى الزمخشري 1 : 203 ، والجلب : جمع جلبة ، وهي القرحة عليها قشر البُرء .

2 تخمط : تكبر .

3 منتشياً في ل : مستبياً .

وقالت عميرة بنت حَسَّان الكَلبيَّة تفخر بفِعل حُمَيد في قيس : [من الوافر]

سَمَت كلبٌ إلى قَيْسٍ بجَمْعٍ يَهُدّ مناكِبَ الأُكَم الصِّعابِ
بذي لَجَبٍ يدُقُّ الأرضَ حتى تَضايق من دعا بِهَلا وهابِ[1]
نَفَين إلى الجزيرة فَلَّ قيْسٍ إلى بَقٍّ بها وإلى ذُبابِ[2]
وألفَينا هَجِينَ بني سُلَيْم يُفدِّي المُهرَ من حُبِّ الإيابِ
فلولا عَدْوة المُهْرِ المُفدّى لأُبْتَ وأنتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ
ونَجّاه حَثيثُ الرَّكْض منا أُصَيْلاناً ولَونُ الوَجْه كابي
وآض كأنّه يُطلى بوَرْسٍ وذاقَ هُوِيَّ كاسِرةٍ عُقابِ
حَمِدت اللهَ إذ لَقّى سُلَيْماً على دُهْمان صَقْرٍ بَني جَنابِ
تركن الرُّوقَ من فَتَياتِ قَيْس أيامَى قد يَئِسن من الخِضابِ[3]
فهُنَّ إذا ذَكَرنَ حُمَيْد كَلْب نَعقْنَ برَنَّةٍ بعد انْتِحابِ
متى تَذْكُر فتى كَلْبٍ حُمَيْداً تَرَ القَيْسيّ يشرَقُ بالشَّرابِ

[عويف يمدح عيينة بن أسماء]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أُخبرني عبد الرحمن ابن أُخي الأصمعيٍّ ، عن عمِّه ، قال : أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي ، وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاريّ ، وكانت أخته عند عُيَيْنَة بن أسماء بن خارجة فطلَّقها ، فكان عويف مُراغِماً لعيينة وقال : الحرّة لا تُطلّق بغير ما بأس ، فلمّا حَبَس الحجّاج عُيَيْنة وقَيَّده قال عُوَيف[4] : [من الكامل]

مَنَع الرُّقادَ ، فما يُحَسُّ رُقادُ ، خَبرٌ أتاك ونامت العُوّادُ
خَبرٌ أتاني عن عُيَيْنة مُوجِعٌ وَلِمِثْلِه تَتَصدَّع الأكبادُ
بلغ النفوسَ بلاؤها فكأنّنا مَوتى وفينا الرُّوحُ والأجسادُ
ساءَ الأقاربَ يوم ذاك فأصبَحوا بهجينَ قد سُرّوا به الحُسَّادُ[5]

---

1 هلا زجر للخيل ، وهاب : زجر للإبل عند السوق .
2 بق : مدينة على الفرات . وذباب : جبل بالمدينة .
3 الروق : الجميلات .
4 شعره : 143–144 ، وانظر اختلاف الرواية في الحماسة (المرزوقي) : 262–264 .
5 هجين : موضع .

يرجون عَثْرة جَدِّنا ولو انّهم ... لا يدفعون بنا المكارهَ بادُوا
لَمّا أتاني عن عُيَينة أنَّه ... عانٍ تَظاهَرُ فوقه الأقيادُ
نَخَلتْ له نَفْسي النَّصيحَةَ إنّه ... عند الشَّدائِد تَذْهَب الأحْقادُ[1]
وذَكرتُ أيُّ فتًى يَسُدُّ مكانَه ... بالرِّفدِ حين تَقاصرُ الأرفادُ
أم مَنْ يُهِينَ لنا كَرائمَ مالِه ... ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ
لو كان من حَضَنٍ تَضاءَل رُكنُه ... أو من نَضادَ بكت عليه نَضادُ[2]

[يمدح عبد الرحمن بن مروان]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شَبَّة قال : قال العُتْبيّ، سأل عُوَيْف القوافي في حمالةٍ ، فمرَّ به عبدُ الرَّحمن بنُ محمد بن مروان وهو حديث السِّنّ ، فقال له : لا تسأل أحداً وصر إليَّ أكْفِك . فأتاه فاحتملها جَمْعاء له ، فقال عُوَيف يمدحه : [من الطويل]

غلامٌ رماه اللهُ بالخيرِ يافِعاً ... له سِيمياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ
كأنَّ الثُّريّا عُلِّقت في جَبِينِه ... وفي خَدِّه الشِّعْرى وفي جيده القَمَرْ
ولَمّا رَأى المجدَ استُعِيرت ثيابُه ... تَردَّى رِداءً واسعَ الذَّيلِ واتّزرْ
إذا قيلَت العَوراءُ أغْضى كأنّه ... ذَليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاءَ لانْتَصَرْ[3]
رآني فآساني ولو ضنَّ لم أُلُم ... على حينَ لا بادٍ يُرجَّى ولا حَضَرْ

قال أبو زيد : هذه الأبياتُ لابن عَنْقاء الفَزاريّ ، يقولها في ابن أخ له ، كان قوم من العرب أغاروا على نَعَم ابن عنقاء فاستاقُوها ، حتى لم يَبْقَ له منها شيءٌ ، فأتى ابنَ أخيه فقال له : يا ابنَ أخي ، إنّه قد نزل بعَمِّك ما ترى ، فهل من حَلُوبة ؟ قال : نعم يا عَمّ ، يرُوحُ المالُ وأبلُغ مُرادَك . فلمّا راح مالُه قاسَمَه إيّاه وأعطاه شطره ، فقال ابن عنقاء : [من الطويل]

رآني على ما بي عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالي أسرَّ كما جَهَرْ

وذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات . قال أبو زيد : وإنّما تَمثَّلها عُوَيْف .

[يرثي سليمان ويمدح عمر]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع ، والحَسَن بنُ عليّ قالا : حدَّثنا الغلابيّ ، قالا : حدَّثنا محمد بن عُبيد الله ، عن عطاء بن مُصْعَب ، عن عاصم بن الحَدَثان ، قال : لمّا مات

1 نخلت النصيحة : أخلصت .
2 حضن : جبل بأعلى نجد . ونضاد : جبل بالعالية .
3 ل : ولّى كأنّه .

سليمان بن عبد الملك ووَلِيَ عمرُ بنُ عبد العزيز الخِلافَة ، وفَد إليه عُوَيْف القوافي وقال شِعراً رَثى به سُليمان ومَدح عُمَر فيه ، فلمّا دخل إليه أنشدَه[1] : [من الرجز]

لاحَ سحابٌ فرأينا برقَهُ ثم تدانى فَسَمِعْنا صَعْقَهُ
وراحت الرِّيحُ تُزَجِّي بُلقَهُ ودُهْمَه ثم تُزَجِّي وُرْقَهُ[2]
ذاك سَقى قَبْراً فَرَوَّى وَدْقَهُ قبرَ امرىءٍ عَظَّم ربِّي حَقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذي من عَقّهُ وجَحَد الخير الذي قد بَقَّهُ[3]
في المسلمين جِلّه ودِقّهُ فارق في الجحود مِنه صِدْقَهُ
قد ابتلى اللهُ بخيرٍ خلقَهُ أَلْقى إلى خير قريش وَسْقَهُ
يا عُمرَ الخَيْرِ المُلَقّى وَفْقَهُ سُمِّيت بالفاروق فافرُقْ فَرْقَهُ
وارزُق عِيالَ المُسْلِمِين رِزْقَهُ واقْصِد إلى الجُودِ ولا تَوقَّهُ
بَحرُك عَذْبُ الماء ما أَعقَّهُ ربُّك فالمَحْرومِ مَنْ لم يُسْقَهُ[4]

فقال له عمر : لَسْنا من الشِّعر في شيء ، ومالَكَ في بيت المال حقّ . فأَلَحَّ عُوَيْف يسألُه فقال : يا مُزاحم ، انظُر فيما بقي من أرزاقنا فشاطِرْه إيّاه ، ولنَصْبر على الضِّيق إلى وقتِ العطاء . فقال له عبدُ الرَّحمن بنُ سليمان بن عبد الملك : بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليّ رِضا الرَّجُل ، فقال : ما أولاكَ بذلك . فأَخذ بيده وانْصرَف به إلى منزله ، وأعطاهُ حتى رضي .

صوت

[من الكامل]

صَفراءُ يَطْويها الضَّجيعُ لصُلْبِها طيَّ الحِمالَةِ لَيِّنٌ مَتْناها
نِعْمَ الضَّجيعُ إذا النُّجوم تَغَوَّرت بالغَوْر أُولاها على أُخْراها
عَذْبٌ مُقبَّلُها وَثِيرٌ رِدْفُها عَبْلٌ شَواها طَيِّبٌ مَجْناها
يا دارَ صَهْباء التي لا أَنْتَهي عن حُبِّها أبداً ولا أَنْساها[5]

الشعر لعبدِ الله بن جَحْش الصعاليك ، والغناءُ فيه لعليّ بن هشام ثقيل أوّل بالوسطى من كتاب أحمد بن المكّيّ .

---

1 شعره : 148–150 .
2 البلق : كل لون يخالطه بياض . والأورق : لون بين الخضرة والسواد .
3 بقه : فرّق .
4 ما أعقه : قال المبرد : مقلوب ما أقعه ، أي ما جعله شديد الملوحة .
5 صهباء في ل : صفراء .

[405] ـ أخبار عبد الله بن جحش

[هيامه بصهباء]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى أبو غسّان ، عن غسّان بن عبد الحميد قال : كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها : صَهْباء من أحسن الناس وَجْهاً ، وكانت من هُذَيل ، فتزوَّجها ابنُ عمٍّ لها ، فمكث حيناً معها لا يَقدِر عليها من شدّة ارْتِتاقها ، فأبغضته وطالبته بالطلاق ، فطلَّقها . ثم أصابَ الناسَ مَطَرٌ شديدٌ في الخريف ، فسال العَقيقُ سَيْلاً عظيماً ، وخرج أهلُ المدينة ، وخرجَتْ صهباءُ معهم ، فصادفت عبد الله بن جَحش وأصحابَه في نُزهة ، فرآها وافْترقا .

ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعَت في الماء وقد تفرَّق الناس وخفُّوا ، فاجتاز بها ابنُ جَحْش فرآها فتَهالك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأةٌ تَدُلّ على النِّساء يقال لها : قُطْنة ، كانت تداخِل القُرَشِيَّات وغيرَهنّ ؛ فلَقِيَها ابن جحش فقال لها : اخْطُبي عَلَيَّ صهباء ، فقالت : قد خَطَبها عيسى بن طلحة بن عُبيد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ؛ فشتمها ابن جَحْش وقال لها : كُلُّ مملوك له فهو حرٌّ ، لئن لم تحتالي فيها حتى أتزوَّجها لأضْرِبَنّك بالسيف ، وكان مِقداماً جَسُوراً ، ففَرِقت منه فدخلت على صهباء وأهلِها ، فتحدَّثت معهم ، ثم ذَكَرت ابنَ عَمِّها ، فقالت لعَمَّة صَهْباء : ما بالُه فارقها ، فأخبرتْها خبرَها ، وقالت : لم يقدِر عليها وعَجَز عنها . فقالت لها ، وأسمعت صَهْباء : إنّ هذا ليَعْتَري كثيراً من الرجال فلا ينبغي أن تتقدَّموا في أمرِها إلاّ على مَنْ تختَبرونه ، وأما والله لو كان ابنُ جحش لصَهباء لثقَبها ثقبَ اللُّؤلُؤ ولو رُتِقت بحَجَر ؛ ثم خرجت من عندهم ، فأرسَلَت إليها صَهْباء : مُرِي ابنَ جَحْش فليَخْطُبني ، فلقِيَتْه قُطْنة فأخبرته الخبر . فمضى فخطبها ، فأنْعَمَتْ له[1] ، وأبى أهلُها إلاّ عيسى بنَ طلحة ، وأبَت هي إلاّ ابن جَحْش ، فتزوَّجته ودخلَ بها وافتضَّها ، وأحبَّ كُلّ واحدْ منهما صاحبَه فقال فيها : [من الكامل]

نِعْمَ الضَّجيعُ إذا النُّجوم تَغوَّرت ... بالغَوْرِ أُولاها على أُخراها
عَذْبٌ مُقبَّلُها وثيرٌ رِدْفُها ... عَبْلٌ شَواها طَيِّب مَجْناها

1 أنعمت له : قالت نعم .

صفراءُ يَطويهـا الضَّجيعُ لِجَنْبِها | طَـيَّ الحِمالـة لَيِّـن مَتْناها
لـو يَسْتطيع ضجيعُهـا لأَجنّها | في الجَوْفِ حبّ نسيمها ونشاها[1]
يـا دار صَهباء التـي لا أَنتهـي | عـن ذكرهـا أَبداً ولا أَنْساها

[عبد الملك يعجب بشعره]

أَخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سَعد قال : حدَّثني عبدُ الرَّحيم بن أحمد بنِ زيد بن الفرج قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : كان عبد الملك بن مروان مُعجَباً بشِعر عبد الله بن جَحْش ، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه ، فورَد كِتابُه وقد تُوفِّي ، فقال إخوانُه لابنه : لو شَخَصتَ إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعلَّه كان ينفعُك ، ففعل . فبَيْنا هو في طريقِه إذ ضاع منه كِتابُ الإذنِ ، فهَمَّ بالرّجوع ، ثم مضى لوجهه . فلمّا قَدِم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبرَه بوفاتِه ، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له : أنشِدني قول أبيك : [من المنسرح]

صوت

هـل يُبلِغَنْهـا السلامَ أَربعةٌ | مِنّـي وإن يَفعلوا فقـد نَفَعُوا
على مِصَكّيْن مـن جِمالهـمُ | وَعَنْتَرِيسَين فيهمـا سَطَـعُ[2]
قَـرَّب جيرانُنـا جِمالَهـمُ | صُبحاً فأَضْحَوا بها قد انْتَجَعُوا
ما كنتُ أَدْري بِوَشْك بَيْنِهمُ | حتى رأَيتُ الحُـداةَ قد طَلَعوا
قد كادَ قَلْبي ، والعينُ تُبْصرهم | لمّا تَوَلَّى بالقـوم ، يَنْصدِعُ
ساروا وخُلِّفـتُ بعدهـم دَنِفاً | أَليسَ بـالله بِئْسَ مـا صَنَعوا

قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤْمنين ما أرويهِ ، قال : لا عليكَ ، فأنشدني قولَ أبيك : [من الوافر]

صوت

أَجـدّ اليـوم جيرتُك الغِيارا | رَواحـاً أَم أَرادوه ابتِكـارا
بعينِك كان ذاك وإن يَبِينـوا | يَزِدْك البَينُ صَدْعـاً مُسْتَطارا
بَلى أَبقَت مـن الجيرانِ عندي | أُناساً مـا أُوافِقُهـم كُثارا

1 النشا : نسيم الريح الطيبة .
2 المصك : القوي . والعنتريس : الناقة القوية الغليظة . والسطع : طول العنق .

ومـاذا كَثْرةُ الجيرانِ تُغنـي إذا مـا بـان مَنْ أهوى فسارا

قال : لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين ، قال : ولا عليك ، فأنشدني قولَ أبيك : [من السريع]

دارٌ لصَهْباء التـي لا يَنْثَني عن ذِكرها قلبي ولا أنساها
صفراءُ يطويها الضَّجيعُ لصُلْبها طَـيّ الحمالـة ليِّن مَتْناها
لـو يَستطيع ضَجيعُها لأجنّها في القلبِ شَهْوةَ ريحِها ونَشاها

قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، ما أرويه ، وإنّ صهباء هذه لأُمّي ، قال : ولا عليك ، قد يُبغِض الرجلُ أن يُشَبَّب بأُمّه ، ولكن إذا نَسَب بها غيرُ أبيه ، فأفٍّ لك ! ورَحِم اللهُ أباك ، فقد ضَيَّعتَ أدبَه وعقَقْته ؛ إذ لم تَرْوِ شعرَه . اخرُجْ فلا شيء لك عندنا .

صوت[1]

[من الطويل]

أماطَـتْ كِساءَ الخزّ عن حُرِّ وَجْهها وأَدنَـتْ على الخَدَّيـن بُـرْداً مُهَلْهَلا
مـن الـلاّء لم يَحجُجْنَ يَبْغِين حِسْبَةً ولكـن يُقَتِّلـن البـريءَ المُغفَّـلا
رأتْني خَضيبَ الرّأسِ شمَّرتُ مِئْزري وقـد عَهِدتْنـي أَسوَدَ الرّأْسِ مُسبِـلا
خَطُوّاً إلى اللذّاتِ أُجـرِرْتُ مِئْزَري كإجـرارِك الحَبْـلَ الجواد المُحَجَّلا[2]
صَريعَ الهَـوى لا يبرَحُ الحبُّ قائِدي بشَرّ فلم أعـدِل عـن الشَّرِّ مَعْدلا
لَدى الجَمْرة القُصْوى فريعَت وهَلَّلت ومَنْ رِيـعَ في حَـجٍّ من النّاس هَلَّلا

الشعر للعَرْجِيّ ، والغِناء لعبد الله بنِ العبّاس الرّبيعيّ ثقيل أوّل في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات . وهو من جيّد الغناء وفاخر الصنعة ، ويقال إنّه أوّل غناء صنعه . ولعزار المكّيّ في الثالث وما بعده ثاني ثقيل ، عن يَحيى المكّيّ وغيره ، وفيه خفيف ثقيل يُنسَب إلى معبد وإلى ابن سُرَيج وإلى الغَريض ، وفيه لإبراهيم لَحْن من كتابه غير مجنّس ، وأنا ذاكر هاهنا أخباراً لهذا الشّعر من أخبار العَرْجيّ ؛ إذ كان أكثرُ أخبارِه قد مضى سوى هذه .

1 ديوان العرجي ، 74 .
2 ويروى حطوطاً إلى اللذات أجررت مقودي .

[406] ـ بعض أخبار للعرجيّ

[امرأة لم تحجّ حسبة]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال : حدَّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع ، عن المدائنيّ ، عن عبد الله بن سليم ، قال : قال عبيد الله بن عمر العمريّ : خرجت حاجّاً فرأيتُ امرأةً جميلة تتكلّم بكلامٍ رفَثَت فيه ، فأدنيْتُ ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أَمَةَ الله ، ألستِ حاجَّةً ! أما تخافين الله ، فسفَرت عن وَجْه يَبْهَر الشَّمسَ حُسناً ، ثم قالت : تأمَّلْ يا عمِّي ، فإنِّي مِمَّن عَنى العَرْجيّ بقوله : [من الطويل]

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكن ليَقتُلْنَ البريءَ المُغَفَّلا

قال : فقلتُ لها : فإنِّي أسألُ اللهَ ألاّ يعذِّب هذا الوجْه بالنَّار . قال : وبلغ ذلك سعيدَ بن المُسَيّب فقال : أما واللهِ لو كان من بعض بُغَضاء أهلِ العِراق لقال لها : اعزُبي قبَّحَكِ الله ، ولكنَّه ظَرْف عُبّاد الحِجاز .

وقد رُويت هذه الحكاية عن أبي حازِم بن دينار .

أخبرني به وَكيعٌ قال : حدَّثنا أحمدُ بن زهير ، قال : حدَّثنا مُصعَبٌ الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني عبدُ الرّحمن بن أبي الحسن وقد روى عنه ابنُ أبي ذئْب ، قال : بَيْنا أبو حازِم يَرمي الجمارَ إذا هو بامرأةٍ مُتَشَعْبِذة ، يعني حاسِرة ، فقال لها : أيَّتها المرأةُ استَتري ، فقالت : إنّي والله من اللّواتي قال فيهنّ الشاعِرُ قولَه : [من الطويل]

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكن ليَقتُلْنَ البَريءَ المُغَفَّلا
وترمي بعَيْنَيْها القُلوبَ ولا تَرى لها رَميةً لم تُصمِ منهنّ مَقتَلا

فقال أبو حازم لأصحابه : ادْعُوا اللهَ لهذه الصُّورة الحَسَنة ألاّ يعذّبها بالنار .

وأبو حازم هذا هو أبو حازِم بن دِينار من وُجوه التّابعين ، قد رَوى عن سَهْل بن سَعْد وأبي هُرَيرة ، وروى عنه مالِكٌ وابن أبي ذئب ونظراؤُهما .

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمريّ ، عن العُتبيّ ، عن الحَكَم بن صَخْر قال : انصرفتُ من مِنى فسَمِعت زَفْنا[1] من بعض المَحامِل ، ثم ترنّمت جارية فتغَنَّت : [من الطويل]

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبغِينَ حِسْبَةً ولكــن ليَقْتُلــنَ البرِيءَ المُغَفَّلا

فقلت لها : أهذا مكان هذا يَرحَمُك الله ! فقالت : نعم وإيّاك أن تكونَه .

1 زفن : رقص .

[407] ـ أخبار عبد الله بن العبّاس الربيعي[1]



[نسبه]

عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع ، والرّبيع ، على ما يدَّعيه أَهله ، ابن يونُس بن أَبي فَرْوة ، وقيل إنّه ليس ابنَه ، وآلُ أبي فَرْوة يدفعون ذلك ويزعمون أنّه لقيط ، وُجد منبوذاً ، فكفِله يونُس بن أبي فَروة وربّاه ، فلمّا خَدَم المنصور ادَّعى إليه ، وأخبارُه مذكورة مع أخبارِ ابنِه الفَضْل في شعر يُغنّى به من شِعْر الفضل وهو :

كنتُ صَبّاً وقَلْبيَ اليوم سالي

ويُكنى عبدُ الله بنُ العبّاس أبا العبّاس . وكان شاعِراً مطبوعاً ، ومُغنِّياً مُحْسِناً جيِّدَ الصَّنعة نادرها ، حَسَن الرّواية ، حُلْو الشعر ظرِيفه ، ليس من الشِّعر الجيِّد الجَزْل ولا من المَرْذول ، ولكنّه شِعْر مطبوع ظريف مليح المذهب ، من أشعار المُتْرفين وأولاد النّعم .

حدَّثني أَبو القاسم الشّيربابكيّ ، وكان نديماً لجَدِّي يحيى بن محمد ، عن يحيى بن حازم قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس الربيعيّ قال : دخل محمدُ بن عبد الملك الزيّات على الواثِق وأنا بين يديه أُغنِّيه ، وقد استعادَني صوتاً فاستحسَنه ، فقال له محمدُ بن عبد الملك : هذا واللهِ يا أمير المؤمنين أَولى النّاس بإقبالِك عليه واستِحْسانك له واصطناعك إيّاه ؛ فقال : أجل ، هذا مولاي وابن مولاي وابن مواليّ لا يعرفون غير ذلك ؛ فقال له : ليس كلُّ مَوْلًى ، يا أمير المؤمنين ، بوليٍّ لمواليه ، ولا كُلُّ مولًى متجمِّل بولائِه ، يجمع ما جمع عبدُ الله من ظَرْف وأدب وصِحّة عَقْل وجَوْدة شِعْر ؛ فقال له : صدقتَ يا محمد . فلمّا كان من الغَدِ جِئتُ محمد بن عبد الملك شاكِراً لَمحْضَره ؛ فقلت له في أضعاف كلامي : وأفرَط الوزير ، أعزه الله ، في وصْفي وتقريظي بكُلّ شيءٍ حتى وصَفني بجَوْدة الشِّعْر وليس ذلك عندي ، وإنّما أعبَثُ بالبيتين والثلاثة ، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصِفه الوزير ، ومحلُّه في هذا البابِ المحلُّ الرفيعُ المَشهورُ ؛ فقال : واللهِ يا أخي ، لو عرفْتَ مقدارَ شِعْرِك وقولِك : [من المجتث]

يا شادِناً رام إذ مَرّ في السَّعانين قَتْلي

يقول لي : كَيْفَ أَصْبَحـ ت كيف يُصبحُ مِثْلي

لَما قلتَ هذا القول . والله لو لم يَكُن لك شِعر في عُمْرِك كلّه إلاّ قولك : «كيف يُصبح مِثْلي» لكنتَ شاعراً مُجيداً .

---

1 ترجمة عبد الله بن العبّاس الربيعي في تاريخ بغداد 10 : 36 والوافي بالوفيات 17 : 235–236 .

حدَّثني جَحْظَة قال : حدَّثني أحمدُ بنُ الطَّيِّب قال : حدَّثني حَمَّادُ بنُ إسحاق قال : سمِعتُ عبدَ الله بن العبَّاس الرَّبيعيّ يقول : أنا أوّلُ من غنَّى بالكَنْكلَة[1] في الإسلام ووضَعْتُ هذا الصوتَ عليها[2] : [من المتقارب]

أتاني يُـؤامِرُني في الصَّبو ... حِ ليلاً فقلتُ له : غادِها

[سبب دخوله في الغناء]

حدَّثني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثنا عليٌّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني عبد الله بن العبّاس الربيعيُّ قال : كان سبب دخولي في الغناء وتعلُّمي إيّاه أنّي كنتُ أهوى جاريةً لعمَّتي رُقيّة بنتِ الفَضْل بن الرَّبيع ، فكنتُ لا أقدِر على ملازمتها والجُلوسِ معها خوفاً من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سببَ مَنعي منها ؛ فأظهرتُ لعمَّتي أنّني أشتهي أن أتعلَّم الغناءَ ويكون ذلك في سِتر عن جدِّي ، وكان جدِّي وعمَّتي في حالٍ من الرِّقَّة عليَّ والمحبَّة لي لا نهايةَ وراءَها ، لأنَّ أبي توفّي في حياة جَدِّي الفَضْل ، فقالت : يا بُنَيَّ ، وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شَهْوة غلبت على قلبي إن مُنعْتُ منها مُتُّ غمّاً ، وكان لي في الغناء طبْعٌ قويّ ، فقال لي : أنتَ أعلمُ وما تختاره ، والله ما أُحِبّ منعَك من شيء ، وإنّي لكارهة أن تَحْذِق ذلك وتُشهَر به فتسقط ويفتضِح أبوك وجدُّك ؛ فقلت : لا تخافي ذلك ، فإنما آخُذُ منه مِقْدارَ ما ألْهو به ، ولازَمْتُ الجارية لمحبَّتي إيّاها بعِلَّة الغِناء . فكنتُ آخُذُ عنها وعن صواحباتِها حتى تقدَّمْتُ الجماعة حِذْقاً ، وأَقررْنَ لي بذلك ، وبلغْتُ ما كنتُ أُريد من أمرِ الجارية ، وصِرْت أُلازِم مجلسَ جدِّي ، فكان يُسَرُّ بذلك ويظنّه تقرُّباً منّي إليه ، وإنّما كان وَكْدي[3] فيه أَخْذَ الغناء ، فلم يكن يمرُّ لإسحاق ولا لابنِ جامع ولا للزبير بن دُحْمان ولا لغيرهم صوتٌ إلاّ أخذته ، فكنت سريعَ الأخذِ ، وإنّما كنتُ أسمعه مرّتين أو ثلاثاً ، وقد صحَّ لي وأحسَسْت من نفسي قوَّةً في الصِّناعة ، فصنعت أوّلَ صوت صنعته في شِعر العَرْجيّ : [من الطويل]

أماطَتْ كِساءَ الخزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأَدنَت على الخدَّينِ بُرْداً مُهَلْهَلا

ثم صنعت في : [من المنسرح]

أَقْـفَـر مـن بَعْد خُلَّةٍ سَرِفُ ... فالمُنحَنى فالعَقِيقُ فالجُرْفُ[4]

وعَرَضْتُهما على الجارية التي كنت أهواها وسألتُها عمّا عندها فيهما ، فقالت : لا يجوزُ أن

---

1 الكنكلة : آلة عزف هندية ذات وتر واحد .
2 البيت للأعشى في ديوانه (صادر) : 58 . وفيه «يؤامرني في الشمول» .
3 وكدي : قصدي .
4 سرف والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع .

يكونَ في الصَّنْعةِ شيءٌ فوق هذا ، وكان جَوارِي الحارثِ بن بُسْخُنر وجواري ابنِه محمد يدخُلْنَ إلى دارنا فيَطْرَحْنَ على جواري عَمَّتي وجواري جدِّي ويأْخذنَ أيضاً منّي ما ليس عندهنّ من غناء دارنا . فسمِعنني أُلقي هذين الصَّوْتين على الجارية ، فأخذنهما منّي وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتهنَّ أنّهما من صنعتي ، فسألنها أن تصحِّحَهما لهنّ ، ففعلتْ فأخذْنَهما عنها ، ثم اشتهر حتى غُنِّي الرَّشيدُ بهما يوماً ، فاستظرفهما وسأل إسحاق : هل تَعْرفهما ؟ فقال : لا ، وإنّهما لَمِن حسن الصَّنْعة وجيِّدها ومُتْقَنها ، ثم سأل الجاريةَ عنهما فتوقَّفَت خوفاً من عمَّتي وحذَراً أن يبلُغ جدِّي أنّها ذكرتْني ، فانتهرَها الرشيد ، فأخبرته بالقصّة . فوجَّه من وقته فدعا بجدِّي ، فلمّا أحضره قال له : يا فضل ، يكونُ لك ابنٌ يغنّي ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكِنه معه أن يصنع صوتَيْن يستَحْسنهما إسحاقُ وسائر المُغنِّين ويتداوَلهما جواري القِيان ولا تعلِمُني بذلك ؟ كأنّك رفعتَ قدرَه عن خِدمَتي في هذا الشأن ! فقال له جدِّي : وحقّ ولائِكَ يا أميرَ المؤمنين ونعمتِك ، وإلاّ فأنا نفيٌّ منهما بريء من بَيْعتك وعليّ العهد والمِيثاق والعِتْق والطّلاقِ ، إن كنتُ عَلِمْتُ بشيء من هذا قطّ إلاّ منك السَّاعة ، فمَن هذا مِنْ ولدي ؟ قال : عبدُ الله بن العبّاس هو ، فأحضِرْنيه السَّاعة . فجاءَ جدِّي وهو يكاد أن ينْشَقّ غيظاً ، فدَعاني ، فلمّا خرجتُ إليه شتمني وقال : يا كَلْب ، بلَغ من أمرِك ومِقدارِك أن تَجْسُر على أن تتعلَّم الغناء بغيرِ إذني ، ثم زاد ذلك حتى صَنَعتَ ، ولم تقنع بهذا حتى أَلقيتَ صَنْعتك على الجواري في داري ، ثم تجاوزتهن إلى جَواري الحارث بن بُسْخُنّر ، فاشتهرْتَ وبلغ أمرُك أميرَ المؤمنين ، فتنكَّر لي ولامَني وفضحْتَ آباءَك في قُبورِهم ، وسقَطتَ الأبدَ إلاّ من المغنّين وطبقة الخُنْياكرين[1] فبكَيتُ غمّاً بما جرى ، وعَلِمتُ أنّه قد صَدَق . فرحِمني وضمَّني إليه وقال : قد صارَت الآن مُصيبَتي في أبيك مصيبَتين : إحداهُما به وقد مضى وفات ، والأُخرى بك وهي موصولة بحياتي ، ومصيبة باقيةُ العارِ عليَّ وعلى أهلي بعدي . وبكى وقال : عزَّ عليَّ يا بنيّ أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أُحِبّ ، وليست لي في هذا الأمر حيلَة ، لأنّه أمرٌ قد خرج عن يدي ؛ ثم قال : جِئني بعُودٍ حتى أسمعك وأنظُر كيف أنت ، فإن كنتَ تصلُح للخِدْمة في هذه الفَضيحة ، وإلاّ جئته بك منفرداً وعرَّفته خبَرَك واستعفيته لك . فأتيتُه بعُودٍ وغنَّيته غناءً قديماً ، فقال : لا ، بل غَنِّ صوتَيْك اللذين صنَعتَهما ، فغنَّيْتُه إيَّاهما فاستَحْسَنَهما وبكى ، ثم قال : بَطَلتَ والله يا بُنيّ وخاب أملي فيك ، فواحَزَني عليك وعلى أبيك ! فقلت له : يا سيِّدي ، ليتني مِتّ من قبل ما أنكرته أو خَرِسْتُ ، وما لي حِيلَة ولكنّي وحياتِك يا سيِّدي ، وإلاّ فعَليَّ عهدُ الله وميثاقه والعِتْق والطّلاقُ وكلّ يمين

---

1 الخنياكرين : المطربين والموسيقيِّين .

يَحْلِف بها حالِف لازِمةُ لي ، لا غنَّيتُ أبداً إلاّ لخَلِيفة أو وَليّ عَهْد . فقال : قد أحسَنْتَ فيما نَبَّهت عليه من هذا .

[أطرب الرشيد فأجزل مكافأته]

ثم رَكِبَ وأمرني ، فأُحضِرتُ فوقَفت بين يَدَيّ الرشيد وأنا أُرعَد فاستَدْناني حتى صِرت أقربَ الجماعة إليه ومازحني وأقْبل عليَّ وسَكَّن منّي ، وأمَر جدِّي بالانصراف وأمَر الجَماعة فحدَّثوني ، وسُقِيتُ أقداحاً وغنَّى المغنّون جميعاً ، فأومأ إليَّ إسحاقُ الموصليُّ بعَيْنِه أن ابدأْ فغَنِّ إذ بلَغت النَّوبةُ إليك قبل أن تُؤْمَر بذلك ، ليكونَ ذلك أصلَح[1] وأجوَد بك . فلمّا جاءت النَّوبةُ إليَّ أخذتُ عُوداً مِمّن كان إلى جنبي وقمتُ قائماً واستأذَنتُ في الغناء . فضَحِك الرشيد وقال : غَنِّ جالِساً ، فجلَسْتُ وغنَّيت لحني الأوّل فطرب واستعاده ثلاثَ مرّات ، وشرب عليه ثلاثةَ أنصاف ، ثم غنَّيتُ الثاني ، فكانت هذه حاله ؛ وسَكِر ، فدَعا بمَسْرُور فقال لـه : احمِل الساعةَ مع عبد الله عشرة آلافِ دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي ، وعَيْبةً مملوءة طِيباً ، فحُمِل ذلك أجمَع معي .

[المعتصم يأمره بالغناء للجميع وتكفير يمينه]

قال عبدُ الله ، ولم أزَل كُلَّما أراد وليُّ عهد أن يَعلم مَن الخليفة بعد الخليفة الوالي أهُو أم غيره دعاني فأمرني بأن أُغنّي ، فأعرّفه بيميني ، فيَستأذِن الخليفةَ في ذلك ، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنّه وَلِيُّ عَهْد ، وإلاّ عرَف أنّه غيرُه حتى كان آخرهم الواثق ، فدَعاني في أيّام المُعتَصِم وسأله أن يأذَن لي في الغناء ، فأذِن لي ، ثم دعاني من الغَدِ فقال : ما كان غناؤُك إلاّ سبباً لظهورِ سِرّي وسِرّ الخلفاء قَبْلي ، ولقد هَمَمْتُ أن آمرَ بضَرْب رَقبَتك . لا يبلُغني أنّك امتَنَعْتَ من الغناء عند أحد ، فوالله لئن بَلَغني لأقتُلنَّك ، فأعتِقْ مَنْ كنتَ تملِكه يوم حَلفْت ، وطَلِق مَنْ كان يوجد عندك من الحرائر ، واستبدِل بهنّ ، وعليَّ العِوَض من ذلك ، وأرِحْنا من يمينك هذه المشئومة . فقمتُ وأنا لا أعقِل خوفاً[2] منه ، فأعتَقْتُ جميعَ مَنْ كان بقي عندي من مماليكي الذين حَلفتُ يومئذٍ وهو في مِلكي ، وتصدَّقت بجُملة ، واستفتَيْت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها ، وغنّيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمْري ، وبلغ المُعتَصِم خبري ، فتخلَّصت منه ، ثم غَضِب عليَّ الواثقُ لشيءٍ أنكَره ، ووَلِيَ الخلافةَ وهو ساخِطٌ عليَّ فكتبتُ إليه : [من الكامل]

1 ل : أملح .

2 ل : جزعاً .

اذْكُـرْ أميرَ المؤمنين وسائلي أيّامَ أرهَـبُ سَطْوةَ السَّيْفِ
أدعُـو إلهـي أن أراكَ خليفةً بـينَ المقامِ ومسجدِ الخَيْفِ

فدَعاني ورضي عنّي .

[أبوه يغتاظ لشربه دون غناء]

نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ بخطّه : حدَّثني سليمان بن أبي شيخ قال : دخلتُ على العبَّاس بن الفَضل بن الربيع ذات يوم وهو مُختَلِط مُغْتاظ وابنه عبدُ الله عنده ، فقلت له : مالك أمتع اللهُ بِك ؟ قال : لا يُفلِح والله ابني عبدُ الله أبداً . فظَنَنْتُه قد جَنى جِنايةً ، وجَعَلت أعتَذِر إليه له . فقال : ذنبُه أعظَم من ذلك وأشنَع ، فقلت : وما ذَنْبه ؟ قال : جاءَني بعضُ غلماني فحدَّثني أنّه رآه بقُطْرُبُّل يشرب نبيذَ الدّاذيّ[1] بغير غِناء ، فهل هذا فِعْل من يُفلِح ؟ فقلت له وأنا أضحك : سهَّلتَ عليَّ القصَّة ، قال : لا تَقُل ذاك فإنَّ هذا من ضَعَةِ النّفس وسُقُوط الهِمَّة . فكنتُ إذا رأيتُ عبدَ الله بعد ذلك في جُمْلة المُغنِّين . وشاهدتُ تبذُّلَه في هذه الحال وانخفاضَه عن مراتِب أهلِه تذكَّرتُ قولَ أبيه فيه .

قال : وسمِعْتُه يوماً يغنّي بصَنْعتِه في شِعْر أبي العتاهية[2] : [من الخفيف]

صوت

أنـا عبدٌ لهـا مُقِرٌّ ومـا يَمْـ ـلِكُ لي غيرُها من النَّاسِ رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أُر زق منهـا والحمـدُ للهِ عِتْقا
ليتَني مُـتُّ فاستَرَحْتُ فإنّي أبـداً مـا حَيِيتُ منها مُلقّى

لحن عبدِ الله بنِ العبّاس في هذا الشعر رمل .

[إسحاق يصنع له لحناً وهو طفل]

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى وأحمدُ بن حَمدون ، عن أبيه ؛ وأخبرني جَحْظة عن أبي عبد الله الهاشميّ ، أنّ إسحاقَ المَوْصليّ دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبدُ الله بنُ العَبَّاس في حِجره قد أخرِج إليه وله نحو السَّنَتَين ، وأبوه العبَّاس واقف بين يديه ، فقال إسحاقُ للوقت : [من الرجز]

مَـدّ لـك اللهُ الحيـاةَ مَدّا حتى يكونَ ابنُكَ هـذا جَدَّا
مـؤَزَّراً بمَجْـدِهِ مُـردّى ثـم يُفـدّى مثلَ مـا تُفدّى

---

1 الداذي : شراب الفساق .
2 ديوان أبي العتاهية : 584 .

أَشْبَـه منـك سُنَّـةً وخَـدّا وشِيَمـاً محمـودةً ومَجْـدا[1]
كأنَّـه أنـتَ إذا تَبَدّى

قال : فاستَحْسن الفَضلُ الأبيات وصنع فيها إسحاقُ لحنَه المشهور ، وقال جَحْظة في خبره عن الهاشميّ ، وهو رمل ظريف من حسَن الأرمال ومُخْتارها ، فأمر له الفَضلُ بثلاثين ألف دِرهم .

[الشعر والشراب ينشطان العباس بن الفضل]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثني عبد الله بن عمر قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالِك ، قال : حدَّثني بعضُ ندَماء الفضل بن الربيع قال : كنّا عند الفضل بن الربيع في يوم دَجْن ، والسماءُ ترُشّ[2] وهو أحسنُ يوم وأطيَبُه ، وكان العبّاس يومئذٍ قد أصبَح مَهموماً . فجهِدنا أن ينشَط ، فلم تكُن لنا في ذلك حِيلَة ، فبيْنا نحن كذلك إذ دخل عليه بعضُ الشعراء ، إمّا الرُّقاشيّ وإمّا غيرُه من طَبَقَته ، فسلَّم وأخذ بِعضادتي الباب ثم قال : [من الطويل]

ألا انْعِم صَباحاً يا أَبا الفَضْل واربَعِ على مربـع القُطربُّـليّ المُشَعْشعِ
وعلِّـل نَدامـاك العِطاشَ بقَهْوةٍ لها مصرعٌ في القَـوْمِ غيرُ مروَّعِ
فإنَـك لاقٍ كُلَّما شِئتَ لَيْلَـةً ويومـاً يُغِصّان الجفـونَ بأَدْمُعِ

قال : فبَكى العبّاس وقال : صدَقتَ والله ، إنّ الإنسان ليَلْقى ذلك متى يشاء ، ثم دَعا بالطّعام فأَكل ، ثم دَعا بالشّراب فشَرِب ونَشِط ، ومرَّ لنا يومٌ حَسَنٌ طَيِّب .

[يوسط ابن المرزبان عند المنتصر]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المرزبان ، قال : جاءَني عبدُ الله بن العبَّاس في خِلافةِ المُنْتَصر وقد سألني عَرْضَ رقعَة عليه ، فأُعلِم أنّي نائمٌ ، وقد كنتُ شرِبت بالليل شُرْباً كثيراً ، فصلَّيتُ الغَداةَ ونِمت ، فلمّا انتبَهتُ إذا رُقعَة عند رأسي وفيها مكتوب : [من الخفيف]

أَنا بالبابِ واقفٌ مُنْذ أُصبَحْـ ـتُ على السّرج مُمْسِكٌ بعِناني
وبعين البوّابِ كُلُّ الذي بـي ويَـراني كأنّـه لا يَـراني

فأمرتُ بإدخاله ، فدَخَل ؛ فعرّفتُه خبري واعتذرتُ إليه وعرضْتُ رقعتَه على المُنتَصِر وكلَّمته حتى قضى حاجَتَه .

---

1 السنة : من معانيها الوجه أو الجبهة والجبينان .

2 ل : تبنش .

[يقترح صوتاً على إسحاق]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق قال : دعا عبدُ الله بن العبّاس الربيعيُّ يوماً أبي ، وسأله أن يُبْكِر إليه ففعل ، فلمّا دخل بادر إليه عبدُ الله بن العبّاس مُلتقياً وفي يده العُود وغنّاه : [من الكامل]

قُم نَصْطَبح يَفديك كُلُّ مُبَخَّلٍ ... عاب الصَّبوحَ لحُبّه لِلمالِ
من قَهْوَةٍ صَفراءَ صِرْفٍ مُزَّةٍ ... قد عُتِّقَت في الدَّنِّ مُذْ أحوالِ

قال : وقُدِّم الطَّعامُ فأكَلْنا واصطَبَحنا ، واقترح أبي هذا الصوتَ عليه بقيّة يومه .

[هو وإسحاق يتناشدان الشعر]

قال : وأتيتُه في دارِه بالمَطِيرة[1] عائداً ، فوجدتُه في عافية ، فجلسنا نتحدّثُ فأنشدْتُه لذي الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

إذا ما امرؤٌ حاولْنَ أن يَقْتَتِلْنَه ... بلا إحْنَةٍ بين النّفوس ولا ذَحْلِ
تبسَّمْنَ عن نَوْر الأقاحيّ في الثّرى ... وفَتَّرن عن أبصار مَكْحُولَةٍ نُجْلِ[3]
وكَشَّفْن عن أجياد غِزْلان رَمْلَةٍ ... هِجانٍ فكان القَتْلَ أو شَبَهُ القَتْلِ[4]
وإنّا لنَرضَى حين نَشكُو بخَلْوةٍ ... إليهنّ حاجاتِ النُّفوس بلا بَذْلِ
وما الفَقْرُ أزرى عندهنَّ بوصْلِنا ... ولكن جَرَت أخلاقُهنّ على البُخلِ

قال : فأنشدَني هو : [من الكامل]

أنّى اهتَدَتْ لُمناخِنا جُمْلُ ... ومن الكرى لعُيوننا كُحْلُ
طرقَتْ أخا سَفَرٍ وناجِيةً ... خَرْقاء عرَّفني بها الرّحلُ[5]
في مَهْمَهٍ هَجَع الدّليلُ به ... وتَعَلَّلَتْ بصَرِيفها البزْلُ[6]
فكأنَّ أحدثَ مَنْ ألَمَّ به ... دَرجَت على آثارِه النَّملُ

قال إسحاق : فقال لي عبد الله بن العبّاس : كلُّ ما يَمْلك في سبيل الله إن فارقتُك ولم نَصْطَبِح على هذين الشِّعرين ، وأنْشدك وتنشدني ، ففعَلْنا ذلك وما غنَّينا ولا غُنِّينا .

1 المطيرة : قرية من نواحي سامراء كانت منتزهاً .
2 ديوان ذي الرمّة : 487 .
3 مكحولة في الديوان : مضروجة ، وهي مشقوقة واسعة ، يعني العيون .
4 الديوان : وشففن عن .
5 الناجية : الناقة السريعة . ويروى : عرّق نيّها الرحل .
6 الصريف : صوت ناب البعير .

[صبوح على لواط وزنا]

أَخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أَبيه قال : لقيتُ عبدَ الله بنَ العبَّاس يوماً في الطَّريق فقلتُ له : ما كان خبرك أمس ؟ فقال : اصطبحتُ ، فقلت : على ماذا ومع مَنْ ؟ فقال : مع خادم صالِح بنِ عُجَيْف ، وأنتَ به عارِف ، وبخبري معه ومحبَّتي له عالِم ، فاصطبَحنا على زِنا بنت الخسِّ لمّا حَمَلتْ من زِنا ، وقد سُئِلت : ممَّن حَمَلت . فقالت : [من الطويل]

أشمُّ كغُصْنِ البـان جَعدٌ مرجّلٌ ... شُغِفْتُ بـه لـو كان شَيْئاً مُدانِيا

ثَكِلتُ أَبي إن كُنتُ ذُقْتُ كَرِيقِهِ ... سُلافاً ولا عَذْبـاً من الماءِ صافِيا[1]

وأُقسِم لـو خُيِّرتُ بـين فِراقِه ... وبـينَ أَبي لاختَرْتُ أَن لا أَبا لِيا

فإن لم أُوسِّد ساعِدي بَعْد هَجْعَةٍ ... غُلامـاً هلالِيّـاً فشَلَّـت بَنانِيا

فقلت له : أقمتَ على لِواطٍ وشربتَ على زِنا ، والله ما سَبَقَك إلى هذا أحد .

[فائز غلام محمد بن راشد]

أَخبرني محمد بنُ العبَّاس اليزيديّ قال : أَخبرني مَيمُون بنُ هارون قال : كان محمد بن راشد الخنّاق عند عبد الله بن العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع على القاطُول في أيّام المُعْتَصِم ، وكان لمحمد بن راشِد غُلامٌ يقال له : فائز ، يُغنّي غناءً حسناً ، فأظلَّتْهم سحابةٌ وهم يشربون ، فقال عبدُ الله بن العبّاس : [من الطويل]

محمـدُ قـد جـادتْ علينا بمائِها ... سحابـةُ مُـزْنٍ بَرقُهـا يتهَلَّلُ

ونحن مـن القاطُـولِ في مُتَربَّعٍ ... ومنزلُنـا فيـه المَنابِـتُ مُبقِلُ

فمُر فائِزاً يشدُو إذا مـا سَقَيْتَني ... أعن ظُعُن الحَيّ الأُلى كُنتَ تَسأَلُ

ولا تَسْقني إلاّ حـلالاً فإنَّنـي ... أَعافُ مـن الأَشياء مـا لا يُحَلَّلُ

قال : فأمر محمدُ بن راشدٍ غلامَه فائزاً فغنّاه بهذا الصوت ، وشَرِب عليه حتى سَكِر .

قال : وكان أبو أحمد بن الرَّشيد قد عَشِق فائزاً ، فاشتراه من محمد بن راشِد بثلاثمائة ألف درهم ، فبلغ ذلك المأمونَ ، فأمَر بأن يُضْرب محمد بن راشد ألف سَوْطٍ ، ثم سُئِل فيه فكَفَّ عنه ، وارتجعَ منه نِصْفَ المال ، وطالَبه بأكثرَ فوجدَه قد أنْفَقَه وقَضى دَيْنَه ، ثم حَجَر على أبي أحمد بن الرَّشيد ، فلم يَزَل مَحجُوراً عليه طوال أيّام المأمون ؛ وكان أمرُ مالِه مردوداً إلى مَخْلد بن أبان .

[يشرب الخمر في رمضان إلى الفجر]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : أَخبرني ابن

1 ل : ولا ماءً من المزن صافيا .

الجرجرائيّ قال : اتّفق يوم النيروز في شهر رمضان ، فشرِب عبدُ الله بن العبَّاس بن الفَضْل في تلك الليلة إلى أن بَدا الفَجْر أن يَطْلُع ، وقال في ذلك وغنَّى فيه قوله : [من المديد]

اسقني صفـــراءَ صافيــةً ليلـــةَ النَّيْروزِ والأحـدِ
حرَّم الصَّوْمُ اصطباحَكُما فتـــزوَّد شُرْبَهـــا لغَـدِ

[الواثق يكتفي بلحنه]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثَنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن المُدبِّر قال : قال لي محمدُ بن الفضل الجرجرائيّ : أُنشدت عبدَ الله بن العبّاس الربيعيّ للمُعلّى الطائيّ : [من الكامل]

باكِرْ صَبوحَكَ صَبْحــةَ النَّيْروزِ واشرَبْ بكـأْسٍ مُتْرَعٍ وبِكــوزِ
ضَحِكَ الربيعُ إليك عــن نُوَّارِه آسٍ ونسْرِيــنٍ ومَرْماحُـــــوزِ

فاستعادَنِيهما فأعدْتُهما عليه ، وسألني أن أُملِيَهما ، وصنَع فيهما لحناً غنّى به الواثِقَ في يوم نَيْروز ، فلم يستَعِدْ غيرَه يومئذٍ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

[يبكي لشعر جميل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى قال : أنشدني عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضل بن الربيع لجميل ، وأنشدَنيه وهو يبكي ودموعُه تنحَدِر على لِحيته .

صوت[1]

[من الطويل]

فمـــا لكِ لمـــا خبَّر الناسُ أنَّني غَدَرتُ بظَهرِ الغيبِ لم تَسلِيني
فأحلِف بَتّـاً أو أجيء بِشاهدٍ مــن الناس عَدْلٍ إنَّهم ظَلَموني

قال : وله فيه صَنعة من خفيف الثقيل وخفيف الرمل .

[مداومة الصبوح وقول الشعر فيه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثنا نافِذٌ مولانا قال : كان عبدُ الله بن العبَّاس صديقاً لأبيك ، وكان يُعاشِره كثيراً ، وكان عبدُ الله بن العبَّاس مُصْطَبِحاً دهرَه لا يفوتُه ذلك إلاّ في يوم جمعة أو صَوْم شهر رمضان ، وكان يُكثِر المدْحَ للصَّبوح ويقول الشِّعر فيه ، ويغنِّي فيما يقوله . قال عبيد الله فأنشدَني نافِذٌ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك ، منهم حمّاد بن إسحاق : [من البسيط]

1 ديوان جميل (صادر) : 126 .

صوت

ومُسْتَطيلٍ على الصَّهباء باكرهـا   في فِتْيَـةٍ باصْطِباحِ الرَّاحِ حُذَّاقِ
فكُـلُّ شيءٍ رآه خالَـه قَدَحـاً   وكُـلُّ شَخْصٍ رآه خالَـه الساقي

قال : ولَحْنه فيه خفيف رمل ثقيل . قال حمَّاد : وكان أبي يَسْتَجيد هذا الصوت من صنعتِه ، ويستَحْسِن شِعرَه ويَعجَب من قوله : [من البسيط]

فكُلُّ شَيْءٍ رآه خالـه قَدَحاً   وكُلّ شَخْصٍ رآه خالَه السّاقي

ويعجب من قوله : [من البسيط]

ومُسْتَطِيل على الصَّهباء باكَرَها

ويقول : وأيُّ شيءٍ تَحْتَهُ من المعاني الظريفة !

قال : وسَمِعه أبي يغنِّيه فقال له : كأنّك والله يا عبدَ اللهِ خَطيبٌ يخطب على المِنبر ، قال عبدُ الله بن محمد : فأنشدني حمّادٌ له في الصَّبوح : [من المجتث]

لا تعذِلَـــنْ في صَبُوحي   فـالعَيش شُرْبُ الصَّبُوحِ
مـا عـابَ مُصْطَبِحاً قَـ   ـطّ غَيْرُ وَغْـدٍ شَحِيحِ

قال عَمِّي : قال عُبَيد الله دخل يوماً عبدُ الله بنُ العبّاس الرَّبيعيُّ على أبي مُسلِّماً ، فلمّا استقرَّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له : أنشِدني شيئاً من شِعرك ، فقال : إنّما أعبث ولستُ مِمَّن يقدُم عليك بإنشاد شِعْره ، فقال : أتقولُ هذا وأنت القائل : [من المجتث]

يـا شادِناً رامَ إذ مَـرَّ   في السَّعانـين قَتْـلي
تَقـول لي : كَيْف أصبَحْـ   ـت ؟ كَيْفَ يُصْبح مِثْلي

أنتَ والله أعزّك اللهُ أغزل النّاس وأرقّهم شِعراً ، ولو لم تقل غيرَ هذا البيت الواحد لكفاك ولكُنتَ شاعراً .

[شعر في ليلة مقمرة]

أخبرني عمِّي والحُسين بن القاسم الكوكَبيّ قالا : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثني أحمدُ بن الحُسين الهِشاميّ أبو عبد الله قـال : حدَّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع قـال : كنتُ جالساً على دِجْلةَ في ليلة من الليالي ، وأخذتُ دَواةً وقِرطاساً وكتبتُ شِعْراً حَضَرني وقُلتُه في ذلك الوقت : [من المنسرح]

صوت

أخلفَك الدَّهـرُ مـا تَنظُرُه   فاصبِر فـذا جُلّ أمْرِ ذا القَدَرِ

لَعَلَّنا أن نُدِيلَ من زَمَن ... فرَّقنا والزَّمانُ ذُو غِيَرِ[1]

قال : ثم أُرتِجَ عليَّ فلم أدْرِ ما أقولُ حتى يَئِست من أن يجيئَني شيء ، فالتفتُّ فرأيتُ القمر وكانت ليلة تتِمَّتِه فقلت : [من المنسرح]

فانظُر إلى البَدْرِ فهو يُشبِهُه ... إن كان قد ضَنَّ عنك بالنَّظَرِ

ثم صنعت فيه لَحْناً من الثقيل الثاني . قال أبو عبد الله الهشاميّ : وهو والله صوت حَسَن .

[وصفه البرق عند الواثق]

أخبرني جَحْظَةُ عن ابن حَمْدون ، وأخبرني به الكوكَبيّ عن عليّ بن محمد بنِ نَصْر ، عن خالِد بن حمدون قال : كنّا عند الواثِق في يوم دَجْن ، فلاح بَرْق واستطار ، فقال : لو في هذا شيء ، فبَدَرَهم عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفضل بن الرّبيع ، فقال هذيْن البيتين : [من المتقارب]

أعنّي على لامِعٍ بارِقٍ ... حفيٍّ كلمْحِك بالحاجِبِ
كأنَّ تألّقَه في السَّماء ... يَدا كاتِبٍ أو يَدا حاسِبِ

وصنع فيه لَحْناً شَرِب فيه الواثقُ بقِيَّةَ يومه ، واستحسن شعرَه ومعناه وصنعته ، ووصل عبد الله بصِلةٍ سَنِيَّة .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بن محمد بن مروان قال : حدّثني الحسين بن الضَّحَّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبَّاس بن الفضْل بن الربيع ، وهو مُصْطَبِح ، وخادمٌ له قائمٌ يسقيه فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سَقْي هذا الخادم ، فإن حَضَرَك شيءٌ في قصَّتِنا هذه فقُل ، فقلت[2] : [من المنسرح]

أحيَتْ صَبوحي فُكاهةُ اللاَّهي ... وطاب يومي بقُرْبِ أَشْباهي
فاستَثِر اللهوَ من مَكامِنِه ... من قبل يومٍ مُنغَّصٍ ناهي
بابنة كَرْمٍ من كَفِّ مُنْتَطِقٍ ... مُؤْتَزِرٍ بالمُجونِ تَيّاهِ
يِسقيك من طَرْفِه ومن يَدِه ... سَقْيَ لطيفٍ مُجرَّبٍ داهي
طاساً وكاساً كأنَّ شاربَها ... حَيرانُ بين الذَّكُورِ والسَّاهي

فاستَحْسَنه عبدُ الله ، وغنَّى فيه لَحْناً مليحاً ، وشَرِبْنا عليه بقيَّة يومِنا .

[غزله بجارية نصرانية]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا أبو عبد الله أحمدُ بن المَرزُبان بن الفَيْرزان قال : حدَّثني شَيْبَة بن

---

1 نديل في ل : ندال .

2 أشعار الخليع الحسين بن الضحاك (فراج) : 122 .

هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع قد عَلِق جاريةً نَصْرانيَّة قد رآها في بعض أعيادِ النّصارى ، فكان لا يُفارِق البِيَع في أعيادِهم شَغَفاً بها . فخرج في عِيد ماسَرْجِيس فظَفِر بها في بُسْتان إلى جانب البيعَة ، وقد كان قبل ذلك يُراسِلها ويعرّفها حُبَّه لها ، فلا تقدِر على مواصلَتِه ولا على لقائِه إلاّ على الطريق . فلمّا ظَفِر بها التَوَت عليه وأبَتْ بعضَ الإباء ، ثم ظهرت له وجلست معه ، وأكلُوا وشَرِبوا ، وأقام معها ومع نِسْوة كُنّ معها أُسبوعاً ، ثم انصرفت في يوم خَميس ، فقال عبد الله بنُ العبّاس في ذلك وغنّى فيه : [من الخفيف]

رُبَّ صَهْباءَ من شَرابِ المَجُوسِ ... قهـوةٍ بابِليَّـةٍ خَنْـدَرِيسِ
قـد تَجَلَّيتُها بنـايٍ وعُـودٍ ... قبل ضربِ الشمَّاسِ بالنّاقوسِ
وغَزالٍ مُكَحَّـلٍ ذِي دلالٍ ... ساحرِ الطرْفِ سامِريٍّ عَرُوسِ
قـد خلَوْنـا بطِيبِه نَجْتَليهِ ... يوم سَبْتٍ إلى صَباحِ الخميسِ
بـين وَرْدٍ وبـين آسٍ جَنـيٍّ ... وسط بُسْتان دَيْر ماسَرْجِيس
يَتَثَنّى بحُسْنِ جِيـدِ غَـزالٍ ... وصَلِيبٍ مُفَضَّضٍ آبَنُـوسي
كم لثمتُ الصَّليبَ في الجِيد منها ... كهِـلالٍ مُكَلَّـلٍ بشُمُوسِ

[يتطيّر بالغراب ويستبشر بالهدهد]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن المَرزُبان ، عن شَيْبَةَ بن هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العبّاس يوماً جالساً ينتظِر هذه النّصرانيَّة التي كان يهواها ، وقد وعدَتْه بالزيارة ، فهو جالس ينتظِرها ويتفقَّدها إذ سَقَطَ غُراب على بَرَّادة[1] دارِه فنَعَب مَرَّة واحدة ثم طار ، فتطيَّر عبدُ الله من ذلك ولم يَـزَل ينتظِرهـا يومـه فلـم يَـرَها . فأرسل رسولَه عِشاءً يسأل عنها ، فعُرِّف أنّـها قد انحَدَرَت مع أبيها إلى بغداد ، فتنغَّصَ عليه يَومُه ، وتفرَّقَ مَنْ كان عنده ، ومكثَ مدّةً لا يعرف لها خَبَراً . فبيْنا هو جالس ذاتَ يوم مع أَصحابه ، إذ سقط هُدْهُد على برّادَته ، فصاح ثلاثة أصواتٍ وطار . فقال عبدُ الله بنُ العبَّاس : وأيّ شيء أبقـى الغُرابُ للهُدْهُد علينا ؟ وهل تَرَكَ لنا أحداً يُـؤذِينا بفراقه ؟ وتطيَّر من ذلك ، فما فَرَغ من كلامه حتى دَخَل رسُولُها يُعلِمه أنّـها قد قَدِمَـتْ منذ ثلاثة أيّام ، وأنّـها قد جاءَته زائرةً على إثْرِ رسُولِها ، فقال في ذلك من وقتِه : [من الهزج]

سقـاكَ اللهُ يـا هُدْهُـ ... ـدُ وَسْمِيّـا من القَطْرِ
كما بَشَّـرتَ بـالوَصْلِ ... ومـا أَنْذَرْتَ بـالهَجْرِ

---

1 البرادة : إناء يبرد فيه الماء ، ولعلّها هنا الموضع الذي توضع فيه أواني التبريد .

فكَم ذا لَكَ من بُشْرى ... أَتتْني منكَ في سِتْرِ
كما جاءَتْ سُليمانَ ... فأوفَت منه بالنّذْرِ
ولا زالَ غُرابُ البَيْـ ... ـن في قُفّاعَةِ الأسْرِ[1]
كما صَرَّح بالبَيْنِ ... وما كُنتُ به أدْري

ولَحْنُه في هذا الشِّعر هزج .

[غناء لا يعجب المتوكّل]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني مَيْمونُ بن هارون قال : قال إسحاق بن إبراهيم بن مِصعب : قال لي عبدُ الله بن العبّاس الربيعيّ : لمّا صنَعْتُ لحني في شعري : [من المنسرح]

أَلا اصبَحاني بيوم السّعانينِ ... من قَهْوةٍ عُتِّقَتْ بكركِينِ[2]
عند أُناسٍ قَلبي بهم كلِفٌ ... وإن تولّوا دِيناً سِوى دِيني
قد زَيَّنَ الملكَ جعفرٌ وحكى ... جُودَ أبيه وبأسَ هارونِ
وأمَّن الخائفَ البريءَ كما ... أخافَ أهلَ الإلحادِ في الدِّينِ

دعاني المُتوكّل ، فلمّا جلستُ في مَجلس المُنادَمَة غنّيتُ هذا الصوت فقال لي : يا عبدَ الله ، أين غناؤك في هذا الشعر في أيّامي هذه من غنائك في : [من الطويل]

أَماطَتْ كِساءَ الخزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِها ... وأَدْنَتْ على الخَدَّيْنِ بُرْداً مُهَلْهَلا

ومن غنائِك في : [من المنسرح]

أَقفَر من بعد خُلَّةٍ سَرِفُ ... فالمُنْحَنى فالعَقِيقُ فالجُرُفُ

ومن سائر صَنْعَتِك المتقدِّمة التي استفرَغْتَ محاسِنَك فيها ؟ فقلتُ له : يا أَمير المؤمنين ، إنِّي كُنتُ أتغنَّى في هذه الأصوات ولي شبابٌ وطَرَب وعِشْق ، ولو رُدَّ عليَّ لغنَّيتُ مثل ذلك الغناء ، فأمر لي بجائزة واستحسَن قولي .

[يغني المنتصر بشعره فلا يجيزه]

حدَّثني عَمِّي قال : حدَّثنا أحمد بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أبي ، قال : ذَكَر المُنتصر يوماً عبدَ الله بن العبّاس وهو في قَراحِ[3] النّرجس مُصْطَبِح ، فأحضره وقال له : يا عبدَ الله ، اصنع لحناً في شِعْري الفُلانيّ وغنِّني به ، وكان عبد الله حَلَف لا يُغنّي في شِعره ، فأطرَق مليّاً ، ثم

---

1 القفاعة : شيء من جريد النخل يلقى به على الطير فيصاد به .

2 كركين : من قرى بغداد .

3 القراح من كل شيء : الخالص .

غنّى في شعرٍ قاله للوَقْت وهو : [من الكامل]

يا طِيبَ يَوْمي في قراح النَّرجِس ... في مَجْلِس مـا مِثْلُهُ مِنْ مَجْلِسِ
تُسْقـى مُشعْشَعَـةً كأَنَّ شُعاعَها ... نـارٌ تُشَبُّ لِبـائِسٍ مُسْتَقْبِسِ

[يطرب المتوكل فيجيزه]

قال : فجَهِد أَبي بالمُنتصر يوماً واحْتال عليه بكُلِّ حِيلة أن يصِلَه بشيء فلم يَفعَل .

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أبي قال : غضِبَت قَبِيحةُ على المُتوكّل وهاجَرَتْه ، فجلس ودخَل الجُلساء والمُغنُّون ، وكان فيهم عبدُ الله بنُ العبّاس الربيعيّ ، وكان قد عَرَف الخبر ، فقال هذا الشِّعرَ وغنّى فيه : [من الخفيف]

لستَ مِنِّي ولستُ منك فدَعْني ... وامْضِ عنّـي مُصاحَباً بسَلامِ
لم تَجِد عِلّـةً تَجَنّى بها الذّنْـ ... ـبَ فصارَتْ تعتـلُّ بالأَحْلامِ
فإذا ما شَكَوتُ ما بيَ قالت : ... قـد رأَينا خِلافَ ذا في المَنامِ

قال : فطَرِب المُتوكّل وأمر له بعِشرين ألف دِرهم وقال له : إنّ في حياتِك يا عبد الله لأُنساً وجَمالاً وبَقاءً للمُروءةِ والظّرف .

[غناء بشعر السليك]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني عبد الله بنُ العبّاس الربيعيّ قال : كنتُ في بعض العساكر فأصابَتْنا السماء حتى تأذّيْنا ، فَضُربت لي قُبّة تُركيّة ، وطُرِح لي فيها سَريرانِ ، فخطَرَ بقَلْبي قولُ السُّلَيْك[1] : [من الرمل]

صوت

قَرِّب النَّحّام واعجَل يا غُلامْ ... واطْرَحِ السَّرْجَ عليه واللِّجامْ[2]
أَبلغِ الفِتيـانَ أَنّي خائِـضٌ ... غمْرَةَ الضَّرْب فمَنْ شاء أَقامْ

فغنّيتُ فيه لَحني المعروف ، وغَدَوْنا فدخَلْتُ مدينةً ، فإذا أنا برَجُل يُغنّي ، وواللهِ ما سَبَقني إليه أحد ولا سَمِعَه منّي أحد ، فما أدْري مَن الرّجُل ، ولا من أين كان له ، وما أرى إلاّ أنّ الجنَّ أوقعتْه في لسانه !

[محمد بن الجهم يحتمل خراجه سنة]

حدَّثني عَمِّي ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : حدَّثني

1 ديوان السليك : 65 .
2 النحام : اسم الفرس .

عبدُ الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيّ قال : كنتُ عند محمد بنِ الجَهْم البَرمَكيّ بالأهواز ، وكانت ضَيْعَتي في يده ، فغنّيته في يوم مهرجان وقد دعانا للشُّرب : [من المنسرح]

صوت

المِهرَجانُ ويومُ الاثْنَيْنِ يومُ سُرورٍ قد حُفَّ بالزَّيْنِ
ينقل من وغْرة المَصيف إلى بَرْدِ شِتاءٍ ما بينَ فَصْلَيْنِ
محمدُ يا ابْنَ الجَهْم ومَن بَنى للمَجْدِ بَيْتاً من خير بَيْتَيْنِ
عِشْ ألفَ نَيْروز ومَهْرِجْ فَرِحاً في طِيبِ عَيْش وقُرَّة العَيْنِ

قال : فسُرَّ بذلك واحتمل خَراجي في تلك السنة ، وكان مبلَغُه ثلاثين ألف دِرْهم .

[إعجابه بعساليج]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهرويه ، قال : حدَّثني ابنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني أبو تَوْبَة القَطِرانيّ ، عن محمد بن حُسين قال : كنّا عند أبي عيسى بن الرَّشيد في زمن الرّبيع ومعنا مُخارِق ، وعَلُّويَه ، وعبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ونحن مُصْطَبِحون في طارمة[1] مضروبة على بُسْتانِه ، وقد تفتَّح فيه وَردٌ وياسَمِين وشقائق ، والسماء مُتغيِّمة غيماً مُطبِقاً ، وقد بدأتْ تَرُشُّ رشّاً ساكِباً ، فنحن في أكْمَل نشاطٍ وأحسَنِ يوم إذ خرجَتْ قَيِّمةُ دارِ أبي عيسى فقالت : يا سيِّدي ، قد جاءَت عساليجُ ، فقال : لتخرُج إلينا ، فليس بحَضْرتنا مَن تحتشِمه . فخرجت إلينا جارية شَكِلة[2] حُلوَة ، حَسَنة العقل والهيئة والأدب ، في يدِها عُود . فَسَلَّمتْ ، فأمَرها أبو عيسى بالجُلوس فَجَلست . وغنّى القومُ حتى انتهى الدّور إليها ، وظننَّا أنّها لا تصنع شيئاً وخِفْنا أن تهابنا فتحْصَر . فغنَّت غِناء حَسَناً مُطرِباً مُتقَناً . ولم تَدَعْ أحداً مِمَّن حَضَر إلاّ غنَّت صوتاً من صَنْعَته وأدّته على غاية الإحكام . فطَرِبنا واستحسَنّا غناءها وخاطبناها بالاستِحْسان ، وألحَّ عبدُ الله بنُ العبّاس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنَّظر إليها ، فقال أبو عيسى : عَشِقْتَها وحياتي يا عبدَ الله ؛ قال : لا والله يا سيِّدي وحياتِك ما عَشِقْتُها ، ولكنّي استَحْسنتُ كُلَّ ما شاهدتُ منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء . فقال له أبو عيسى : فهذا واللهِ هو العِشْق وسببُه ، ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه اللَّعِب[3] . وشَرِبنا فلمّا

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .
2 شكلة : ذات دلال وغزل .
3 المثل «رب جد جره اللعب» في مجمع الميداني 1 : 170 .

غَلَب النَّبِيذُ على عبد الله غَنَّى أهزاجاً قديمة وحَدِيثة ، وغَنَّى فيما غَنّى بينهما هَزَجاً في شِعْر قاله فيها لوَقْتِه ، فما فَطِنَ له إلاّ أبو عيسى وهو : [من الرمل]

صوت

نَطَـق السُّكْـرُ بسِرِّي فَبَدا ... كم يُرى المَكْتومُ يَخفى لا يَضِحْ
سِحْرُ عَيْنَيـك إذا مـا رنَتا ... لم يَدَعْ ذا صَبْوة أو يَفْتَضِحْ
مَلَكَـتْ قلبـي فأمسى غَلِقاً ... عندها صَبّـاً بها لم يَسْتَرِحْ
بجَمـالٍ وغِنـاءٍ حسنٍ ... جلّ عـن أن يَنْتَقيه المُقْتَرِحْ
أورثَ القلبَ هُمومـاً ولقد ... كنـتُ مسروراً بمرآه فَرِحْ
ولكـم مُغْتَبِقٍ هَمّـاً وقـد ... بَكَـر اللَّهْو بُكورَ المُصْطَبِحْ

الغناء لعبد الله بن العبّاس هزج ، فقال له أبو عيسى : فعلْتَها والله يا عبدَ الله ، وطار طرباً وشَرِب على الصوت وقال له : صحَّ والله قولي لك في عساليج ، وأنت تُكابِرُني حتى فَضَحَكَ السُّكرُ . فجحَد ، وقال : هذا غناء كنت أرويه . فحلف أبو عيسى أنّه ما قاله ولا غنّاه إلاّ في يومِه ؛ وقال له : احلِفْ بحَياتي أنّ الأمرَ ليس هو كذلك ، فلم يفعل . فقال له أبو عيسى : والله لو كانت لي لوهبْتُها لك ، ولكنّها لآلِ يحيى بن معاذ ، والله لئِن باعُوها لأُملِّكَنَّك إيّاها ولو بكُلِّ ما أملك ، وحياتي لتنصَرفنَّ قبلك إلى منزِلك ؛ ثم دعا بحافِظتِها وخادِمٍ من خدَمه ، فوجَّه بها معهما إلى منزِله . والتَوى عبدُ اللهِ قليلاً وتجلَّد ، وجاحَدَنا أمرَه ثم انصرف .

واتّصل الأمرُ بينهما بعد ذلك ، فاشترتها عمَّته رُقَيَّة بنتُ الفَضل بن الرَّبيع من آلِ يَحْيى بن مُعاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت . فحدَّثني جعفرُ بنُ قُدامَة بن زِياد عن بعض شيوخِه ، سقَط عنّي اسمُه ، قال : قالت بَذل الكبيرة لعبدِ الله بن العبّاس : قد بلَغني أنّك عَشِقْتَ جارية يقال لها عساليج فاعرِضْها عليّ ، فإمّا أن عذَرْتُك وإمّا أن عَذلتك . فوجَّه إليها فحَضَرَت ، وقال لبَذْل : هذه هي ياستي فانظري واسمعي ، ثم مُريني بما شئتِ أُطعك ، فأقبلت عليه عساليجُ وقالت : يا عبدَ اللهِ أتُشاوِرُ فيّ ؟ فوالله ما شاوَرْت فيك لمَّا صاحبتُك . فنَعَرت بَذْل وصاحت : إيه ، أحسَنْتِ والله يا صَبِيَّة ، ولو لم تُحسني شيئاً ولا كانت فيك خَصْله تُحمَد لوجب أن تُعشَقي لهذه الكلمة ، أحسنتِ واللهِ ؛ ثم قالت لعبدِ الله : ما ضَيَّعتَ ، احتفِظ بصاحبتك .

[الواثق يجيزه في يوم نيروز]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن المَرْزُبان ، عن أبيه ، عن عبدِ الله بن العبَّاس قال : دعانا الواثِقُ في يوم نَوْرُوز ، فلمّا دَخَلتُ عليه غَنَّيْتُه في شعر قلتُه وصَنَعْت فيه لحناً

وهـو : [من مجزوء الرمل]

هـيّ للنَّيروزِ جامـا ومُدامـاً ونَدامـى
يَحْمـدون الله والـوا ثِـقَ هـارونَ الإماما
ما رأى كِسْرى أَنوشِرْ وانَ مِثْـلَ العامِ عاما
نَرْجِساً غَضّـاً ووَرْداً وبَهـاراً وخُزامـى

قال : فطَرِب واستَحْسَنَ الغِناء ، وشرِب عليه حتى سكر ، وأَمر لي بثلاثين ألف دِرْهم .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرزُبان قال : حدَّثني شَيْبة بنُ هِشام قال : أَلقَت مُتيَّم على جوارينا[1] هذا اللحن وزعمت أنَّها أخذتْه من عبد الله بن العبّاس والصَّنعةُ له : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّي اتّخـذت عـدُوَّةً فسَقـى الإلـهُ عدُوَّتي
وَفَدَيْتُهـا بـأَقاربي وبأُسرَتـي وبجيرتـي
جُدِلـتْ كجَدْلِ الخيزُرا نِ وثُنِّيـتْ فتَثَنَّـتِ
واستَيْقَنـتْ أَنّ الفـؤا دَ يُحبُّهـا فأَدَلَّـتِ

[يتعشَّق مصابيح]

قال : ثم حدَّثَتْنا مُتَيَّم أَنَّ عبدَ الله بنَ العبّاس كان يتعشَّق مصابيحَ جاريةَ الأَحْدَب المُقيِّن ، وأنّه قال هذا الشعر فيها ، وغنّى فيه هذا اللَّحْن بحضرتها ، فأَخذته عنه .

هكذا ذكَرَ شَيْبَةُ بنُ هشام من أمْر مصابيح ، وهي مشهورة من جواري آل يحيى بنِ معاذ ، ولعلّها كانت لهذا المقِّين قبل أن يملكها آلُ يحيى ، وقبل أن تَصِل إلى رُقيَّة بنتِ الفضلِ بنِ الرَّبيع .

وحدَّثنا أيضاً عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، عن شَيْبة بن هشام ، قال : كان عبدُ اللهِ بن العبّاس ينعشَّق جاريةَ الأحدبِ المُقيِّنِ ، ولم يُسمِّها في هذا الخبر ، فغاضبها في شيء بلَغه عنها ، ثم رام بعد ذلك أن يترَضّاها فأَبَت ؛ وكتب إليها رُقعة يَحلِف لها على بطلان ما أنكَرته ، ويدعو اللهَ على مَن ظلم . فلم تُجبْه عن شيء ممّا كتب به ، ووقَّعت تحت دُعائِه : آمين . ولم تُجِب عن شيء ممّا تضمَّنته الرُّقعة بغير ذلك ، فكتب إليها : [من مجزوء الكامل]

1 ل : جواريها .

أمَّا سُروريَ بالكِتا ب فليس يَفنى ما بَقِينا
وأتى الكتابُ وفيه لي آمين ربَّ العالمينا

قال : وزارَتْه في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة ، ثم انصرفت وأَبَتْ أن تَبيت وتُقيم ليلَتَها عنده . فقال هذا الشعر وغنّى فيه هَزَجاً وهو مَشْهور من أغانيه وهو : [من المنسرح]

صوت

يا مَنْ لِهَمٍّ أمسى يُؤرِّقُني حتى مضى شَطرُ لَيْلَةِ الجُهَني
عَنّي ولم أدرِ أنَّها حضرت كذاك مَنْ كانَ حُزْنه حَزَني
إنّي سَقِيمٌ مُوَلَّه دَنِفٌ أسقَمني حُسْنُ وَجْهِكِ الحَسَنِ
جُودي له بالشفاء مُنْيَتَه لا تَهجُري هائماً عليكِ ضَنِي

قال : وليلةُ الجُهَنيّ ليلة تسعَ عشرةَ من شهر رمضان ، قال رجل من جُهَينة : إنّه رأى فيها ليلةَ القَدْرِ فيما يَرى النّائم فسُمِّيت ليلة الجُهَنيّ .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمدُ بن المَرزُبان قال : حدَّثني شَيْبةُ بنُ هشام قال : دعانا محمد بنُ حمّاد بن دنقش وكان له سِتارة في نهاية الوَصْف ، وحضر معنا عبدُ الله بنُ العبّاس ، فقال عبدُ الله وغنَّى فيه : [من البسيط]

دَعْ عنك لَوْمي فإنّي غيرُ مُنقادِ إلى المَلامِ وإن أحببتَ إرْشادي
فلستُ أعرِفُ لي يوماً سُرِرْتُ به كمِثلِ يَوْميَ في دارِ ابنِ حَمَّادِ

[شعر يذكر فيه أعياد النصارى]

أخبرني يَحيى بنُ عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال : حدَّثني ابنُ المكّيّ عن عبدِ الله بنِ العبّاس قال : لمّا صنعتُ لَحني في شعري : [من السريع]

صوت

يا لَيلةً ليس لها صُبْحُ وموعِداً ليس له نُجْحُ
من شادنٍ مرّ على وعده الميـ ـلادُ والسُّلاّقُ والذّبحُ[1]

هذه أعيادُ النصارى ، غنّيته الواثِق فقال : ويْلَكم ، أدركوا هذا لا يَتَنَصَّر ، وتمامُ هذا الشعر : [من السريع]

1 السلاق : عيد الصعود عند النصارى .

وفي السَّعانِين لـو انِّي بـهِ وكان أَقْصى المَوعِـد الفِصْحُ
فـاللهَ أَستَعْدي عـلى ظالمٍ لم يُغْـنِ عنـه الجُودُ والشُّحُّ

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ : قال أبو العتاهية : وفيه لعبد الله بنِ العبّاس غناء حَسَن : [من الخفيف]

أنـا عَبدٌ لهـا مُقِـرٌّ وما يَمْـ ـلِكُ لي غيرُها من النّاس رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أُر زَق منهـا والحمـدُ لله عِتْقا
ومـن الحَيْـنِ والشّقاء تعلَّقْـ ـتُ مليكاً مُسْتكْبِراً حين يُلْقى
إن شكوتُ الذي لَقيتُ إليه صَدَّ عنّي وقال : بُعداً وسُحْقا

[يشرب ويغنّي منفرداً]

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر ، عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال : دخلتُ يوماً إلى عبدِ اللهِ بنِ العبّاس الربيعيّ ، وخادمٌ له يَسْقِيه ، وبيده عُودُه ، وهو يُغنّي هذا الصوت : [من المجتث]

إذا اصطَبحْـتُ ثَلاثـاً وكان عُـودي نَدِيمـي
والكأسُ تُغْرِب ضَحكاً مـن كـفِّ ظَبْـي رَخِيمِ
فمـا عـليَّ طرِيـقٌ لطارقـاتِ الهُمـومِ

قال : فما رأيتُ أحسنَ ممّا حكى حاله في غنائِه ، ولا سَمِعْتُ أحسنَ ممّا غنَّى .

[عشق غلام خادم المعتصم]

أَخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكَبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سَعْد قال : حدَّثني دوسر[1] الخراسانيّ قال : اشترى حزام خادم المعتصم خادماً نظيفاً ، كان عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع يتعشَّقه ، فسأَلَه هِبَته له أو بيعَه منه فأبى ، فقال عبدُ الله أبياتاً وصنع فيها غناء ، وهي قوله : [من الخفيف]

يومُ سَبْتٍ فصرِّفـا لي المُداما واسقِياني لعلَّنـي أَن أنامـا
شرَّد النـومَ حُبُّ ظَبْيٍ غريـرٍ مـا أَراه يَـرى الحَرامَ حَرامـا
اشتراه يومـاً بعُلْفـةِ يـوم أَصبحتَ عنده الدوابُ صِياما

فاتصلت الأَبياتُ وخبرُها بحزام ، فخَشي أَن تَشتَهر ويسمعها المُعتصمْ فيأتي عليه ؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله ، وسأله أن يُمسِك عن الأبيات ، ففعل .

1 ل : دوس .

[أول لحن صنعه]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني الحُسَيْن بن يحيى قال : قلت لعبد الله بنِ العَبّاس : إنّه بَلَغَني لك خَبَرٌ مع الرّشيد أول ما شُهرتَ بالغِناء ، فحدِّثني به ، قال : نعم أوّل صوت صنَعْته[1] : [من المتقارب]

أتــاني يؤامِــرُني في الصَّبُــو ح ليــلاً فقلتُ لــه : غادِها

فلمّا تأتّى لي وضربت عليه بالكنكلة ؛ عرضتُه على جارية لنا يقال لها راحة ، فاستحسَنَتْه وأَخذَته عنّي ، وكانت تختلف إلى إبراهيمَ الموصليّ . فسَمِعها يوماً تُغنِّيه وتناغي به جارية من جواريه ، فاستعادَها إيّاه وأعادته عليه ، فقال لها : لِمَنْ هذا ؟ فقالت : صَوْت قديم ؛ فقال لها : كَذَبتِ ، لو كان قديماً لعرَفْتُه ، وما زال يُداريها ويتغاضَب عليها حتى اعترفت له بأنّه من صَنْعَتي . فعَجِب من ذلك ، ثم غنّاه يوماً بحضرة الرشيد ، فقال له : لِمَنْ هذا اللَّحن يا إبراهيم ؟ فأَمسك عن الجواب وخشي أن يكذِبَه فيَنْمي الخبرُ إليه من غيره ، وخاف من جدِّي أن يصدقه ، فقال له : ما لك لا تجيبني ؟ فقال : لا يمكنني يا أميرَ المؤمنين . فاسْتَراب بالقِصّة ، ثم قال : والله ، وتُربة المَهْديّ لئن لم تَصْدُقْني لأُعاقبنَّك عُقوبةً مُوجِعة ، وتوهّم أنّه لعُليَّة أو لبعض حُرَمه فاستُطِير غضباً . فلمّا رأى إبراهيمُ الجِدَّ منه صدَقَه فيما بينه وبينه سرّاً ، فدعا لوقته الفضلَ بن الرَّبيع ثم قال له : أيصنَع ولدُك غناء ويرويه الناس ولا تعرّفني . فجَزِع وحَلَف بحياته وبَيْعتـه أنّه ما عرف ذلك قطّ ، ولا سَمِع به إلاّ في وَقته ذلك . فقال له : ابنُ ابنِك عبدُ الله بنُ العبّاس ، أحضِرْنيه السّاعة . فقال : أنا أمضي وأمتَحِنه ، فإن كان يصلُح للخدمة أحضَرته ، وإلاّ كان أميرُ المؤمنين أولى مَن ستر عورتنا ؛ فقال : لا بُدّ من إحضاره . فجاء جدِّي فأحضرني وتَغيَّظ عليّ ، فاعتذرتُ وحَلْفتُ له أنّ هذا شيء ما تعمّدتُه ، وإنّما غنَّيتُ لنفسي ، وما أدري من أين خَرَج . فأمر بإحضار عُود فأُحضِر ، وأمرني فغنَّيتُه الصوتَ . فقال : قد عَظُمت مُصيبَتي فيك يا بنيّ ، فحلفتُ له بالطلاق والعتاق ألاّ أقبلَ على الغناء رِفداً أبداً ، ولا أُغنِّي إلاّ خليفةً أو وليَّ عهد ، ومَنْ لعلّه أن يكون حاضراً مجالسهم ، فطابت نفسُه . فأحضرني ، فغنَّيتُ الرشيدَ الصوتَ فطرِب وشرب عليه أقداحاً ، وأمرني بالمُلازمة مع الجُلَساء ، وجعل لي نَوْبة ، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جدّي ، وأمره أن يبتاع ضيعة لي بها ، فابتاع لي ضيعتي بالأهواز ، ولم أزَل مُلازِماً للرشيد حتى خرج إلى خُراسان ، وتأخّرتُ عنه وفرّق الموتُ بيننا .

1 انظر الخبر فيما تقدم من هذه الترجمة .

قال ابنُ المرزُبان : فكان عبدُ الله بنُ العبّاس سَبَباً لمعرفة أُولياء العهود برأْي الخلفاء فيهم ؛ فكان منهم الواثـق ، فإنّـه أحبّ أن يعرِف : هل يُولّيـه المعتَصمُ العهـدَ بعدَه أم لا . فقال له عبدُ الله : أنا أدلّك على وجه تعرف به ذلك ، فقال : وما هو ؟ فقال : تسألُ أميرَ المؤمنين أن يأذَن للجُلساء والمغنّين أن يَصيروا إليك ، فإذا فعل ذلك فاخْلَعْ عليهم وعليَّ معهم ، فإنّي لا أقبَل خِلعَتك لليمين التي عليَّ ألاّ أقبل رفداً إلاّ من خليفة أو وليّ عهد . فقعَد الواثقُ ذات يوم وبعـث إلى المعتصم وسألـه الإذنَ بجلساء ، فـأذِن لهـم ، فقـال لـه عبدُ الله بن العبّاس : قد عَلِم أميرُ المؤمنين يَميني ؛ فقال له : امضِ إليه فإنّك لا تَحنَث . فمضى إليه وأخبره الخبرَ فلم يُصدِّقه ، وظنَّ أنّه يُطيِّب نفسَه ، فخَلَع عليه وعلى الجماعة ، فلم يَقبَل عبدُ الله خِلعَته ، وكتَب إلى المعتصم يشكوه . فبَعَث إليه : اقبَل الخِلْعَة ، فإنّه وليُّ عهدي . ونَمى إليه الخبرُ أنَّ هذا كان حِيلَة من عبد الله ، فنَذَر دَمَه ، ثم عفا عنه : وسُرَّ الواثِقُ بما جرى ، وأمَرَ إبراهيمَ بنَ رِيـاح فاقْترض لـه ثلثمائة أَلـفِ درهم ، ففرّقها على الجلساء ، ثم عَرَف غَضَب المعتصم على عبدِ الله بن العبّاس واطراحَه إيّاه ، فاطّرَحَه هو أيضاً . فلمّا وَلي الخلافة استمرَّ على جَفائه ، فقال عبدُ الله : [من الكامل]

ما لي جُفِيتُ وكنتُ لا أُجفى أيّـام أرهَـبُ سطوةَ السَّيفِ
أدعُو إلهـي أن أَراكَ خليفـةً بـين المقـامِ ومَسجد الخَيْفِ

ودَسَّ مَنْ غنَّاه الواثِق ، فلمّا سمعه سأَل عنه ، فعَرَف قائلَه ، فتذَمَّم[1] ودعا عبد الله فبَسَطَه ونادمَه إلى أن مات .

وذكر العتّابيَ عن ابن الكلْبيّ أنّ الواثِقَ كان يَشْتهي على عبد الله بن العبّاس : [من الخفيف]

أيُّها العـاذِلُ جَهْـلاً تلـومُ قبل أن يَنْجاب عنه الصَّرِيمُ[2]

وأنّه غنَّاه يوماً فأَمَر بأن يَخلَعْ عليه خَلْعة ، فلم يَقْبلها لِيَمينه ، فشكاه إلى المعتصم ، فكاتَبه في الوقت ، فكَتَب إليه مع مسرور سُمَّانة : اقبَل خِلَع هارون فإنّك لا تَحْنَث ، فقبِلها وعَرَف الواثِقُ أنّـه وليُّ عهد .

[رؤية محبوبته في يوم الشعانين]

حدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني شَيْبَةُ بنُ هِشام ، قال : كان عبدُ الله بنُ العبّاس يَهْوى جاريةً نَصْرانيّة لم يكُن يصل إليها ولا يراها إلاّ إذا خرجت

1 تذمم : استحيا .
2 الصريم : القطعة من الليل .

إلى البِيعة ، فخرجنا يوماً معه إلى السَّعانين ، فوقف حتى إذا جاءت فرآها ، ثم أنشدَنا لنفسِهِ ، وغنّى فيه بعد ذلك : [من السريع]

صوت

إن كنتَ ذا طِبٍّ فداوِيني ولا تَلُم فاللّوم يُغريني

يا نظرةً أبقَتْ جَوًى قائِلاً من شادنٍ يومَ السَّعانينِ

ونظرةً من رَبْرَبٍ عِينٍ خرجْنَ في أحسَنِ تَزْيينِ[1]

خرجْنَ يَمْشين إلى نُزْهَةٍ عَواتِقاً بين البَساتينِ[2]

مُزَنَّراتٌ بهَمايينها والعَيشُ ما تَحْتَ الهَمايينِ[3]

لحن عبدِ اللهِ بنِ العبّاس في هذا الشعر هزج .

[يشرب ليلة الشك من رمضان]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا محمد بن عمر الجُرْجانيّ ، ومحمد بن حمّاد كاتِب راشد ، قالا : كتَبَ عبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ في يوم نَيْروز ، واتّفقَ في يوم الشَّكّ بين شَهْرَي رمضان وشَعْبان ، إلى محمد بن الحارث بن بُسْخُنّر يقول : [من المديد]

اسْقني صفراءَ صافيةً ليلةَ النَّيروزِ والأَحَدِ

حَرَّمَ الصَّومُ اصطِباحَكما فتزوَّدْ شُربَها لغَدِ

وأْتِنا أو فادْعُنا عَجِلاً نَشْتَرِك في عِيشَةٍ رَغَدِ

قال : فجاءه محمد بنُ الحارث بن بُسْخُنّر فشربا ليلتهما .

[صنع لحناً للواثق فأجازه]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المكّيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ العبَّاس الربيعيّ قال : جمع الواثِقُ يوماً المُغنّين ليَصْطَبِح ، فقال : بحياتي إلاّ صنعتَ لي هَزَجاً حتى أدخل وأخرُج إليكم السّاعة . ودخل إلى جواريه ، فقلتُ هذه الأبيات وغنّيتُ فيها هَزَجاً قبل أن يَخرُج ، وهي : [من الرمل]

1 الربرب : القطيع من الظباء أو البقر الوحشي أو الأنسي .

2 عواتق : جمع عاتقة ، وهي الشابة في أوّل الإدراك خدرت في البيت ولم تبن للزواج .

3 الهمايين : جمع هميان ، وهو كيس تحمل فيه النقود .

صوت

بأبـــي زَورٌ أتـــاني بـــالغَلَسْ ... قُمتُ إجـلالاً لـه حتى جَلَسْ
فتعانَقْنـــا جميعـــاً ساعـــةً ... كادَتِ الأرواحُ فيهـــا تُختلَسْ
قلـتُ : يـا سُؤْلي ويا بدرَ الدُّجى ... في ظَلامِ اللَّيلِ ما خِفتَ العَسَسْ ؟
قـال : قـد خِفْتُ ولكنّ الهوى ... آخـذٌ بـالرُّوحِ منّـي والنَّفَسْ
زارني يَخْطِـرُ في مِشْيَتِـه ... حوله مـن نُـورِ خَدَّيْـهِ قَبَسْ

قال : فلمّا خرج من دار الحُرَم قال لي : يا عبدَ الله ، ما صنَعْت ؟ فاندفعتُ فغنَّيته ، فشَرِب حتى سَكِر ، وأمَرَ لي بخَمْسة آلافِ دِرْهم ، وأمرني بطَرْحِه على الجواري ، فطرحْتُه عليهنّ .

[لحن في شعر يوسف بن الصّيقل]

أَخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا أَبو أَيُّوب المَدِينيّ ، عن حمّاد قال : من مَلِيح صَنْعةِ عبدِ الله بنِ العبّاس الربيعيّ ، والشِّعْر ليُوسُف بنِ الصّيقل ، ولحنه هزج : [من المتقارب]

صوت

أَبعـدَ المواثيـــق لي ... وبعـد السؤال الحَفي
وبَعْـد اليَمِـين التي ... حَلفْتِ على المُصحَفِ
تركتِ الهَـوى بيننا ... كضـوءِ سراجٍ طُفي
فليتـكِ إذ لم تَفـي ... بوعـدك لم تَحلفـي

[غناء بشعر الأحوص]

حدَّثني الصّوليّ قال : حدَّثني يزيدُ بنُ محمد المُهلّبيّ ، قال : كان الواثق قد غضِب على فريدةَ لكلام أخفته إيّاه فأغضبَتْه ، وعرَفْنا ذلك وجلس في تلك الأيّام للصَّبُوح ، فغنَّاه عبدُ الله بنُ العبّاس : [من البسيط]

صوت[1]

لا تأمني الصَّرمَ منّـي أَن تَرَى كَلَفي ... وإن مَضـى لصفـاء الـوُدِّ أَعصارُ
مـا سُمّـي القَلْبُ إلاّ مـن تَقلُّبِه ... والرأْيُ يُصرَفُ والأَهـواءُ أَطـوارُ
كم مِنْ ذَوِي مِقَـةٍ قَبْـلي وقَبْلَكمُ ... خانوا فأَضْحَوا إلى الهِجْرانِ قد صارُوا

فاستعادَه الواثِقُ مِراراً ، وشرِب عليه وأُعجِب به ، وأَمَر لعبد الله بألف دِينار وخَلَع عليه .

1 ديوان الأحوص (السامرائي) : 88 .

الشعر للأحْوَص ، والغناء لعبدِ اللهِ بنِ العبَّاس هَزَج بالوسطى عن عمرو .

[المتوكّل يفضله على المغنّين]

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامة ، قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن العبَّاس بن الفضل بن الرَّبيع ، قال : غنَّيتُ المتوكِّل ذاتَ يوم : [من الطويل]

أحبّ إلينا منك دَلاًّ ومـا يَرى ... له عند فِعْلي من ثَوابٍ ولا أجْرِ

فطَرِب وقال : أحسنْتَ واللهِ يا عبدَ الله ، أما واللهِ لو رآكَ النَّاسُ كُلُّهم كما أراكَ لَما ذكَروا مُغنِّياً سِواك أبداً .

[ثناء ابن الزيات عليه]

نسختُ من كتاب لأبي العَبَّاس بنِ ثَوابة بخَطِّه : حدَّثني أحمدُ بنُ إسماعيل بن حاتِم قال : قال لي عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ : دخلتُ على المُعتصم أودِّعه وأنا أُريد الحجَّ ، فقبَّلْت يدَه وودَّعْتُه . فقال : يا عبدَ الله إنّ فيك لخِصالاً تُعجِبُني كثَّر اللهُ في مواليَّ مِثْلَك . فقبَّلتُ رجلَه والأرضَ بين يديه ، وأحسنَ محمدُ بنُ عبد الملِك الزيَّات محضري وقال له : إنّ له يا أميرَ المؤمنين ، أدباً حَسَناً وشِعْراً جيِّداً . فلمّا خرجْتُ قلتُ له : أيُّها الوزير ، ما شِعْرِي أنا في الشعر تَسْتَحسِنه وتُشيد بذكره بين يدَي الخليفة ؟ فقال : دَعنا منك ، تنتفي من الشِّعر وأنتَ الذي تقول : [من المجتث]

يــا شادِنـاً مَـرَّ إذ را ... مَ في السَّعانــين قَتْـلي

يَقولُ لي : كيف أصبحْ ... تَ ، كيف يُصبح مِثْلي !

أحسنْتَ والله في هذا ، ولو لَم تَقُل غيرَ هذا لكنتَ شاعِراً[1] .

[سوار يطلب منه لحناً]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : قال أبي : قال عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ : لَقِيَني سَوّارُ بنُ عبدِ الله القاضي ، وهو سوّار الأصغر ، فأصغى إليَّ وقال : إنَّ لي إليك حاجةً فأتِني في خَفْيٍ . فجئتُه ، فقال : لي إليك حاجة قد أنِستُ بك فيها ، لأنّك لي كالوَلَد ، فإن شرطتَ لي كِتمانَها أفضَيْتُ بها إليك . فقلتُ : ذلك للقاضي عليَّ شرطٌ واجبٌ . فقال : إنِّي قلتُ أبياتاً في جارية لي أميلُ إليها وقد قَلَتْني وهجَرَتْني : وأحبَبْتُ أن تَصْنَعَ فيها لحناً وتسْمِعِنيه ، وإن أظهرَته وغنَّيْتَه بعد ألاّ يعلَم أحدٌ أنّه شِعري ، فلستُ أُبالي ، أتفعَل ذلك ؟ قلتُ : نعم حُبّاً وكرامة ، فأنشدَني : [من الطويل]

---

1 قارن بما تقدم .

صوت

سَلَبْتِ عِظامي لحمَها فتركْتِها عَواريَ في أَجْلادِها تَتَكَسَّرُ[1]
وأخليتِ منها مُخَّها فكأنّها أنابيبُ في أجوافِها الرِّيح تصفِرُ
إذا سَمِعتْ باسْم الفِراق ترعَّدَت مفاصِلُها من هَوْلِ ما تتحذَّرُ
خُذِي بيَدي ثم اكْشفي الثوبَ فانظُري بِلى جَسَدي لكِنَّني أَتَستَّرُ
وليس الذي يَجْري من العينِ ماؤُها ولكنّها رُوحٌ تَذُوبُ فتَقْطُرُ

اللحن الذي صَنَعه عبدُ الله بنُ العبَّاس في هذا الشعر ثقيل أوّل ، قال عبدُ الله : فصَنَعتُ فيه لَحْناً ، ثم عرّفتُه خبرَه في رُقْعة كَتَبْتُها إليه ، وسألتُه وَعْداً يَعِدني به للمصير إليه . فكتب إليَّ : نظرتُ في القِصَّة فوجدتُ هذا لا يصلُح ولا ينكتم عليّ حُضورُك وسَماعي إيّاك ، وأسألُ الله أن يسُرَّك ويُبقيك . فغنَّيت الصوتَ وظَهَر حتى تَغَنَّى به الناسُ ، فلَقِيَني سَوَّار يوماً فقال لي : يا ابن أخي ، قد شاع أمرُك في ذلك الباب حتى سَمِعْناه من بُعْد كأنَّا لم نعرف القصَّة فيه ، وجعلْنا جميعاً نضحك .

[لحن في شفاء خادم]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : كان بِشْرٌ خادِمُ صالح بن عُجَيف عليلاً ثم بَرِىءَ . فدخل إلى عبدِ اللهِ بن العبَّاس ، فلمّا رآه قام فتلَقّاه وأجلسه إلى جانبه ، وشَرِب سُروراً بعافِيَته ، وصنع لحناً من الثقيل الأوّل هو من جيِّد صَنْعتِه : [من البسيط]

صوت

مَوْلاي ليس لِعَيْشٍ لستَ حاضِرَه قَدْرٌ ولا قِيمَةٌ عندي ولا ثَمَنُ
ولا فَقَدتُ من الدُّنيا ولذَّتِها شَيئاً إذا كان عندي وَجهُكَ الحَسَنُ

[غنّى الواثق بعد شفائه فأجازه]

حدَّثني محمدُ بن مَزْيد بن أَبي الأَزْهر قال : حدَّثنا حمَّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ قال : جَمَعَنا الواثِقُ يوماً بعَقِب عِلّة غليظة كان فيها ، فعُوفي وصَحَّ جِسمُه ، فدخلتُ إليه مع المغنِّين وعُودي في يَدِي ، فلمّا وقَعَتْ عيني عليه من بعيد ، وصِرْتُ بحيث يَسْمَع صوتي ، ضربتُ وغنَّيتُ في شِعرٍ قلتُه في طريقي إليه ، وصنَعتُ فيه لحناً وهو : [من الكامل]

1 الأجلاد : جمع جلد ، وهو الجسم والأعضاء . انظر اختلاف الروايات وتخريجها في ديوان مجنون ليلى (فراج) : 134 .

صوت

اسلَـمْ وعَمَّـرَكَ الإلــهُ لأُمَّةٍ بِكَ أُصْبَحَت قَهَرَتْ ذَوي الإلحادِ
لــو تَسْتَطِيعُ وَقْتَــك كُلَّ أذِيَّـةٍ بــالنَّفْسِ والأَمْــوالِ والأَولادِ

فضَحِك وسُرَّ وقال : أَحسَنْتَ يا عبدَ الله وسَرَرْتَني ، وتيمّنتُ بابْتِدائِك ، ادْنُ منّي . فدَنَوْتُ منْه حتى كنتُ أقربَ المغنّين إليه ، ثم استعادني الصوتَ ، فأعدْتُه ثلاثَ مرّات ، وشَرِب عليه ثلاثةَ أقداح ، وأمَرَ لي بعشرة آلاف دِرْهم وخِلعة من ثيابه .

[وداع مفاجىء]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عَوْنُ بنُ محمد الكِنْديّ قال : كان عبدُ الله بنُ العبَّاس بنِ الفَضْلِ بن الرَّبيع يَهْوى جارِيةً نَصرانِيّة ، فجاءَته يوماً تُودِّعُه ، فأَعلَمَتْه أَنَّ أَباها يُريدُ الانحدار إلى بغداد والمُضيّ بها معه ، فقال في ذلك وغنّى فيه : [من مجزوء الرجز]

صوت

أَفدي التي قُلتُ لهـا والبَيْنُ منّا قـد دَنا :
فَقدُكِ قد أَنحلَ جِسْمِـي وأَذابَ البَدَنـا
قالت : فمـاذا حِيلَتي كذاك قـد ذبـتُ أَنا
باليأس بعـدي فاقتنع قلت : إذاً قَـلَّ الغَنا

[علي بن عيسى يؤجّل الصوم للشرب]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عَوْنُ بنُ محمد ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ عيسى بن جعفر الهاشميّ ، قال : دخَلَ عليَّ عبدُ الله بنُ العبَّاس في يوم النِّصف من شَعبان ، وهو يوم سَبْت ، وقد عزمْت على الصَّوم ، فأخذ بعِضادَتي باب مجلسي ، ثم قال : يا أميري : [من المنسرح]

تُصْبِـحُ في السّبتِ غَيْرَ نشوانِ وقد مَضى عنك نِصفُ شعبانِ !

فقلت : قد عَزَمتُ على الصوم ، فقال : أَفَعَلَيك وزرٌ إن أفطرتَ اليوم ، لمكاني وسررتني بمساعدتك لي ، وصُمتَ غداً ، وتصدَّقتَ مكانَ إفطارِك ؟ فقلت : أفعل ، فدعَوتُ بالطَّعام فأَكَلتُ ، وبالنبيذ فشَرِبْنا ، وأصبح من غد عندي ، فاصْطَبَح وساعدتُه ، فلمّا كان اليوم الثالث انتبهتُ سَحَراً وقد قال هذا الشعرَ وغنّى فيه : [من المجتث]

شعبـانُ لم يبـقَ منـه إلاّ ثَـــلاثٌ وعَشْرُ
فباكِــر الرّاحَ صِرْفـاً لا يَسْبِقَنَّـكَ فَجْـرُ

فإن يَفتُكَ اصْطِباحٌ فلا يفوتَنْك سُكْرُ
ولا تُنادِم فتًى وقـ ـتُ شُربه الدَّهْرَ عَصرُ

قال : فأطرَبَني واصطَبَحت معه في اليوم الثّالث ، فلمّا كان في آخر النَّهار سَكِر ، وانصرف ، وما شَرِبنا يومَنا كُلَّه إلاّ على هذا الصَّوت .

[طلب من المتوكّل الشرب في آخر شعبان]

حدَّثَني عمّي قال : حدَّثني ابن دِهْقانة النديم قال : دخَلَ عبدُ الله بن العبّاس إلى المُتوكّل في آخرِ شعبان فأنشدَه : [من الخفيف]

عَلِّلاني نَعِمْتُما بمُدامِ واسْقِياني من قَبْلِ شَهْر الصِّيامِ
حرَّم اللهُ في الصِّيامِ التَّصابي فترَكناه طاعةً للإمامِ
أظهرَ العَدْلَ فاسْتَنارَ به الدِّيـ ـنُ وأحيا شرائِعَ الإسلامِ

فأَمَر المتوكِّل بالطَّعام فأُحضِر ، وبالنَّديم وبالجَلساء فأُتي بذلك ، فاصطَبَح وغنَّاه عبدُ الله في هذه الأبيات ، فأمَرَ له بعشرة آلافِ دِرْهم .

[يحتال لإسقاط الربا]

أخبرني الحَسَن بن عليّ قال : حدَّثنا يَزِيد بنُ محمد المُهلَّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بنُ العبّاس قال : كُنتُ مُقيماً بسُرّ مَنْ رأى وقد رَكِبَني دَيْن ثقيل أكثرُه عِينَةٌ[1] وربِاً ، فقلتُ في المتوكِّل : [من المديد]

اسقِياني سَحَراً بالكُبَرْهْ ما قَضى اللهُ فَفِيه الخِيَرَهْ[2]
أكرمَ اللهُ الإمامَ المرتَضى وأطالَ اللهُ فينا عُمُرَهْ
إن أكُن أُقْعِدْتُ عنه هكذا قدَّرَ اللهُ رَضِينا قَدَرَهْ
سرَّه اللهُ وأبقاه لنا ألفَ عام وكَفانا الفَجَرَهْ

وبعثتُ بالأبيات إليه ، وكنتُ مُسْتَتِراً من الغُرَماء . فقال لعُبيد الله بن يحيى : وَقِّع إليه : مَنْ هؤلاء الفجَرة الذين استكفيتَ الله شَرَّهم ؟ فقلتُ : المعيَّنون الذين قد رَكِبَني لهم أكثر ممّا أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا . فأمر عُبَيد الله أن يقضيَ دَيْني ، وأن يَحْتَسِب لهم رؤوسَ أموالهم ، ويُسقِط الفَضْل ، ويُنادي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يَقضي أحدٌ أحداً إلاّ رأسَ ماله . وسَقَطَ عنّي وعن النَّاس من الأرباح زُهاءَ مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببَها .

---

1 العِينة : بيع الشيء لأجل بزيادة على ثمنه انتظاراً للثمن ، للخلاص من الربا .

2 الكبرة : الكبير جداً .

[عتب على عدم العيادة]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عونُ بنُ محمد الكِنْديّ قال : حدَّثني أبي قال : مَرِض عبدُ الله بن العبّاس بسُرّ مَن رأى في قَدْمةٍ قَدِمها إليها ، فتأخَّر عنه مَنْ كان يَثِق به ، فكتب إليهم : [من الطويل]

ألا قُـلْ لِمَـن بالجانِبَيْن بأنَّنـي مـريضٌ عـداني عن زِيارَتهم ما بِي

فَلَـو بهـمُ بعضُ الذي بـي لزرتُهمْ وحاشَ لهم من طُولِ سُقْمي وأوصابي

وإن أقشَعتْ عنّـي سَحابَـةُ عِلَّتـي تَطاوَلَ عَتْبـي أن تأخَّـر إعتابي

قال : فما بَقِي أحدٌ من إخوانه إلاّ جاءه عائداً مُعتَذِراً .

[غناء عند علويه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بنُ محمد بن موسى قال : سمِعتُ عبدَ الله بنَ العبّاس يُغنّي ونحن مُجتمعون عند علُّويَه بشِعْر في النّصرانيّة التي كان يَهْواها والصَّنعة له : [من الرمل]

صوت

إنَّ في القَلْبِ من الظَّبْي كُلـومْ فـدَعِ اللَّومَ فإنّ اللَّـوْمَ لُـومْ

حبَّـذا يـومُ السَّعانين ومـا نِلْتُ فيـه مـن نَعيمٍ لو يَدُومْ

إن يَكُن أعظمتَ أنْ هِمْتُ به فالذي تَرْكَب من عَذْلي عَظِيمْ

لم أكُن أوَّلَ مَـنْ سَنَّ الهَوى فدَعِ اللَّـومَ فـذا داءٌ قدِيمْ

الغناء لعبدِ الله هزج بالوسطى .

[يعلّم وصيفته الغناء]

حدَّثني أبو بكر الرَّبيعيّ قال : حدَّثتني عمَّتي ، وكانت رُبِّيت في دار عمّها عبد الله بن العبّاس ، قالت : كان عبدُ الله لا يفارق الصَّبوحَ أبداً إلاّ في يوم جُمُعة ، أو شهر رمضان ، وإذا حَجَّ . وكانت له وَصِيفَة يقال لها : هَيْلانـة قد ربَّاها وعلَّمها الغناء ، فأذْكرُه يوماً وقد اصطَبَح ، وأنا في حجره جالِسة والقدح في يدِهِ اليُمْنى ، وهو يُلقي على الصَّبيّة صوتاً أوَّله : [من مجزوء الرمل]

صدعَ البـينُ الفُؤادا إذ به الصائحُ نادَى

فهو يردِّدُه ويومىءُ بجميع أعضائه إليها يُفهِمها نَغَمه ، ويُوقِّعه بيده على كتفي مرّة وعلى فَخِذي أخرى ، وهو لا يدري حتى أوجعَني . فبكَيت وقلتُ : قد أوجعَتْني مِمّا تضرِبُني وهَيلانة لا تأخذُ الصوت وتضرِبني أنا . فضَحِك حتى استلقى واستَمْلح قولي ، فوهب لي

ثوبَ قَصَب أصفر ، وثلاثةَ دنانير جُدُداً . فما أنسى فَرَحي بذلك وقِيامي به إلى أُمِّي ، وأنا أعدو إليها وأضحَك فَرَحاً به .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

صدَعَ البَيْنُ الفُؤادا ... إذ به الصائِحُ نادى
بيْنما الأحبابُ مَجْمو ... عون إذ صاروا فُرادى
فأتى بعضٌ بِلاداً ... وأتى بعضٌ بِلادا
كُلَّما قُلْتُ : تَناهى ... حَدَثانُ الدَّهر عادا

الشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو .

صوت[1]

[من الكامل]

حضر الرحيل وشُدَّت الأحداجُ ... وغدا بهنّ مُشمِّرٌ مِزعاجُ[2]
للشوق نيرانٌ قَدَحْنَ بقلبِه ... حتى استمرَّ به الهَوى المِلجاجُ
أَزعِجْ هواكَ إلى الذين تحبُّهمْ ... إنّ المحبَّ يسوقُه الإزعاجُ
لم يُدنِيَنَّك للحبيب ووصلِه ... إلاّ السُّرى والبازلُ الهَجْهاجُ[3]

الشعر لسَلْم الخاسر ، والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أوّل بالوسطى .

---

1 شعراء عباسيون (غرونبام) : 95-96 .
2 الأحداج : جمع حدج ، وهو مركب للنساء كالهودج .
3 الهجهاج : الشديد الهدير .

[408] ـ أخبار سلم الخاسر ونسبه[1]

[نسبه]

سَلْمُ بنُ عمرٍو مولى بني تَيْمِ بنِ مرّة ، ثم مولى أَبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه . بصريّ ، شاعرٌ مطبوعٌ متصرّفٌ في فنون الشّعر ، من شعراء الدولة العباسيّة .

وهو راوية بشارِ بنِ بُرْد وتلميذُه ، وعنه أَخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونَمَطه قال الشعر .

[تلقيبه بالخاسر]

ولُقّب سلمٌ بالخاسرِ ، فيما يقال ، لأنّه ورِث من أَبيه مُصْحَفاً ، فباعه واشترى بثمنه طُنْبوراً . وقيل : بل خلّف له أبوه مالاً ، فأنفقه على الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنّك لخاسرُ الصفقة ، فلقّب بذلك .

[انقطاعه إلى البرامكة]

وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ ، ولأَبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنّين ، ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية ، وكان سلمٌ منقطعاً إلى البرامكة ، وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم . وفيه يقول أَبو العتاهية[2] : [من الرمل]

إنّمـا الفضل لِسَلْمٍ وحـدَه ليس فيـه لسوى سَلْمٍ دَرَكْ[3]

وكان هذا أحدَ الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية . ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حجّ مع عُتبة[4] : [من المنسرح]

واللهِ واللهِ مـا أُبـالي متـى ما متُّ يـا سَلْمُ بَعْدَ ذا السفرِ
أَليس قد طُفْتُ حيث طافت وقبّـ ـلتُ الذي قبلَتْ من الحجرِ

1 ترجمة سلم الخاسر في معجم الأدباء (عباس) : 1382–1384 ووفيات الأعيان 2 : 350–352 (سالم الخاسر) وطبقات ابن المعتز : 99–105 . وقد جمع غرونبام شعره في «شعراء عباسيون» ترجمة د . محمد يوسف نجم (بيروت ـ 1959) .
2 ديوان أبي العتاهية : 596 .
3 درك : الإدراك واللحاق .
4 ديوان أبي العتاهية : 549 .

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبس إبراهيمُ الموصليُّ[1] : [من الخفيف]

سَلمُ يـا سلمُ ليس دونك سِرٌّ حُبس الموصـليُّ فالعيش مُـرُّ
ما استطاب اللذاتِ مذ سَكَن المُطْـ ـبقَ رأسُ اللـذاتِ والله حُرُّ[2]
تَـرَك الموصليُّ مَـن خَلَق اللـ ـهُ جميعـاً وعيشهم مُقْشعِرُّ

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليُّ بن الحسن الواسطيُّ ، قال : حدَّثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر . قال : لمّا مات عمرْو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثَه ، فوقع في قِسْط سَلْم مصحفٌ ، فردَّه وأخذ مكانه دفاترَ شعر كانت عند أبيه ، فلُقِّب الخاسرَ بذلك .

[سلم الرابح]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : ورِث سلمُ الخاسِر أباه مائةَ ألف درهم ، فأنفقها على الأدب ، وبقي لا شيءَ عنده ، فلقبه الجيران ومَن يعرفه بسلم الخاسر ، وقالوا : أنفق مالَه على ما لا ينفعه . ثم مدح المهديّ ، أو الرشيد ، وقد كان بلغه اللقبُ الذي لُقِّب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : كذِّب بهذا المال جيرانَك ، فجاءهم بها ، وقال لهم : هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سَلْم الرَّابح ، لا سَلْم الخاسر .

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ عمار ، قال حدَّثني عليّ بن محمد بن النوفليّ ، عن أبيه ، قال : إنّما لُقِّب سَلْم الخاسر لأنّه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه ، واشترى بثمنه طُنبوراً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفضل ، قال : قال لي الجَمّاز : سلم الخاسر خالي لَحًا[3] ، فسألته : لم لقب الخاسر ؟ فضحك ، ثم قال : إنّه قد كان نَسَك مدّة يسيرة ، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه ، وباع مصحفاً له وَرِثه عن أبيه ، وكان لجدّه قبله ، واشترى بثمنه طُنْبوراً . فشاع خبره وافتَضَح ، فكان يقال له : ويلك ! هل فعل أحد ما فعلتَ ؟ فقال : لَمْ أجِد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا .

[غضب عليه بشار]

أخبرني عمِّي ، قال : أنبأنا عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني أحمد بن صالح المؤدّب ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة ، قال : حدَّثني أبي ، عن أحمد بن صالح قال ، قال

---

1 ديوان أبي العتاهية : 535 .
2 الديوان : رأس اللذات في الناس حر .
3 لحا : ملاصقاً .

بشّارُ بن برد[1] : [من البسيط]

صوت

لا خَيْرَ في العيشِ إن دُمنا كذا أبداً ... لا نلتقي وسبيلُ المُلْتَقى نَهَجُ[2]

قالوا حَرامٌ تلاقِينا فقلتُ لهمْ ... ما في التّلاقي ولا في غيرِه حرَجُ

مَنْ راقَبَ النّاسَ لم يظفَرْ بحاجتِه ... وفاز بالطّيّباتِ الفاتكُ اللهِجُ[3]

قال : فقال سلم الخاسر أبياتاً ، ثم أخذ معنى هذا البيت ، فسلخه ، وجعله في قوله[4] : [من مخلع البسيط]

مَن راقب الناسَ ماتَ غَمّاً ... وفاز باللذة الجَسورُ

فبلغ بيتُه بشاراً ، فغضب واستَشاط ، وحلف ألاّ يدخلَ إليه ، ولا يفيدَه ولا ينفعه ما دام حيّاً . فاستشفَع إليه بكلِّ صديق له ، وكلِّ مَن يَثقُل عليه ردُّه ، فكلّموه فيه ، فقال : أدخلوه إليّ ، فأدخلوه إليه فاستدناه ، ثم قال : إيه يا سلم ، مَن الذي يقول : [من البسيط]

مَن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه ... وفاز بالطّيّباتِ الفاتكُ اللهِجُ

قال : أنت يا أبا معاذ ، قد جعلني اللهُ فداءكَ ! قال : فمن الذي يقول : [من مخلع البسيط]

مَن راقبَ الناسَ ماتَ غَمّاً ... وفازَ باللذةِ الجسورُ

قال : تلميذك ، وخرِّيجك ، وعبدك يا أبا معاذ . فاجتذبه إليه ، وقنّعه[5] بمِخْصَرة كانت في يده ثلاثاً ، وهو يقول : لا أعود يا أبا مُعاذ إلى ما تُنْكره ، ولا آتي شيئاً تذُمّه ، إنّما أنا عبدك ، وتلميذك ، وصَنيعَتك ، وهو يقول له : يا فاسق ! أتجيء إلى معنًى قد سَهِرَت له عيني ، وتعِب فيه فِكري ، وسَبقتُ الناسَ إليه ، فتسرِقَه ، ثم تختصرَه لفظاً تُقرِّبه به ، لِتُزْريَ عليّ ، وتُذهب بيتي ؟ وهو يحلف له ألاّ يعود ، والجماعة يسألونه . فبَعد لأْيٍ وجهد ما شفّعهم فيه ، وكفَّ عن ضربه ، ثم رجع له ، ورضي عنه .

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار ، قال : أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور ، قال : حدَّثني عبدُ الوهاب بنُ مرّار ، قال : حدَّثني أبو معاذ النُّميريّ راوية بشّار ، قال :

---

1 ديوان بشار : 167 .

2 نهْج : واضح ، وحركها للوزن .

3 اللهج : المولع .

4 شعراء عباسيون : 104 .

5 قنعه : غشاه .

قد كان بشّار قال قصيدة فيها هذا البيت : [من البسيط]

مَن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه وفـاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللهجُ

قال : فقلت له يا أبا مُعاذَ قد قال سلم الخاسر بيتاً ، هو أحسنُ وأخفّ على الألسن من بيتك هذا ، قال : وما هو . فقلت : [من مخلع البسيط]

مَـن راقب الناسَ مـات غَمّاً وفـاز باللـذّة الجسورُ

فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله لَوَدِدت أنّه ينتمي في غيرِ ولاء أبي بكر ، رضي الله عنه ، وأنّي مُغرَم ألف دينار محبّة منّي لِهَتْك عرضِه وأعراض مواليه ! قال : فقلت له : ما أخرجَ هذا القولَ منك إلاّ غمّ . قال : أجل ، فوالله لا طَعِمت اليوم طعاماً ، ولا صُمْت .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق بنِ محمد النَّخَعيّ ، قال : قال أبو معاذ النميريّ : قال بشّار قصيدة ، وقال فيها : [من البسيط]

مَن راقبَ الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِهِ وفاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللهجُ

فعرّفته أنّ سلماً قد قال : [من مخلع البسيط]

مَـن راقب الناسَ مـات غَمّاً وفـازَ باللـذةِ الجسورُ

فلمّا سمع بشار هذا البيت قال : سار والله بيتُ سلم ، وخَمَل بيتُنا ! قال : وكان كذلك ، لَهج الناسُ بِبَيت سلم ، ولم يُنشِد بيتَ بشارٍ أحدٌ .

[قوله في قصر صالح بن المنصور]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ ، قال : لمّا بَنى صالح بن المنصور قصرَه بدِجْلة قال فيه سَلْم الخاسر[1] : [من السريع]

يـا صالحَ الجودِ الذي مَجدُه أفْسَدَ مجـدَ النـاسِ بالجودِ
بَنَيـتَ قصراً مشْرفـاً عالِيـاً بطائـرَيْ سعـدٍ ومسعودِ
كأنّمـا يَرفَـعُ بنيانَـه جِـنُّ سليمـانَ بـنِ داودِ
لا زلتَ مسروراً بـه سالمـاً على اختـلاف البيضِ والسودِ

يعني الأيّام والليالي ، فأمر له صالح بألف درهم .

1 شعراء عباسيون : 97–98 .

[ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشّار وأخرى له]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني بعض آل ولد حمدونَ بن إسماعيل ، وكان ينادم المتوكّل ، عن أبيه ، قال : كان سلم الخاسر من غِلمان بشار ، فلمّا قال بشّار قصيدته الميميّة في عُمر بن العلاء ، وهي التي يقول فيها[1] : [من المتقارب]

إذا نَبَّهتْك صعابُ الأُمورِ فنبّه لها عُمراً ثم نَمْ

فَتًى لا يبيت على دِمْنَةٍ ولا يَشرب الماءَ إلاّ بِدَمْ[2]

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء ، فوافاه فأنشده إيّاها ، فأمر لبشّار بمائة ألف درهم . فقال له سلم : إنَّ خادمك ، يعني نفسه ، قد قال في طريقه فيك قصيدة ، قال : فإنّك لَهُناك ؟ قال : تسمع ، ثم تَحْكُمُ ، ثم قال : هاتِ ، فأنشدَه[3] : [من السريع]

صوت

قد عزّني الدّاءُ فما لي دَواءْ مِمّا أُلاقي مِن حِسانِ النساءْ

قَلْبٌ صحيحٌ كنت أَسطو به أَصبحَ مِن سَلْمى بِداءِ عَياءْ

أَنفاسها مِسك وفي طَرْفِها سِحر وما لي غيرها من دواءْ

وَعَدْتِني وَعْداً فأوفى به هل تَصْلُح الخمرة إلاّ بماءْ

ويقول فيها :

كم كُرْبَةٍ قد مَسَّني ضُرُّها نادَيتُ فيها عُمَر بن العلاءْ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوَّلَ عطيّة سنيّة وصلت إليه .

[صداقته مع عاصم بن عتبة]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : وجَدْت في كتاب بخطّ الفضل بن مروان : وكان عاصم بن عتبة الغسّانيّ جدُّ أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر ، كثيرَ البرّ به ، والملاطفة له ، وفيه يقول سَلْم[4] : [من مشطور الرجز]

---

1 ديوان بشار : 413 .

2 الدمنة : من معانيها الحقد القديم .

3 شعراء عباسيون : 92 .

4 شعراء عباسيون : 119–120 .

الجُود في قحطانٍ ... ما بَقِيتْ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبالي ... ما فَعَل الإخوانُ
ما ضَرَّ مُرْتَجيه ... ما فعل الزمانُ
مَن غاله مَخُوفٌ ... فعاصمٌ أمانُ

[يعطي ماله لعاصم]

وكان سبعين بيتاً ، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مَبْلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خَمسمائة ألفِ درهم ، فلمّا حضرَتْه الوفاة دعا عاصماً فقال له : إنّي ميِّت ، ولا ورثةَ لي ، وإنّ مالي مأخوذ ، فأنتَ أحَقّ به ، فدفع إليه خمسمائة ألفِ درهم ، ولم يكن لسلم وارث . قال : وكان عاصم هذا جواداً .

أخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن طَهمان ، قال : أخبرني القاسمُ بنُ موسى بنِ مَزْيد ، أنّ يزيدَ بنَ مزيد قال : ما حسَدْتُ أحداً قطُّ على شعر مُدِح به إلاّ عاصمٌ بن عُتْبة الغسّانيّ ، فإنّي حسدته على قول سلم الخاسر فيه : [من مشطور الرجز]

لِعاصمٍ سَماءٌ ... عارضُها تَهتانُ
أمطارُها اللجينُ ... والدرّ والعِقيانُ
ونارُه تنادي ... إذْ خبَتْ النِّيرانُ
الجودُ في قحطان ... ما بقيتَ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبالي ... ما فعل الإخوانُ
صَلْتٌ له المعالي ... والسيفُ والسنانُ

[يقدم أبا العتاهية على بشار]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا يعقوبُ بن نُعيْم عن محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، وأخبرني به الحسن بن علي ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن الغَريبي ، عن محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : كان سلم تلميذَ بشّار ، إلاّ أنّه كان تباعدَ ما بينهما ، فكان سلم يُقدِّم أبا العتاهية ، ويقول : هو أشعرُ الجنّ والإنس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً[1] : [من الوافر]

1 ديوان أبي العتاهية : 296-297 .

تعـالى اللهُ يا سلمَ بـنَ عمرو　　أذلَّ الحـرصُ أعنـاقَ الرجالِ
هَب الدُّنيا تصيرُ إليك عَفْواً　　أليس مصيـرُ ذاك إلى زوالِ

قال : وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه ، وقال : لعمري إنّ الحرص لَمَفسدَة لأمر الدِّين والدُّنيا ، وما فَتَّشت عن حريص قطّ مُغَيَّبِه إلاّ انكشف لي عمّا أذُمّه . وبلغ ذلك سلماً ، فغضب على أبي العتاهية ، وقال وَيْلي على الجَرّار ابنِ الفاعلة الزِّنْديق ! زعم أنّي حريص ، وقد كَنَز البُدور وهو يطلب وأنا في ثَوبيّ هذين ، لا أملك غيرهما . وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك .

[رده على أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال أخبرني محمد بن إسماعيل السَّدُوسيّ ، قال : حدَّثني جعفر العاصميّ ، وأخبرني عمِّي ، عن أحمد بن أبي طاهر ، عن القاسم بن الحسن ، عن زكريّا بن يحيى المدائنيّ ، عن عليّ بن المبارك القُضاعيّ ، عن سلم الخاسر : أنّ أبا العتاهية لمّا قال هذا الشعر فيه كتب إليه[1] : [من السريع]

مـا أقبحَ التزهيدَ مِـنْ واعظٍ　　يُزَهِّـدُ النـاسَ ولا يَزْهَـدُ
لـو كان في تزهيدِه صادقاً　　أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ
ورَفَضَ الدُّنيـا ولم يَلْقَهـا　　ولم يكُـن يسعى ويسْتَرفِدُ
يخـاف أن تنفـدَ أرزاقُـه　　والرزقُ عنـدَ اللهِ لا ينفَـدُ
الرِّزقُ مقسوم على مَنْ تَرى　　ينالُـــه الأبيض والأسودُ
كُلٌّ يُوفَّـى رزقَـه كامـلاً　　مَنْ كفَّ عن جهد ومَن يَجْهَدُ

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، قال : حدَّثني أبو العسكر المِسْمعيّ ، وهو محمد بن سليمان ، قال : حدَّثني العبّاس بن عبد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مسمع ، قال : كنّا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذٍ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد ؛ فقال لي : قُثَمُ : يا عبّاس ، اطلب لي الجَمّاز الساعة حيث كان فجئني به ، ولك سَبَق[2] ، فطلبته ؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكْن دار جعفر بن سليمان ، فقلت له : أجبْ الأميرَ . فقام معي حتى أتى قثمَ ، فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده ، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه ، وأنشد قولَ سلم الخاسر

1 شعراء عباسيون : 97 .

2 سبق : ما يتراهن عليه المتسابقون .

فيه : [من البسيط]

ما أَقبح التزهيدَ من واعظٍ يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان في تزهيدِه صادقاً أَضحى وأَمسى بيتَه المسجدُ

وذكر الأَبيات كلّها ، فقال أَبو العتاهية : مَن هذا أَعزّ الله الأَمير ؟ قال : هذا الجماز ، وهو ابن أُخت سلم الخاسر ، انتصر لخاله منك حيث قلت له : [من الوافر]

تعالى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرو أَذلّ الحرصُ أَعناق الرجالِ

قال : فقال أَبو العتاهية للجمّاز : يا ابن أَخي ، إنّي لم أَذهب في شعري الأَوّل حيث ذَهب خالُك ؛ ولا أردتُ أن أهتُف به ، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذَهَبْتَ من الحرص على الرزق ، واللهُ يغفر لكما . ثم قام فانصرف .

[صلاته من الرشيد والبرامكة]

أَخبرني عمّي ، عن أَحمد بن أَبي طاهر ، عن أَبي هَفّان ، قال : وصَلَ إلى سلم الخاسر من آل بَرْمَكَ خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عِشرون أَلف دينار ، ووصل إليه من الرشيد مثلُها .

[يطلب إلى أَبي محمد اليزيديّ أَن يهجوه فيفعل فيندم]

أَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمّاي عبيدُ اللهِ والفضلُ ، عن أَبيهما ، عن أَبي محمد اليزيديّ : أَنّه حضر مجلس عيسى بنَ عمر ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أَبا محمد ، اهْجُني عَلى رَوِيّ قصيدة امرىء القيس[1] : [من المديد]

رُبَّ رامٍ مِنْ بَني ثُعَلٍ مُتْلجٍ كفيه في قُتَرِهْ[2]

قال : فقلت له : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أُريد . فقلت له : يا هذا أَنا وأَنت أَغنى الناس عمّا تستدعيه من الشرِّ فلْتَسَعْك العافية ؛ فقال : إنّك لَتَحْتَجز منّي نهاية الاحتجاز ، وأراد أن يوهم عيسى أنّي مُفْحَم عَيِيٌّ لا أقدر عَلى ذلك ، فقال لي عيسى : أَسأَلك يا أَبا محمد بِحَقّي عليك إلاّ فَعَلْت . فقلت : [من المديد]

رُبّ مغمومٍ بعافيةٍ غَمَط النعمةَ من أَشَرِهْ[3]

---

1 ديوان امرىء القيس : 102 .

2 مثلج : مدخل . والقتر : جمع قترة ، وهي حفيرة يكمن فيها الصائد .

3 في رواية : غمط النعماء .

وامرىءٍ طالَت سلامتُه فرماه الدهرُ من غِيَرِهْ
بِسهامٍ غيرِ مُشْوِيَّةٍ نَقَضَت منه قُوى مِرَرِه[1]
وكذاك الدهر منقلِبٌ بالفتى حالين من عُصُرِهْ
يَخْلِط العُسْرَ بِمَيْسَرةٍ ويَسارُ المرء في عُسُرِهْ
عَقَّ سلمٌ أُمَّه صِغَرا وأبا سَلْم على كِبَرِهْ
كلَّ يومٍ خلفَه رجُل رامحٌ يسعى عَلى أَثَرِهْ
يُولِج الغُرْمُولَ سَبَّتَه كَوُلوجِ الضَّبِّ في جُحُرِهْ

قال : فاغتمّ سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشرّ . فضحك عيسى ، وقال له : قد جَهَد الرجل أن تَدَعه وصيانتَه ودينَه فأبيتَ إلاّ أن يُدْخِلك في حِرِ أُمك .

[يترفه ومروان يتخشن]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ ، قال : سمعت أبي يقول : كان المهديّ يعطي مروان وسلماً الخاسرَ عطيّة واحدة ، فكان سلم يأتي باب المهديّ على البِرْذَوْن الفارِه ، قيمته عشرة آلاف درهم ، بِسَرْجٍ ولِجام مفضَّضين ، ولباسُه الخَزّ والوَشْي ، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المِسكِ والطِّيب والغاليةِ تفوح منه ، ويجيء مروانُ بن أبي حفصة عليه فَرْوٌ كبلٌ وقميص كرابيس[2] وعمامة كرابيس وخفّا كَبْل وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة . وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَمَ إليه بُخْلاً ، فإذا قَرِم أرسل غلامه ، فاشترى له رأساً فأكله . فقال له قائل : أراك لا تأكل إلاّ الرأس ؛ قال : نعم ، أعرِف سعرَه ، فآمن خيانة الغلام ، ولا أشتري لحماً فيَطبخَه فيأكلَ منه . والرأس آكُلُ منه ألواناً : آكُلُ منه عينيه لوناً ، ومن غَلْصَمَتِهِ[3] لوناً ، ومن دماغه لوناً .

[بلي بالكيمياء]

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ ، قال : أخبرني أبي ، قال : كان سلم الخاسِر قد بُلي بالكيمياء فكان يذهب

1 أشوى : لم يصب مقتلاً . والمرر : جمع مرّة ، وهي طاقة الحبل .
2 فرو كبل : قصير . وكرابيس : جمع كرباس ، وهو ثوب من القطن أو الثوب الخشن .
3 الغلصمة : اللحم بين العنق والرأس أو رأس الحلقوم .

بِكُلِّ شيء له باطلاً . فلمّا أراد الله ، عزَّ وجلَّ ، أن يَصنع[1] له عُرِّف أنّ بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً ، وأنّه لا يصل إليه أحد إلاّ ليلاً ، فسأل عنه فدلّوه عليه .

قال : فدخلت إليه إلى موضع مُعْوِر[2] ، فدققت الباب فخرج إليّ ، فقال : مَن أنتَ عافاك الله ؟ فقلت : رجل معجَب بهذا العلم . قال : فلا تَشْهَرني ، فإنّي رجل مستور ، إنّما أعمل للقوت . قال ، قلت : إنّي لا أشهرك ، إنّما أقتبس منك ، قال : فاكتم ذلك . قال : وبين يديه كوزُ شَبَهٍ[3] صغيرٌ . فقال لي : اقلَعْ عُروتَه ، فقلعتها . فقال : اسبُكها في البُوطَقة ، فسبكتها ، فأخرجَ شيئاً من تحت مُصلاّه ، فقال : ذرّهُ عليه ، ففعلت . فقال : أفْرغه ، فأفرغتُه . فقال : دعه معك ، فإذا أصبحتَ فاخرُج ، فبعْه وعُدْ إليّ . فأخرجته إلى باب الشام ، فبعتُ المثقال بأحد وعشرين درهماً ، ورجعت إليه فأخبرته . فقال : اطلب الآن ما شئت . قلت : تفيدني . قال : بخمسمائة درهم على أن لا تعلِّمه أحداً ، فأعطيته . وكتب لي صفة ، فامتحنتُها ، فإذا هي باطلة . فعُدْت إليه ، فقيل لي : قد تحوّل ، وإذا عُروة الكوز المشَبَّه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شَبَه . ولذلك كان يُدْخل إليه مَن يَطلبه ليلاً ، ليخفي عليه ، فانصرفت ، وعلمت أنّ الله ، عزّ وجلَّ ، أراد بي خيراً ، وأنّ هذا كلّه باطل .

[رثاء البانوكة بنت المهدي]

أخبرني محمد بنُ عمران الصيرفيّ ، قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك اليمانيّ ، قال : حدَّثني أبو كعب قال : لمّا ماتت البانوكة بنت المهديّ رثاها سلم الخاسر بقوله[4] : [من السريع]

أودى ببانوكـةَ ريبُ الزمانْ مُـؤْنسةِ المهـديِّ والخيزُرانْ
لم تَـنْطـو الأرض على مِثلِهـا مولودةً حَـنَّ لهـا الوالدانْ
بانوكُ يـا بنتَ إمـام الهُدى أصبحْت من زينة أهلِ الجِنانْ
بَكتْ لـك الأرضُ وسُكّانُها في كلِّ أُفْق بين إنسٍ وجانْ

[هجاؤه والبة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو المستهِلّ الأسديّ ، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة ، قال : كان سلم الخاسر

1 يصنع له : يؤتيه الخير .
2 معور : لا يؤمن الشر فيه .
3 الشبه : النحاس الأصفر .
4 شعراء عبّاسيّون : 116 .

يهاجي والِبَة بن الحباب ، فأرسلني إليه سلم وقال : قُل له[1] : [من المنسرح]

يا والبَ بنَ الحُبابِ يا حَلَقي لَسْتَ من أهلِ الزناء فانطلِقِ
تُدخلُ فيه الغُرمولَ تولجه مثلَ وُلوج المِفتاحِ في الغَلقِ

قال : فأتيت والبة فقلت له ذلك ، فقال لي : قُل له : يا ابن الزانية ، سَلْ عنك ريعان التميميّ ، يعني أنّه ناكه ، قال : وكان رَيْعانُ لُوطيّاً آفةً من الآفات ، وكان علاّمةً ظريفاً .

قال : فحدَّثني جعفر بن قدامة عن محمد العِجْليّ ، عن أحمد بن معاوية الباهليّ ، قال : سمعت رَيعانَ يقول : نِكتُ الهيثم بنَ عديّ ، فمَن ترونه يُفلت منّي بعده ؟

[يعتذر لمدح بعض العلويين]

وأخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ ، قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ ، قال : كان سلم الخاسر مَدَح بعض العلويين ، فبلغ ذلك المهديَّ ، فتوعَّده وهمّ به ، فقال سلم فيه[2] : [من البسيط]

إنّي أتتني عن المهديّ مَعْتَبَةٌ تكاد من خوفِها الأحشاء تضطربُ
اسمعْ فداكَ بَنُو حواء كلُّهمُ وقد يجور برأس الكاذب الكذبُ
فقد حَلفتُ يميناً غيرَ كاذبة يوم المَغيبة لم يُقطَعْ لها سببُ
ألاّ يحالِفَ مدحي غيرَكم أبداً ولو تَلاقى عليّ الغَرْضُ والحَقَبُ[3]
ولو ملكتُ عِنان الريح أصْرِفها في كلّ ناحيةٍ ما فاتها الطلبُ
مولاك مولاك لا تُشمِت أعاديَه فما وراءَك لي ذِكْرٌ ولا نسبُ

فعفا عنه .

[يحسن الرثاء دون المدح]

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني العبّاسُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ ، قال : حدَّثني موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهاب المِسْمَعِيّ ، قال : سمعت أبا عبيدة مَعْمَر بنَ المثنى يقول : كان سَلْم الخاسر لا يحسن أن يَمْدَح ، ولكنّه كان يحسن أن يرثي ويسأل .

1 شعراء عباسيون : 108 .
2 شعراء عباسيون : 93-94 .
3 الغرض : كالحزام للرحل . والحقب : حزام يلي حقو البعير .

[يعد الرثاء قبل الوفاة]

أخبرني الحسنُ بن عليّ . قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ الحسن الشّيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو المُستَهِلّ ، قال : دخلتُ يوماً على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطِيسُ فيها أشعار يَرثي ببعضها أُمَّ جعفر ، وببعضها جاريةً غير مُسمّاة ، وببعضها أقواماً لم يموتوا ، وأُمُّ جعفر يومئذٍ باقية . فقلت له : ويحَك ! ما هذا ؟ فقال : تحدُث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يَجْمل بنا أن نقول غير الجَيِّد ، فنُعِدّ لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً ، على أنّه قيل في الوقت .

[بيت أبي العتاهية يعجب المأمون]

أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بنُ الحسين ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بنُ بَكّار ، قال : قال عبد الله بنُ الحسن الكاتب : أنشد المأمون قول أبي العتاهية : [من الوافر]

تعالى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرٍو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون : صدق لَعَمْرُ الله ، إنّ الحِرْص لَمفسَدَة للدِّين والمروءة ، والله ما رأيت من رجل قطّ حِرْصاً ولا شَرهاً ، فرأيت فيه مُصطَنعاً . فبلغ ذلك سلماً الخاسر ، فقال : ويلي على ابن الفاعلة بياع الخزَف ، كَنَزَ البُدور بمِثْل ذلك الشعر المفكّكِ الغثّ ، ثم تزهَّد بعد أن استغنى ، وهو دائباً يهتف بي ، وينسبني إلى الحرص ، وأنا لا أملك إلاّ ثوبيّ هذين .

[يشتري نفسه من أبي الشمقمق]

أخبرني عمِّي والحسنُ بنُ عليّ ، قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال حدَّثنا زكريّا بنُ مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلماً الخاسر بأن يهبَ له شيئاً ، وقد خرجَتْ لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق يهجوه[1] : [من البسيط]

يا أُمَّ سَلم هداكِ اللهُ زُورِينا ... كيما نَنِيكَكِ فَرْداً أو تَنِيكينا

ما إن ذَكَرْتُكِ إلاّ هاج لي شَبَقٌ ... ومثلُ ذِكْراكِ أُمَّ السلم يُشْجِينا

قال : فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أُحبّ أن تُعْفِيَني من استزارتكِ أُمِّي وتأخذ هذه الدنانير فتُنفِقها .

[شؤم يعقوب بن داود]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني يحيى بنُ الحسن بن

1 شعراء عباسيون : 150-151 .

عبد الخالق ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بنِ الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيعُ على المَهديِّ وأبو عبيد الله جالس يَعْرِض كتباً ، فقال له أبو عبيد الله : مُرْ هذا أن يتنحَّى ، يعني الربيع ، فقال له المهديّ : تَنَحَّ . فقال : لا أفعل . فقال : كأنَّك تَراني بالعَينِ الأُولى ! فقال : لا ، بل أراك بالعَينِ التي أنت بِها . قال : فلَمِ لا تتنحَّى إذا أمرتك ؟ فقال له : أنت رُكنُ الإسلام ، وقد قَتَلْتَ ابنَ هذا ، فلا آمَن أن يكون معه حَدِيدةٌ يَغتالُك بها . فقام المهديّ مذعوراً ، وأمر بتفتيشه ، فوجدوا بين جَوْرَبِه وخُفِّه سِكِّيناً ، فرُدَّت الأُمور كلُّها إلى الربيع ، وعُزِل أبو عبيد الله ، ووُلِّيَ يعقوبُ بنُ داود ، فقال سلم الخاسر فيه[1] : [من مجزوء الكامل]

يَعقُوبُ يَنظُر في الأمو ... رِ وأنت تَنظر ناحِيَهْ

أدخلتَه فعلا عليـ ... ـكَ كذاك شؤم الناصيَهْ

قال : وكان بلغ المهديَّ من جهة الربيع أنّ ابن أبي عُبيد الله زِنْدِيقٌ ، فقال له المهديّ : هذا حَسَدٌ منك . فقال : افحص عن هذا ، فإنْ كنتُ مُبْطِلاً بلَغْت منِّي الذي يَلزم مَن كذَبك . فأُتي بابنِ عبيد الله ، فقرَّره تقريراً خفيّاً ، فأقرَّ بذلك ، فاستتابه ، فأبى أن يتوب ، فقال لأبيه : اقتله فقال : لا تطيب نفسي بذلك . فقَتله وصلَبه على بابِ أبي عبيد الله .

قال : وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمقِ الناسِ : وهَب له المهديُّ وَصيفةً ، ثم سأله بعد ذلك عنها ، فقال : ما وَضَعتُ بيني وبين الأرضِ حشيّةً قَطُّ أوْطأ مِنها حاشا السامع ، فقال المهديّ لأبيه ، أتُراه يعنيني ، أو يعنيك ، قال : بَل يَعْني أُمَّه الزانية ، لا يكني .

[يمدح الفضل لأخذه البيعة للمهدي]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني يحيى بن الحسن ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كنت أنا والربيع نَسير قريباً مِن مَحْمِل المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدَّعَتْ ، وكأنّ رجلاً جاء بحَبَل أسود فشدَّدها . فقال له الربيع : مَن الرجل ؟ فلم يُجِبه ، حتى إذا اعتلَّ قال للربيع : أنت الرجل الذي رأيتُه في نومي شدّد الكعبة ! فأيَّ شيءٍ تعمل بعدي ؟ قال : ما كنت أعمل في حياتك . فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان ، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع[2] : [من البسيط]

يا ابن الذي جَبَر الإسلامَ يومَ وهي ... واستنقَذَ الناسَ مِن عَمْياءَ صَيْخودِ[3]

1 شعراء عباسيون : 120 .

2 شعراء عباسيون : 98 .

3 الصيخود : الصخرة الشديدة . ويعني هنا الفتنة الشديدة .

قالت قريشٌ غَداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ : أيــن الربيــع وأعطَــوْا بالمَقاليدِ
فقــام بالأمــرِ مئناسٌ بوَحْدَتِــه ماضي العزيمةِ ضرّابُ القَماحيدِ[1]
إنّ الأمورَ إذا ضاقَتْ مَسالِكُها حَلَّتْ يدُ الفَضْلِ مِنها كلَّ مَعقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضلَ قــد بَنَيــا رواقَ مجدٍ عــلى العبّــاسِ ممدودِ

قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

[حين عقدت البيعة للأمين]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا أبو هِفّان ، قال : حدَّثني سعيد أبو هُرَيم وأبو دَعامة ، قالا : لمّا قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقَد البَيعةَ لابنه محمد الأمين[2] : [من الكامل]

قــد بايَعَ الثَّقلانِ في مَهْدِ الهُدى لمحمــد بــنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفرِ
ولَّيتَــه عَهْــدَ الأنــامِ وأَمْرَهُمْ فدمَغْــتَ بالمعروفِ رأسَ المنكرِ

أعطته زُبيدة مائة ألف درهم .

[خمسمائة ألف درهم لقصيدة]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن عمرو ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الخراسانيّ عن يحيى بنِ الحسنِ بنِ عبد الخالق ، عن أبيه ، قال : قال سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها[3] : [من المتقارب]

لــه شِيمَةٌ عند بَذْلِ العَطا ءِ لا يَعْرِفُ الناسُ مقدارَها
ومَهْــدِيُّ أُمَّتِنــا والــذي حَماهــا وأَدرَكَ أوتارَها

فأمر له المهديّ بخمسمائة ألفِ درهم .

[طلب تقديمه في الجائزة على مروان]

أخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن سليمان ، قال : حدَّثنا منصور بنُ أبي مزاحمٍ قال : شَهِدْتُ المهديَّ وقد أمر لمروانَ بنِ أبي حفصة بأربعين ألفَ درهم ، وفرضَ له على أهل بيتِه وجلسائه ثلاثين ألف درهم . وأمر الرشيدُ بعد ذلك لمّا وليَ الخلافةَ لسلم الخاسر ، وقد مدحه ، بسبعين ألفَ درهم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ أكثر ما أُعطى المهديُّ مروانَ سبعون ألفَ درهم ، فزِدْني وفضّلني عليه ، ففعل ذلك ، وأعطاه تتمّة ثمانين

1 القماحيد : جمع القمحودة ، وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال . ويعني ضراب الرؤوس .
2 شعراء عباسيون : 100 .
3 شعراء عباسيون : 105 .

ألف درهم ، فقال سلم[1] : [من الطويل]

أَلا قُـلْ لِمـروانٍ أَتَتْكَ رسالـةٌ لهـا نَبَـأٌ لا يَنْثنـي عـن لِقائكا
حَبـاني أميرُ المؤمنـين بِنَفْحَةٍ مُشَهَّرَةٍ قد طأْطأَتْ مـن حِبائكا
ثمانينَ ألفاً حُزْتُ من صُلْبِ ماله ولم يَكُ قَسْماً من أُولى وأُولائكا

فأجابه مروان فقال[2] : [من الطويل]

أَسَلْمَ بنَ عمرو قد تَعاطَيْتَ غايةً تُقَصِّرُ عنهـا بعـدَ طُولِ عنائكا
فأُقسِمِ لـولا ابنُ الربيع ورِفْدُه لمـا ابْتَلّت الدّلْو التي في رِشائكا
وما نِلْتَ مُـذْ صُوِّرتَ إلاّ عطيّةً تَقُـوم بهـا مَصـرورةً في رِدائكا

[يهب تركته للرشيد]

حدَّثني وَسْواسة بن الموصليّ ، وهو محمد بنُ أَحمدَ بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدَّثني حمّاد عن أبيه ، قال : استَوهبَ أبي من الرشيدِ تَرِكَةَ سلم الخاسر ، وكان قد مات عن غير وارث ، فوهبها له قَبلَ أن يتسلَّمها صاحبُ المواريث ، فحصَّل منها خمسين أَلف دينار .

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني أبو هِفَّان ، عن سعيدِ بن هُرَيم وأبي دعامة أنّه رُفِع إلى الرشيد أنّ سلماً الخاسر قد توفّي ، وخلَّف مِمّا أخذه منه خاصة ومن زُبَيْدَةَ ألفَ ألفٍ وخمسمائةِ ألفِ درهم سوى ما خلّفه من عَقار وغيره ممّا اعتقده[3] قديماً ، فقبضه الرشيد . وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، فقال : هذا خادمي ونَديمي ، والذي خلَّفه من مالي ، فأنا أحقُّ به ، فلم يعطهم إلاّ شيئاً يسيراً من قديم أَملاكِه .

[يرثي ثلاثة معاً]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيلَ ، عن القَحْذَميّ ، قال : كان مالِكٌ وشهابٌ ابنا عبدِ الملك بنِ مِسْمع ومعنُ بنُ زائدة مُتَواخِين ، لا يكادون يفترقون . وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم ، ويُفْضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم ، فتُوفِّي مالكٌ ثم أخوه ثم معن في مدّة متقاربة ، فقال سلم يرثيهم[4] : [من الخفيف]

1 شعراء عباسيون : 109 .
2 ديوان مروان : 255 .
3 اعتقده : جمعه .
4 شعراء عباسيون : 119 .

عَيْنُ جُـودي بِعَبْرَةٍ تَهْتـانِ وانْدُبي مَن أَصابَ رَيْبُ الزمانِ
وإذا مـا بَكَيتِ قومـاً كِراماً فعَـلى مالـكٍ أَبـي غَسّانِ
أَينَ معنٌ أَبـو الوليدِ ومَن كا ن غِياثـاً لِلْهالِـكِ الحيرانِ
طَرَقتْكَ المنونُ لا واهيَ الحبـ ـلِ ولا عاقِداً بِحِلْفٍ يمانِ
وشهابٌ وأيـن مثلُ شهابٍ عند بَذْلِ النَّدى وحَرِّ الطِّعانِ
رُبّ خِرْقٍ رُزِئتُه منْ بَني قيـ ـسٍ وخِرْقٍ رُزِئْتُ من شيبانِ[1]
دَرَّ دَرُّ الأيّـام مـاذا أَجَنَّتْ منْهُـمُ في لفائـف الكتّانِ
ذاك معنٌ ثَـوى ببست رهيناً وشهابٌ ثَـوى بأرضِ عُمانِ
وهُمـا مـا هُما لِبَذْلِ العطايا ولِلَــفِّ الأَقـرانِ بالأَقرانِ
يَسْبِقان المنـونَ طَعْنـاً وضرباً ويَفُكّـانِ كُلّ كَبْـلٍ وَعانِ[2]

أَخبرني وكيع، قال حدَّثني يزيدُ بنُ محمدٍ المُهلّبيّ، قال: حدَّثني عبد الصمد بنُ المُعذَّل، قال: لَمّا أنشد سلمُ الخاسرِ الرشيدَ قصيدته فيه:

حَضَرَ الرَّحيلُ وشُدَّت الأَحْداجُ

أَمر له بمائةِ أَلفِ درهم.

[جائزة الفضل بن يحيى]

حدَّثني جَحْظةُ قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال: دخل سلْم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه، فأنشده[3]: [من مجزوء الوافر]

أَمِـنْ رَبْـعٍ تسائلهُ وقَـدْ أَقْوَتْ منازِلُهُ
بِقَلْبي مِنْ هَوى الأَطلا لِ حُبٌّ مـا يُزايِلُهُ
رُوَيدَكُمُ عـن المَشْغو فِ إنَّ الحُـبَّ قاتلُهُ
بَلابِـلُ صَدرِه تَسْري وقـد نامت عـواذِلُهُ
أَحـقُّ النّاسِ بالتفضيـ ـلِ مَن تُرْجى فَواضِلُهُ

1 الخرق: السخي الكريم.
2 الكبل: القيد. والعاني: الأسير.
3 شعراء عباسيون: 111-112.

رأيتُ مكارمَ الأخْلا ... قِ ما ضَمَّت حَمائلُهُ
فلسْتُ أرى فتًى في النا ... سِ إلاّ الفَضْلُ فاضِلُهُ
يَقــولُ لسانُــه خَيراً ... فتَفْعلُـــه أَنامِلُــهُ
ومهمــا يُرْجَ مِنْ خيرٍ ... فــإنّ الفضـــلَ فاعلُهُ

وكان إبراهيم الموصليّ وابنُه إسحاق حاضرَيْن . فقال لإبراهيم : كيف ترى وتسمع ؟ قال : أحسنَ مَرْئيٍّ ومسموع ، وفضْلُ الأمير أكثرُ منه . فقال : خُذوا جميع ما أُهْدي إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلاّ ذلك التمثال ، فإنّي أُريد أن أُهديَه اليومَ إلى دنانيرَ ؛ ثم قال : لا ، والله ، ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقَوَّم وندفع إليهم ثمنه ، ثم نُهديه ، فقُوِّم بألفَي دينار ، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

[أحسن مديح لمعن]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثني عيسى بنُ إسماعيلَ تِينةُ قال : حدَّثني القَحْذَميّ ، قال : قيل لِمَعْنِ بن زائدة : ما أحسَنُ ما مُدِحْتَ به من الشعرِ عندك ؟ قال : قول سَلْم الخاسر[1] : [من المديد]

أَبْلِــغ الفِتْيــانَ مأْلُكةً ... أَنَّ خيرَ الوُدِّ مــا نَفَعا
أنَّ قَرْمــاً من بَني مَطَرٍ ... أتلفَــتْ كفّاه مــا جَمعا
كُلّمــا عُدْنــا لنائلِهِ ... عــاد في معروفه جَذَعا[2]

[بديهة الفضل وفكرته سواء]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدَّثني أبو توبةَ . وأخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثني محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُوَيْه عن أبي توبة ، قال : حَدَثَ في أيّام الرشيد أمرٌ فاحتاج فيه إلى الرأي ، فأشْكَلَ ؛ وكان الفضلُ بن يحيى غائباً ، فورد في ذلك الوقت ، فأخبروه بالقصّة ، فأشار بالرأي في وقته ، وأنْفذَ الأمر على مشورتِه ، فحُمِد ما جَرى فيه ، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده[3] : [من الوافر]

بَدِيهتُــه وَفِكْرَتُـــه سواءٌ ... إذا مــا نابَــهُ الخَطْبُ الكبيرُ

1 شعراء عباسيون : 107 .
2 عاد جذعاً : عاد حدثاً (لارتياحه للندى) .
3 تقدم هذان البيتان في ترجمة أشجع السلمي جزء 18 : 178 منسوبين له . وينسبان أيضاً إلى عنان وأبي نواس في الجزء 23 من الأغاني .

وَأَحزَمُ ما يكونُ الدَّهرَ رأياً   إذا عَيَّ المُشاوِرُ والمُشيرُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يشتري سكوت أبي الشمقمق]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، قال : حدَّثني الجمَّازُ أنّ أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه ، فقال له : اسمع إذاً ما قلتُه ، وأنشده[1] : [من مجزوء الرمل]

حَدَّثُوني أَنَّ سَلماً   يَشْتَكي جارةَ أَيْرِهْ
فَهْو لا يَحْسُدُ شيئاً   غيرَ أَيْرٍ في استِ غيرِهْ
وإذا سرَّك يَوْماً   يا خليليّ نَيْلَ خَيرِهْ
قُمْ فَمُرْ راهِبَك الأَصْـ   ـلَعَ يقرع بابَ دَيْرِهْ

فضحِك سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال له : أُحبّ ، جعلتُ فداءك ، أن تَصرفَ راهبَكَ الأَصلعَ عن بابِ دَيْرِنا .

[تطير الرشيد بافتتاحه]

أخبرنا الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أحمد بنُ أبي كامل ، قال : حدَّثني أبو دِعامة ، قال : دخَلَ سلم الخاسر على الرشيد ، فأنشده :

حَيِّ الأَحِبَّةَ بالسلام

فقال الرشيد :

حياهُم اللهُ بالسلامِ

فقال :

على وَداع أم مُقام

فقال الرشيد : حيّاهم الله على أيّ ذلك كان ، فأنشده[2] : [من مجزوء الكامل]

لَمْ يَبْقَ منكَ ومِنْهُم   غيرُ الجلودِ على العظامِ

فقال له الرشيد : بل منك ، وأمر بإخراجه ، وتطيّر منه ، ومن قوله ، فلم يسمع منه باقيَ الشعر ولا أثابه بشيء .

1 شعراء عباسيّون : 137-138 .
2 شعراء عباسيّون : 115 .

[مديح الهادي]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد : قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : أتتْ وفاةُ المهديِّ إلى موسى الهادي ، وهو بجُرْجان ، فبويع له هناك ، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنئين ، فهنّأه بخلافة الله ، ثم أنشده[1] : [من السريع]

لمَّا أتتْ خيرَ بَني هاشمٍ خلافةُ الله بجُرْجانِ
شَمَّر لِلْحزمِ سَرابيلَه برأْي لا غَمْرٍ ولا وانِ
لم يُدخِلِ الشُّورى على رأْيِه والحزْمُ لا يُمْضيه رأيانِ

[يقر بفضل بشار]

أخبرني الحسن بنُ عليّ وعمِّي ، قالا : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني صالح بنُ عبد الرحمن عن أبيه ، قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد ، وعنده العبّاس بن محمد وجعفر بن يحيى ، فأنشده قوله فيه :

حَضَرَ الرَّحيلُ وشُدّت الأَحْداجُ

فلمّا انتهى إلى قوله[2] : [من الكامل]

إنّ المنايا في السيوفِ كَوامِنٌ حتى يُهَيِّجَها فتًى هَيّاجُ

فقال الرشيد : كان ذلك معن بن زائدة ، فقال : صدق أَمير المؤمنين ، ثم أَنشد حتى انتهى إلى قوله : [من الكامل]

ومُدَجَّجٍ يَغْشى المَضِيقَ بسَيْفه حتى يكونَ بسيفِه الإفراجُ

فقال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد ، فقال : صدق أَمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفرُ بن يحيى ، وكان يزيد بنُ مزيد عدوّاً للبرامكة ، مصافياً للفضل بن الربيع . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الكامل]

نَزَلَتْ نُجومُ الليلِ فَوقَ رؤوسِهمْ ولِكلِّ قومٍ كوكبٌ وهّاجُ

[وصف طي المنازل]

قال له جعفر بن يحيى : من قِلّة الشعر حتى تمدحَ أَميرَ المؤمنين بشعرٍ قيل في غيره ! هذا لِبشّار في فلان التميميّ ، فقال الرشيد : ما تقول يا سلم ؟ قال : صدَقَ يا سيِّدي ، وهل أنا إلاّ

---

1 شعراء عبّاسيّون : 117 .
2 شعراء عباسيّون : 95–96 .

جُزءٌ من محاسنِ بشّار ، وهل أُنطق إلاّ بفضل منطقه ! وحياتِك يا سيِّدي إنّي لأَروِي له تسعة آلافِ بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً . فضحك الرشيد ، وقال : ما أحسن الصدق ! امضِ في شعرك ، وأمر له بمائةِ ألف درهم ، ثم قال للفضل بنِ الربيع : هل قال أحد غيرُ سلم في طَيِّنا المنازلَ شيئاً ؟ ، وكان الرشيد قد انصرف من الحجّ ، وطوى المنازل ، فوصف ذلك سلم ، فقال الفضل : نعم يا أميرَ المؤمنين ، النَّمَريّ ، فأمر سَلماً يَثبتَ قائماً حتى يفرغ النمَريّ من إنشاده ، فأنشده النمري قوله[1] : [من الطويل]

تَخَرَّقَ سِرْبالُ الشبابِ مـع البُرْدِ ... وحالَتْ لنا أُمُّ الوليد عـن العهدِ

فقال الرشيد للعبّاس بن محمد : أيُّهما أَشعر عندك يا عمّ ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان كلام يُستفحَل لِجَودتِه حتى يؤخَذَ منه نَسْل لاستفحلتُ كلامَ النَّمَريّ ، فأَمَر له بمائة أَلف درهم أُخرى .

[أشجع السلميّ يرثي سلماً]

أَخبرني عمّي ، قال : أَنشدني أَحمدُ بن أَبي طاهر لأَشجع السُّلَميّ يَرثي سلماً الخاسر ومات سلم قبله[2] : [من السريع]

يا سَلمُ إن أُصبَحْت في حُفرةٍ ... موسَّداً تُرْبــاً وأَحجــارا
فــرُبَّ بيــتٍ حسنٍ قُلتَــه ... خَلَّفتَــه في النـاسِ سيّــارا
قَلّدتَــه ربّــاً وسَيَّرتَــه ... فكان فخــراً منـك أو عارا
لـــو نطقَ الشعرُ بكــى بعدَه ... عليــه إعلانـــاً وإسرارا

صوت

[من الكامل]

يا ويحَ من لعب الهوى بحياته ... فأَماتــه مــن قبلِ حين مماتِهِ
مَنْ ذا كذا كان الشقيّ بشادن ... هاروت بيت لسانــه ولَهاتِهِ
وحياة مَن أُهوى فإنّي لم أَكُن ... يوماً لأَحلــف كاذبــاً بحياتِهِ
لأخالِفَنَّ عَــواذلي في لذَّتي ... ولأُسْعِدَنَّ أَخــي عــلى لذّاتِهِ

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه ، والغناء لأَبي صدقة رمل بالبنصر .

---

1 لم يرد في مجموع شعره .

2 شعره : 218–219 .

[409] ـ أخبار أبي صدقة

[نسبه]

اسمه مسكينُ بنُ صدقَة من أهل المدينة ، مولًى لقريش . وكان مليحَ الغناء ، طيِّب الصوت ، كثير الرواية ، صالح الصنعة ؛ من أكثرِ الناسِ نادرة ، وأخفِّهم رُوحاً ، وأشدّهم طمعاً ، وألحِّهم في مسألة . وكان له ابنٌ يقال له : صدقة يُغنّي ، وليس من المعدودين ؛ وابنُ ابنِه أحمدُ بنُ صدقَة الطُّنبوريّ أحدُ المحسنين من الطُّنْبُورِيين ، وله صنعة جيّدة ، وكان أشبَه الناسِ بجَدّه في المَزْحِ والنوادر ، وأخبارُه تُذْكَر بعد أخبار جدّه . وأبو صدقة من المغنِّين الذين أقدَمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيّامه .

[كثرة سؤاله]

أخبرني عليٌّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله ، قال : قيل لأبي صَدقة ما أكثرَ سؤالَك ، وأشدّ إلحاحَك ! فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكُنْيتي أبو صدقة ، وامرأتي فاقة ، وابني صدقة !

[طرب الرشيد لغنائه]

أخبرني رضوانُ بنُ أحمد الصيدلانيّ ، قال : حدَّثنا يوسُف بنُ إبراهيم ، قال : حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أنّ الرشيد قال للحارث بنِ بُسْخُنَّر : قد اشتهيْتُ أن أرى نُدَمائي ومَن يحضُر مجلسي من المغنِّين جميعاً في مجلس واحد ، يأكلون ويشربون ، ويتبذّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام ، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم ، وهذا لا يَتمّ إلاّ بأن أكونَ بحيثُ لا يَرونني ، عن غير علمٍ منهم برُؤيتي إيّاهم . فأعِدّ لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمِّي سليمان وإخوتي : إبراهيم بن المهديّ ، وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحيى ، فإنّا مُغَلِّسون عليك غَداةَ غد ، واستزِرْ أنت محمدَ بن خالدِ بنِ بَرْمَك ، وخالداً أخا مَهْرُوَيْه ، والخِضْرَ بنَ جبريل ، وجميع المغنِّين ، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا ، وابسُطْ الجميع ، وأظهرْ برَّهم ، واخلع عليهم ، ولا تَدَعْ من الإكرامِ شيئاً إلاّ فعلتَه بهم . ففعل ذلك الحارث ، وقدّم إليهم الطعام فأكلوا ، والرشيد ينظر إليهم ، ثم دعا لهم بالنبيذ ، فشربوا . وأُحضرت الخِلَع ، وكان ذلك اليوم يوماً شديد البرد . فخَلَع على ابن جامع جُبَّة خَزٍّ طارُونيّ[1] مبطَّنةً بِسَمُّور صينيّ ، وخلع على إبراهيم المَوْصليّ جُبَّةَ وَشْي كوفي مرتفع مبطّنةً

---

1 طاروني : نوع من الخز .

بِفَنَكٍ[1] ، وخلع على أبي صدقة دُرّاعة مُلْحَم[2] خراسانيٌّ محشوَّةً بِقَز . ثم تغنّى ابن جامع ، وتغنّى بعده إبراهيم ، وتلاهما أبو صدقة فغنّى لابن سُرَيج[3] : [من الطويل]

ومِنْ أَجْلِ ذات الخال أَعملْتُ ناقتي أُكلِّفها سَيرَ الكَلالِ مع الظَّلْعِ

فأجاده ، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده . فقال له الحارث : أَحسنتَ والله يا أَبا صدقة ! قال له : هذا غنائي وقد قَرَصني البرْد ، فكيف تراه ، فدَيتك ، كان يكون لو كان تحت دُرّاعتي هذه شُعَيرات ؟ يعني الوبر ، والرشيد يسمع ذلك . فضحك ، فأمر بأن يُخْلَع عليه دراعةُ مُلْحم مبطّنةُ بفَنَك ، ففعلوا ، ثم تغنّى الجماعة ، وغنّى أبو صدقة لَمعبد : [من البسيط]

بان الخليط على بُزْلٍ مخيّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرَّمَلُ[4]

ثم تغنّى بعده لمعبَد أيضاً[5] : [من البسيط]

بانَ الخليطُ ولو طُووِعت ما بانا وقطّعوا من حِبال الوصلِ أقرانا

فأقام فيهما جميعاً القيامة ، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً . فقال له الحارث : أحسنت والله يا أبا صدقة ، فديتك ، وأجملت . فقال أبو صدقة : فكيف ترى ، فديتك ، الحال تكون لو كانت عَلى هذه الدراعة نُقَيْطات ؟ يعني الوشي . فضحِك الرشيد حتى ظهر ضحكه ، وعلِموا بموضعه . وعرف علمَهم بذلك ، فأمر بإدخالهم إليه ، وأمر بأن يُخلَع عَلى أبي صدقة دراعةٌ أُخرى مبطنةٌ ، فخُلِعت عليه .

[طبعه في السؤال يغلبه]

أخبرني محمدُ بنُ مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : سأل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان اللطفيّ الفضل وجعفراً ابنَيْ يحيى أن يُقيما عنده يوماً ، فأجاباه . فواعد عِدة من المغنّين ، فيهم أبو صدقة المدنيّ ، فقال لأبي صدقة : إنّك تُبْرِم بكثْرة السؤال : فصادِرْني[6] على شيء أدفعه إليك ولا تسأل شيئاً غيره ، فصادره على شيء أعطاه إيّاه . فلمّا جلسوا وغنّوا أُعجبوا بغناء أبي صدقة ، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سُرَيج ومعبَد وابن محرز وغيرهم ، فغنّاهم ، ثم غنّى ، والصنعة له رمل : [من الكامل]

---

1 الفنك : دابة ذات فرو ثمين .

2 ملحم : نوع من الثياب .

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 232 .

4 البزل : جمع بازل وهو ما انشقّ نابه من الإبل ، أي في التاسعة من عمره . ومخيسة : مروّضة مذللة .

5 البيت لجرير في ديوانه : 490 .

6 صادرني : طالبني .

يـا ويحَ مَـن لعب الهوى بحياتِه فأماتــه مِـن قَبْـلِ حـينِ مماتِهِ
مَـن ذا كذا كان الشقـيَّ بِشادِنٍ هاروتُ بـين لسانِـه ولهاتِـهِ

وذكر الأبيات الأربعة المتقدِّمَ ذكرُها . قال : فأجاد وأحسنَ ما شاء ، وطرب جعفر ، فقال له : أحسنت وحياتي ، وكان عليه دُوّاج[1] خزٌ مبطن بسمّور جيّد ، فلمّا قال له ذلك شَرِهتْ نفسُه وعاد إلى طبعه . فقال : لو أحسنتُ ما كان هذا الدُّوّاجُ عليك ، ولتَخلعنّه عليّ ، فألقاه عليه . ثم غنّى أصواتاً من القديم والحديث ، وغنّى بعدها من صناعته في الرمل : [من السريع]

لَمْ يَطُـلِ العهـدُ فتنساني ولَمْ أَغِـبْ عنـك فتنعاني
بَدَّلتَ بي غيري وباهتَّني ولم تكن صاحبَ بُهتانِ[2]
لا وَثِقَـتْ نفسيَ بإنسانٍ بَعـدك في سرٍّ وإعـلانِ
أَعطيتني ما شئتُ من مَوْثقٍ منك ومـن عهـدٍ وأيمانِ

فقال له الفضل : أحسنت وحياتي ! فقال : لو أحسنت لخلعت عليّ جُبّة تكون شكلاً لهذا الدُّوّاج ، فنزع جبّته وخلعها عليه ، وسكروا وانصرفوا . فوثب الحسين بن سليمان ، فقال له : قد وافقتُك على ما أرضاك ، ودفعتُه إليك على ألاّ تسأل أحداً شيئاً ، فلم تَفِ ، وقد أخذتَ ما لك والله لا تركتُ عليك شيئاً ممّا أخذتَه ، ثم انتزعه منه كرهاً وصرفه فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر ، فضحكا منه ، وأخلفا عليه ما ارتجعه اللطفي منه من خِلَعِهما .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من البسيط]

بـانَ الخليطُ على بُـزْلٍ مُخَيَّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرملُ
مِـنْ كلّ أعيَس نضّاح القفا قَطِمٍ ينفي الزمام إذا مـا حَنَّت الإبلُ[3]

الغناء لابن عائشة ، خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو الهشاميّ ، وقال الهشاميّ

1 الدواج : لحاف يلبس فوق الثياب .
2 باهتني : حيرتني بالكذب .
3 الأعيس : البعير الأبيض يخالط بياضه شقره . والقطم : الفحل يشتهي الضراب .

خاصة : فيه لابن محرز هزج ، ولإسحاق ثقيل أوّل ، ووافقه ابن المكّيّ . وما وجدْتُ لمعبَد فيه صنعةً في شيء من الروايات ، إلاّ في المذكور .

وأمّا :

بـان الخليط ولو طووعت مـا بانا

فقد مضى في المائة المختارة ، ونُسب هناك وذُكِرتْ أخباره .

[أحقيته في السؤال]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ ، قال[1] : كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحّهم . فقال له الرشيد : ويلك ما أكثر سؤالك ! فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكنيتي أبو صدقة ، واسم ابني صدقة ، وكانت أمّي تلقّب فاقة ، واسم أبي صدقة ، فمَن أحقّ منّي بهذا ؟

[الرشيد يعبث به]

وكان الرشيد يعبَث به عَبثاً شديداً ، فقال ذات يوم لمسرور : قُلْ لابنِ جامع وإبراهيم الموصليّ وزبير بن دَحمان وزُلزُل وبَرْصُوصا وابنِ أبي مريم المدينيّ : إذا رأيتموني قد طابت نفسي ، فليسألني كلّ واحدٍ منهم حاجة ، مقدارُها مقدارُ صلته . وذكر لكلّ واحد منهم مقدار ذلك ، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة . فقال لهم مسرور ما أمَرَه به ، ثم أذِن لأبي صدقة قبل إذْنه لهم . فلمّا جلس قال له : يا أبا صدقة ، قد أضجرْتَني بكثرة مسألتك ، وأنا في هذا اليوم ضَجِرٌ ، وقد أحببتُ أن أتفرّج وأفرح ، ولست آمن أن تنغّص عليَّ مجلسي بمسألتك ، فأمّا أن أعفيتَني من أن تسألني اليوم حاجة وإلاّ فانصرِف . فقال له : يا سيِّدي لستُ أسألك في هذا اليوم ، ولا إلى شهرٍ حاجةً . فقال له الرشيد : أما إذ شَرطتَ لي هذا على نفسك ، فقد اشتريت منك حوائجَك بخَمسمائة دينـار ، وها هي ذه فخذها هنيئة مُعْجَلة ، فإن سألتَني شيئاً بَعدها في هذا اليوم ، فلا لَوْم عَلَيّ إن لَم أصِلْك سَنَةً بشيء . فقال له : نَعم ، وسنتين . فقال له الرشيد : زِدْني في الوثيقة فقـال : قد جعلْتُ أمْرَ أُمّ صدقة في يدِك ، فطلِّقها متى شئت ، إن شئتَ واحدةً ، وإن شئتَ ألفاً إن سألتُـك في يومـي هـذا حاجـة . وأشهدَ اللهَ ومَن حضر على ذلك . فدفع إليه المال ، ثم أذِن للجلساء والمغنِّين فحضروا ، وشرب القوم .

فلمّا طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نِلْتُ منك ما لم تبلُغْه أُمنيّتـي ، وكثُر إحسانـك إليَّ حتى كَبَّتَّ أعدائي وقتلْتهم . وليستْ لي بمكّة دار تُشْبِه

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 8 : 186–188 .

حالي ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به داراً ، وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائي وأزهقَ نفوسهم ، فعل . فقال : وكم قدّرتَ لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار . فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصليّ فقال له : قد ظهرَتْ نِعمتُك عليّ وعلى أكابِر ولَدي ، وفي أصاغرِهم مَن قد بَلَغ ، وأُريد تزويجه ، ومِن أصاغرهم مَن أحتاج إلى أن أُطهره ، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتّخذ لهم خدَماً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحْسِنَ معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمَرَ لابن جامع ، وجعل كلّ واحدٍ منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره ، ويسأل حاجة على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تُفرَّق يميناً وشمالاً . فوثب على رِجليه قائماً ، وقال للرشيد : يا سيِّدي ، أقِلْني ، أقال الله عثْرتك ! فقال له الرشيد : لا أفعل ، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ ، والرشيد يضحك ويقول : ما إلى ذلك سبيل ، الشرط أمْلَك .

فلمّا عِيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد ، وقال له : هاكها قد رددتُها عليك وزدتُك فرجَ أُمِّ صدقة فطلّقها إن شئتَ واحدة ، وإن شئت ألفاً . وإن لم تُلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزّال ، وكانت صلتُه ألف دينار . فضحك الرشيد حتى استلقى ، ثم رَدَّ عليه الخمسمائة الدينار ، وأمر له بألف دينار معها . وكان ذلك أكثرَ ما أخذه منه مذ يوم خدَمه إلى أن مات . فانصرف يومئذٍ بألفٍ وخمسمائة دينار .

[جعفر والرشيد يعبثان به]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدَّثني يوسف بنُ إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق ، قال[1] : مُطِرْنا ونحن مع الرشيد بالرقّة مطراً مع الفجر ، واتّصل إلى غد ذلك اليوم ، وعَرَفنا خبر الرشيد ، وأنّه مقيم عند أُمِّ ولده المسمّاة بِسحَر ، فتشاغلنا في منازلنا . فلمّا كان مِن غدٍ جاءَنا رسول الرشيد ، فحضرنا جميعاً ، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي : ما صنع فيه فيخبره ، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى ، فسأله عن خبره ، فقال : كان عندي أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة ، فكان أبو زكّار كلّما غنّى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة ، فإذا انتهى الدور إليه أعاده ، وحكى أبا زكّار فيه وفي شمائله وحركاته ؛ ويفطن أبو زكّار لذلك فيجنّ ويموت غيظاً ، ويشتم أبا صدقة كلّ شَتم حتى يَضجر ، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به ، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسّطنا الشراب وسئمنا من العبث به ، فقلت له : دع هذا وغنِّ غِناءك ، فغنّى رَمَلاً ذكر أنّه من صنعته ، طربت له ، والله يا أمير المؤمنين ،

1 وهذا الخبر أيضاً ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 9 : 69–71 .

طرباً ما أذكر أنّي طربتُ مثله منذ حين ، وهو : [من الخفيف]

صوت

فَتَنَتْني بفاحمِ اللون جَعْدِ وبِثَغرٍ كأنّه نظم دُرٍّ
وبِوجهٍ كأنّه طلعة البد رِ وعَينٍ في طَرفها نَفْث سِحْرِ

فقلت له : أحسنتَ والله يا أبا صدقة ، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي : إنّي قد بنيتُ داراً حتى أنفقت عليها حَرِيبَتي[1] ، وما أعددتُ لها فرشاً ، فافرشها لي ، نجَّد[2] الله لك في الجنّة ألف قصر . فتغافلتُ عنه ، وعاود الغناء ، فتعمّدت أنْ قلتُ له : أحسنت ، لِيعاود مسألتي وأتغافل عنه ، فسألني وتغافلت . فقال لي : يا سيِّدي هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألتك بالله ، وبحقّ أبيك عليك إلاّ أجبتَني عن كلامي ولو بشَتْمٍ ! فأقبلتُ عليه وقلت له : أنت والله بَغِيض ، اسكتْ يا بغيض ، واكفف عن هذه المسألة المُلحّة . فوثب من بين يدَيّ ، وظننتُ أنّه خرج لحاجة ، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرّد منها خوفاً من أن تَبْتَلّ ، ووقف تحت السماء ، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه ، ورفع رأسه وقال : يا ربّ أنت تعلم أنّي مُلْهٍ ، ولست نائحاً ، وعبْدُك هذا الذي رفعتَه وأحوجتني إلى خِدْمته يقول لي : أحسنت ، لا يقول لي : أسأت ، وأنا منذ جلستُ أقول له : بَنيتُ ، لم أقل : هدمت ، فيحلف بك جرأة عليك أنّي بَغيض ، فاحْكُمْ بيني وبينه يا سيِّدي ، فأنت خير الحاكمين .

فغلبني الضحك ، وأمرتُ به فتنحّى ، وجَهدت به أن يغنّي ، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أنّي أفرش له داره ، وخدعتُه فلم أسَمِّ له ما أفرشها به . فقال الرشيد : طيِّبٌ والله ! الآن تَمَّ لنا به اللهو ، وهو ذا أدعو به ، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش ، لأنّك حلفت له بحياتي ، فهو يتنجز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبواري[3] ، وحاكمْه إليّ . ثم دعا به فأُحضر ، فما استقرّ في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى : الفرش الذي حلفتَ لي بحياة أمير المؤمنين أنّك تفرش به داري ، تقدَّمْ فيه . فقال له جعفر : اختر ، إن شئتَ فرشتها لك بالبواري ، وإن شئتَ بالبَرْدِيّ من الحصر ، فضجّ واضطرب .

فقال له الرشيد : وكيف كانت القصّة ؟ فأخبره فقال له : أخطأتَ يا أبا صدقة ، إذ لم

---

1 الحريبة : المال الذي حصل بالسلب .

2 نجّد : زيّن .

3 البواري : الحصير المنسوج ، بالقصب .

تُسَمِّ النّوع ولا حَدَّدتَ القيمة ، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبَرْدِيّ أو بما دون ذلك فقد وفى يمينه ، وإنّما خدَعك ، ولم تفطن له أنت ، ولا توثقت ، وضيَّعت حقّك . فسكت ، وقال : نوفِّر البرديّ والبواريّ عليه أيضاً ، أعزّه الله . وغنّى المغنّون حتى انتهى إليه الدور ، فأخذ يغنّي غناء الملاّحين والبنّائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء ، فقال له الرشيد : أيْش هذا الغناء ويلك ! قال : مَن فُرِشَت دارُه بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه ، وكثير أيضاً لِمَنْ هذه صلته . فضحك الرشيد والله وطرب وصفّق ، ثم أمر له بألف دينار من ماله ، وقال له : افرش دارك من هذه . فقال : وحياتك لا آخذها يا سيِّدي أو تحكمَ لي على جعفر بما وَعَدني ، وإلاّ مُتُّ والله أسَفاً لِفَوات ما حصل في طمعي ووُعدت به . فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار ، فقبِلها جعفر ، وأمر له بها .

[وصوله إلى السلطان]

أخبرني محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أنَّ أبي لمّا حَجَّ مَرَّ بالمدينة ، فاحتاج إلى قَطْع ثياب ، فالتمس خياطاً حاذقاً ، فدُلَّ على أبي صدقة ، ووُصف له بالحِذق في الخياطة والحذق في الغناء وخفّة الروح . فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه ، وسمع غناءه فأعجبه ؛ وسأله عن حاله ، فشكا إليه الفقر ، فخلّف لعياله نفقة سابغة لِسَنة ، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان .

قال حمّاد : فقال أبو صدقة يوماً لأبي : قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أبيك ، رحمه الله عندي ، وأنتَ لا ، رُبَّ[1] ذلك بشيء ، فقال له : هذه الصينيَّة الفضةُ التي بين يديّ لك إذا انصرفْت ، فشكره وسُرّ بذلك ، ولم يزل يغنّيه بقيّة يومه . فلمّا أخذ النبيذ فيه قام قَوْمة ليبول ، فدَعا أبي بصينيّة رصاص فحوّل قنّينَته وقَدَحه فيها ، ورفع الصينيّة الفضة ، فلمّا أراد أبو صدقة الانصراف شدَّ أبي الصينيّة في منديل ، ودفعها إلى غلامه ، وقال له : بِتِ الليلة عندي واصطبح غداً ، وارددُ دابتَك . فقال : إنّي إذاً لأحمق ، أدفع إلى غلامي صينيّة فضّة ، فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها ، ويركب الدابة ويهرب ، ولكنّي أبيت عندك ، فإذا انصرفتُ غداً أخذتها معي . وبات وأصبح عندنا مصطبحاً ، فلمّا كان وقت انصرافه أخذها ومضى . فلم يلبث من غدٍ أن جاءنا والصينيّة معه ، فإذا هو قد وجّه بها لِتُباع ، فعرّفوه أنّها رصاص . فلمّا رآه أبي من بعيد ضحك ، وعرف القصّة وتماسك . فقال له أبو صدقة : نِعْم الخلافةُ خلفتَ أباك ، وما أحسن ما فعلت بي ! قال : وأيَّ شيء فعلت بك ؟ قال : أعطيتني صينيّة رصاص ، فقال له أبي : سخُنَتْ عينك ! سخِرَت امرأتُك بك ، وأنا مِن أين لي صينيّة رصاص

1 رب : زد .

فتشكك ساعة ، ثم قال : أظنّ واللهِ أنّ ذلك كذلك . فقام . فقال له أبي : إلى أين ؟ قال : أضع واللهِ عليها السوط فأضربُها به حتى تَرُدَّ الصينيّة . فلمّا رأى أبي الجِدَّ منه قال له : اجلس يا أبا صدقة ، فإنّما مزحْتُ معك ، وأمر له بوزنها دراهم .

صوت

[من مجزوء الرمل]

إنَّ مَـــنْ يملِكُ رِقّي　　　مالـــكٌ رقّ الرِّقـــابِ

لم يكن يـــا أحسن العا　　　لم هـــذا في حسابـــي

الشعر لفضل الشاعرة ، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل بالوسطى ، عن ابن المعتزّ .

[410] ـ أخبار فضل الشاعرة[1]

كانت فَضْل جاريةً مولَّدة من مولّدات البصرة ، وكانت أُمّها من مولّدات اليمامة . بها وُلِدَت ، ونشأت في دارِ رجل من عبد القيس ، وباعَها بعد أن أدَّبها وخرَّجها ، فاشتُريت وأُهدِيت إلى المتوكّل . وكانت هي تزعم أنَّ الذي باعَها أخوها ، وأنَّ أباها وطىء أُمّها فولدتها منه ، فأدّبها وخرّجها معترفاً بها ، وأنَّ بنيه من غير أُمّها تواطئوا على بيعِها وجَحْدها ، ولم تكن تُعْرف بعد أن أُعتقت إلاّ بفضل العبديّة . وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة سريعة البديهة ، مطبوعة في قول الشعر . ولم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها .

[جواب مسكت]

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بن المَرْزبان ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة لرجل من النّخّاسين بالكَرْخ يقال له : حُسْنَوَيْه ، فاشتراها محمد بن الفَرَج أخو عمر بن الفرج الرّخَّجيّ ، وأهداها إلى المتوكّل ، فكانت تجلس للرجال ، ويأتيها الشعراء ، فألقى عليها أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى[2] : [من الكامل]

قالوا عشِقْتَ صغيرةً فأَجبتُهمْ ... أَشهى المَطيِّ إليَّ ما لم يُرْكَبِ
كَم بَيْنَ حبّـةِ لؤلـؤ مثقوبةٍ ... نُظِمتْ وحبـةِ لؤلؤ لم تُثْقَبِ

فقالت فضل مجيبة له : [من الكامل]

إنّ المطيّـةَ لا يَلَـذُّ رُكوبُها ... مـا لم تُذَلَّلْ بالزِّمامِ وتُركَبِ
والدُّرُّ ليس بنافـعٍ أَصحابَه ... حتى يُؤلَّف للنِّظامِ بمِثْقَبِ

[مدحت المتوكّل]

حدَّثني عمِّي ومحمدُ بنُ خلف ، قالا : حدَّثنا أَبو العيناء ، قال : لمّا دخلَتْ فضل الشاعرة على المتوكّل يوم أُهدِيتْ إليه قال لها : أَشاعرةٌ أنتِ ؟ قالت : كذا زعم مَن باعَني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدينا شيئاً من شعركِ فأنشدَتْه : [من السريع]

---

1 ترجمة فضل الشاعرة في طبقات ابن المعتزّ : 426 والمنتظم 5 : 6 والنجوم الزاهرة 3 : 28 وفوات الوفيات 3 : 185–187 والسمط : 656 والمستطرف من أخبار الجواري للسيوطي : 5–56 وانظر أعلام الزركلي . وقد ترجم لها د . يونس السامرائي في «رسائل سعيد بن حميد وأشعاره» : 62–73 .

2 هذه المطارحة في الفوات 3 : 87 . وقد نسب بيتا فضل إلى مسلم بن الوليد بقافية مفتوحة «وتركبا ـ وتثقبا» ؛ ديوانه : 305 . وانظر مجموع شعر أبي دُلف : 50 .

استقبل الملكَ إمامُ الهُدى عـامَ ثـلاثٍ وثلاثينا

تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سِني الهجرة .

خِلافةٌ أُفْضَت إلى جعفر وهو ابنُ سبع بَعْدَ عِشرينا
إنّا لنَرجو يـا إمامَ الهُدى أن تَمْلِكَ الناس ثمانينا
لا قَدَّسَ اللّهُ امرءاً لم يَقُلْ عنـدَ دُعائي لك : آمينا

فاستحسن الأبيات ، وأمر لها بخمسة آلاف درهم ، وأمَرَ عَرِيبَ فغنّت فيها .

[شعرها في جارية]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبو عبد الله أحمدُ بنَ حمدون ، قال : عُرِضَت على المعتمد جاريةٌ تباع في خلافة المتوكِّل ، وهو يومئذٍ حديث السنّ ، فاشتطَّ مولاها في السَّوْم ، فلم يشترها ، وخرج بها إلى ابن الأغلب ، فبيعت هناك . فلمّا وليَ المعتمد الخلافة سأل عن خبرها ، وقد ذكرها فأُعْلم أنّها بيعت وأوْلَدها مولاها ، فقال لفضل الشاعرة : قولي فيها شيئاً ، فقالت : [من مجزوء الكامل]

عَلَمَ الجمـالِ تركْتنـي في الحُبِّ أشهرَ مِن عَلَمْ
وَنَصبْتنـي يـا مُنْيَتـي غَرَضَ المَظِنَّـةِ والتُّهمْ
فارقتني بعـدَ الدّنـ ـوّ فصِرْتِ عندي كالحُلُمْ
فلَـوَ انّ نَفْسي فارَقَتْ جسمي لِفَقَـدكِ لم تُلَمْ
ما كانَ ضرّكِ لو وَصَلْـ ـت فخفَّ عن قَلبي الألَمْ
برِسالَـةٍ تُهْدينهـا أو زَوْرَةٍ تحتَ الظُّلَمْ
أوْلا فَطيفـي في المنـا مِ فلا أقلَّ مـن اللَّمَمْ
صِلَـةُ المحـبِّ حَبِيبَـه اللّهُ يَعْلَمُـه كَـرَمْ

[أشواق متبادلة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، قال : كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة : [من السريع]

أصبْحتُ فَـرْداً هائم العَقْل إلى غـزالٍ حَسَنِ الشكـلِ
أضْنى فؤادي طولُ عهدي بِهِ وبُعْدُه منِّـي ومِـن وَصْلي
مُنْيةُ نفسي في هَـوى فَضْل أنْ يجمـعَ اللّهُ بهـا شَمْلي
أهْواكِ يا فضلُ هوى خالصاً فمـا لِقَلْبي عنكِ من شُغْل

قال : فأجابته : [من الكامل]

صوت

الصبرُ ينقص والسَّقامُ يَزيـدُ والدارُ دانيـةٌ وأنـتَ بَعيدُ
أَشكُوكَ أَمْ أَشكو إليكَ فإنّه لا يَستطيعُ سواهمـا المجهودُ
إنّي أَعُوذ بحُرْمتي بِكَ في الهَوى مِنْ أَن يطاعَ لديكَ فيّ حَسودُ

في هذه الأبيات رمَل طُنْبُوريّ . وأظنّه لجَحْظة .

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرْزُبان ، قال : حدَّثني الحسنُ بنُ عيسى الكوفيّ ، قال : حدَّثنا أبو دهمان ، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المَرْوَزيّ ، قالا : كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً وأرقّهم شعراً ، فكتب إليها بعضُ مَن كان يجمعه وإيّاها مجلسُ الخليفة ، ولا تطلعه على حبّها له : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعري فيكِ هل تَذْكرينَني فذِكـراكِ في الدُّنيـا إليّ حَبيبُ
وهـل لي نصيبٌ في فؤادِك ثابتٌ كما لكِ عنـدي في الفؤادِ نَصيبُ
ولستُ بمَوْصولٍ فأحيـا بِزَوْرَةٍ ولا النفسُ عنـد اليأسِ عنكِ تَطِيبُ

قال : فكتبت إليه : [من الطويل]

نَعَم وإلهي إنّنـي بِـكَ صَبّةٌ فهل أَنتَ يا مَن لا عَدِمتُ مُثيبُ
لِمَنْ أَنتَ منـه في الفؤادِ مصوَّر وفي العَينِ نُصْبَ العين حين تَغيبُ
فَثِـقْ بِـوِدادٍ أَنت مُظهـرُ مثلِه عَلى أَنّ بـي سُقْماً وأَنتَ طبيبُ

[إجازتها الشعر]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة ، قال : حدَّثني يحيى بنُ عليّ بن يحيى المنجِّم ، قال : حدَّثني الفضلُ بنُ العبّاس الهاشميّ ، قال : حدَّثتني بَنانُ الشاعرة ، قالت : اتّكأ المتوكّل على يَدي ويدِ فضل الشاعرة ، وجعل يمشي بيننا ، ثم قال : أَجيزا لي قول الشاعر : [من الطويل]

تعلّمتُ أَسباب الرضا خوفَ عَتْبها وعَلّمها حُبّي لهـا كيف تَغضَب

فقالت له فضل : [من الطويل]

تَصُـدُّ وأَدْنـو بـالمودَّةِ جاهداً وتَبعُـد عنّـي بالوصالِ وأَقربُ

فقلت أنا : [من الطويل]

وعندي لها العُتبى على كلِّ حالة فما مِنْه لي بـدّ ولا عنه مذهبُ

أخبرني محمد بنُ خلفِ بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر ، قال : ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة : [من الطويل]

ومستفتِحٍ بـــابَ البـلاءِ بنَظْرةٍ   تَزوَّدَ منهـا قلبُــه حسْرةَ الدَّهْرِ

فقالت : [من الطويل]

فواللهِ ما يَدري أتَدْري بما جَنَت   عَلى قلبِه أو أهلَكَتْه ومـا تَدْري

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : أَلْقَيتُ أنا على فضل الشاعرة : [من مجزوء الكامل]

عَلَـمَ الجمـالِ تركْتني   بهـواكِ أشهرَ مِنْ عَلَمْ

فقالت على البديهة : [من مجزوء الكامل]

وأبحتَنـي يـا سيِّـدي   سَقماً يجـلّ عن السقَمْ

وتَرَكْتَنـي غَرَضا ، فَدَيْـ   ـتُكَ ، للعَـواذِلِ والتُّهمْ

صلَـةُ المحِـبِّ حبيبَـه   اللهُ يَعلَمُـــه كَـــرَمْ

أخبرني محمدُ بنُ خلف ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ الوليد ، قال : سمعت عليّ بنَ الجَهْم يقول : كنت يوماً عند فضل الشاعرة ، فلحظتها لحظة استرابت بها ، فقالت : [من الرجز]

يـا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرُّضُهْ   يرمي ولا يُشعِرِ أنِّـي غرضُهْ

فقلت[1] : [من الرجز]

أيُّ فتى لَحْظُكِ ليس يُمْرِضُهْ   وأيُّ عَقدٍ محكَمٍ لا يَنْقُضُهْ !

فضحكت ، وقالت : خذ في غير هذا الحديث .

[تشوّق إلى حبيب]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبّر ، قال : كَتَبتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد أيّام كانت بينهما محبّة وتواصل : [من الطويل]

وعيشِكَ لَو صرّحتُ باسمِكَ في الهوى   لأقصَرْتُ عن أشياءَ في الهزْلِ والجِدِّ

ولكنَّنــي أُبــديْ لهــذا مَوَدَّتــي   وذاك ، وأَخلو فيكَ بالبَثِّ والوَجْدِ

مخافـةَ أن يُغْـري بنا قـولُ كاشحٍ   عدُوّاً فيسعى بـالوِصالِ إلى الصدِّ

فكتب إليها سعيد[2] : [من الطويل]

تنامِـين عــن لَيْلي وأُسهَرُه وحدي   وأَنهى جفـوني أن تُبثَّك ما عِنْدي

فإنْ كنتِ لا تَدْرينَ مـا قـد فعلْتِه   بنا فانظُري مـاذا على قاتِـلِ العمدِ

---

1 ديوان علي بن الجهم : 305 .

2 تقدم بيتا سعيد بن حميد في ترجمته في الجزء 18 : 110 .

قال عمّي : هكذا ذكر ابن مهرويه .

وحدَّثني به عليُّ بنُ الحسين بنِ عبد الأعلى ، فذكر أنّ بيتَي سعيد كانا الابتداء ، وأنّ أبيات فضل كانت الجواب . وذَكَر لهما خبراً في عِتاب عاتبها به ، ولم أحْفظه ، وإنّما سمعتُه يذكره ، ثم أخرج إليّ كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن عليِّ بنِ الحسين ، فوجدت هذا الخبر فيه ، فقرأته عليه .

قال عليُّ بنُ الحسينِ بن عبد الأعلى : حضَر سعيدُ بن حُمَيد مجلساً حضرَته فضل الشاعرة وبُنان ، وكان سعيد يهواها ، وتُظْهِر له هَوًى ، ويتهمها مع ذلك ببنانٍ ، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بُنانٍ ، فغضب وانصرف ، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأُوَل ، وأجابها بالبيتين الآخرين ، فاتّفقت رواية ابنِ مَهْرُويه وعليِّ بنِ الحسين في هذا الخبر .

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أبو يوسف بنُ الدقاق الضرير ، قال : صِرْتُ أنا وأبو منصور الباخَرْزِيّ إلى منزل فضل الشاعرة فحُجِبنا عنها وانصرفنا ، وما علمتْ بنا ، ثم بَلَغها مجيئنا وانصرافنا فكَرِهَت ذلك وغمّها ، فكتبت إلينا تعتذر : [من الطويل]

وما كنْتُ أخشى أن ترَوْا لي زَلَّةً ... ولكنَّ أمْرَ اللهِ ما عَنْه مَذْهَبُ
أعُوذُ بحُسنِ الصفحِ منكمْ وقَبْلَنا ... بِصَفْحٍ وعفْوٍ ما تعوّدَ مُذْنِبُ

فكتب إليها أبو منصور الباخرزيّ : [من الطويل]

لَئن أُهدِيَت عُتباكِ لي ولإخوتي ... فمِثْلُكِ يا فضلَ الفضائلِ يُعتِبُ
إذا اعتذر الجاني محا العذرَ ذنبَه ... وكلُّ امرىء لا يَقبل العُذْرَ مذنِبُ

[عندما يئست من إيقاظ المتوكل]

حدَّثني عليُّ بنُ هارونَ بن عليِّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني عمّي عن جدِّي ، قال : قال لي المتوكّل يوماً ، وفضل واقفة بين يديه : يا عليّ ، كان بيني وبين فضل موعِد ، فشرِبْت شُرْباً فيه فضْل ، فسكِرْت ونِمتُ ، وجاءَتني للموعد ، فحرّكتني بكلّ ما ينتبه به النائم من قَرْص وتحريك وغَمْز وكلام ، فلم أنتبه . فلمّا علِمَتْ أنّه لا حيلة لها فيّ كتَبَتْ رُقعة ووضَعَتْها على مَخَدَّتي ، فانتبهتُ فقرأتها ، فإذا فيها : [من مجزوء الرمل]

قد بَدا شِبْهك يا مو ... لايَ يَحْدُو بالظلامِ
قُمْ بنا نَقْضِ لُبانا ... تِ التزامٍ والتئامِ
قَبْلَ أنْ تَفضَحنا عَوْ ... دةُ أرواحِ النِّيامِ

[تهاجي الجواري]

أخبرني محمدُ بن خلفِ بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف ، وكانت شاعرةً ، وكان أبو شِبْل عاصمُ بن

وهبٍ يعاون فضلاً عليها ، ويهجوها مع فضل . وكان القصيديّ والحفصيّ يُعينان خنساء على فضل وأبي شبل ، فقال أبو شبل على لسان فضل : [من السريع]

خنساءُ طِيري بجَنـاحَيْنِ أُصبَحْتِ مَعْشوقـةَ نَذْلَيْن

مَن كان يَهوى عاشقاً واحداً فأنـتِ تَهْوَيْـنَ عَشيقَيْن

هذا القصيديّ وهذا الفتى الـ ـحفصّي قـد زاراكِ فَرْدَيْنِ

نَعِمْتِ مـن هـذا وهذا كما يَنْعـم خِنزيـر بحُشَّيْن[1]

فقالت خنساءُ تجيبها : [من السريع]

ماذا مَقالٌ لكِ يـا فضلُ بَلْ مقـالُ خِنزيرَيْـن فَرْدَيْـنِ

يُكْنى أَبا الشبلِ ولو أَبصرَتْ عينـاهُ شِبـلاً راثَ كُـرَّيْنِ[2]

وقالت فضل في خنساء : [من الخفيف]

إنَّ خنساء لا جُعِلْـتُ فِداها اشتراها الكَسَّارُ مـن مولاها

ولهـا نَكْهَةٌ يقـول محاذيـ ـها أَهـذا حَدِيثها أم فُساها

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل : [من الطويل]

تَقُول لـه فضلٌ إذا ما تخوَّفتْ ركوبَ قبيح الذُّلِّ في طلبِ الوصلِ

حِرُ أُمٍّ فَتًى لم يَلْقَ في الحُبِّ ذِلّةً فقلت لها لا بَل حِرُ أُمِّ أَبي الشبلِ

وقالت خنساء تهجو أبا شبل : [من الكامل]

مـا يَنْقَضي فِكْري وطولُ تعجُّبي مِـن نعجـةٍ تُكْنى أَبا الشبلِ

لَعِـبَ الفحولُ بسُفْلِها وعِجانها فتمـرَّدَتْ كتمـرّدِ الفحـلِ

لمـا اكتَنَيْتَ بمـا اكتَنَيْت بـه وتَسَمَّـتَ النقصـانُ بالفضلِ[3]

كادَتْ بِنا الدُّنيـا تَميد ضحى ونَـرى السماءَ تَذُوبُ كالمُهْلِ[4]

قال : فغضب أبو شبل لذلك ، ولم يجبها ، وقال يهجو مولاها هشاماً : [من الخفيف]

نِعْمَ مأوى العُزَّاب بَيتُ هشام حين يرمي اللِّئامَ باغي اللئـامِ

مَن أَراد السرور عند حبيبٍ لِينالَ السرورَ تحـت الظلامِ

---

1 حشان : مثنى حشّ ، وهو البستان ، ثم كني به عن مكان قضاء الحاجة .

2 كرين : مثنى كر ، وهو مكيال كبير .

3 تسمّت به : أخذ سمته ، أي أشبهه .

4 المهل : من معانية القطران ، والذائب من الصفر والحديد .

فهشامٌ نَهـــارُه ودُجى الليـ ـــل سواءٌ نَفْسي فِداءُ هشامِ
ذاك حـــرٌّ دواتُه ليس تخلــو أبـــداً مَـــنْ تَخَـــرُّق الأقلام

[أعجلها طلب الخليفة عن زيارة سعيد بن حميد]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون ، قال[1] : زارت فضل الشاعرة سعيدَ بن حُمَيد ليلةً على موعد سَبَق بينهما ، فلمّا حصلت عنده جاءتها جاريتُها مبادرة تُعْلمها أنّ رسول الخليفة قد جاء يطلبها ، فقامت مبادرةً فمضَت ، فلمّا كان من غدٍ كتب إليها سعيد : [من الكامل]

ضَنَّ الزمانُ بهـــا فلمّا نِلْتُها وَرَدَ الفِراقُ فكان أقبحَ وارِدِ
والدَّمعُ ينطقُ للضميرِ مصدِّقاً قولَ المُقـــرّ مكذِّباً للجاحِدِ

[رثاؤها الخليفة]

حدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي الدُّنيا ، قال : حدَّثني ميسرةُ بنُ محمد ، قال : حدَّثني عُبيد بن محمد ، قال : قلت لفضل الشاعرة : ماذا نزل بكم البارحة ؟ ، قال : وذلك في صبيحة قَتْل المنتصِر المتوكّل ، فقالت وهي تبكي : [من البسيط]

إنّ الزمانَ بذحْـــلٍ كان يطلبنـــا مـــا كان أغفلَنا عنـــه وأسهانا[2]
ما لي ولِلدَّهرِ قـــد أصبحْتُ هِمتَه ما لي ولِلدَّهْرِ مـــا لِلدَّهـــرِ لا كانا

[في يوم نيروز]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني محمدُ بن الفضل ، قال : حدَّثني أبو هفّان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن ، قال : خرجت قبيحة[3] إلى المتوكّل يوم نَيْروزٍ وبيدِها كأسُ بَلُّور بشراب صاف ، فقال لها : ما هذا فديتُك ؟ قالت : هَدِيَّتي لك في هذا اليوم ، عرّفَك الله بركته ! فأخذه من يدها ، وإذا على خدِّها : جَعْفَرٌ ، مكتوباً بالمسك ، فشرب الكأسَ وقبَّل خدَّها ، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت : [من الطويل]

وكاتِبةٍ بالمسكِ في الخَدِّ جعفرا بنَفْسي سواد المسكِ من حيثُ أثَّرا
لئن أثَّرتْ بالمسك سطراً بِخَدِّها لقد أودَعَتْ قلبي من الحزْنِ أسطُرا
فيـــا مَن مُناها في السريرةِ جعفرٌ سقى الله مـــن سُقيا ثناياكِ جعفرا

الغناء لِعَريبَ ، خفيفُ رملٍ . قال : وأمر عريب فغنَّت فيه . وقالت فضل في ذلك أيضاً : [من السريع]

---

1 تقدم الخبر والشعر في ترجمة سعيد بن حميد في الجزء 18 : 116 .
2 ذحل : ثأر .
3 قبيحة : زوجة المتوكل .

سُلافــةٌ كالقمَــــر الباهــــرِ   في قَــدَحٍ كالكوكب الزاهرِ
يُدِيرها خشفٌ كبَدْرِ الدجَى   فوق قضيبٍ أهيــفٍ ناضرِ
على فتًــى أروعَ مــن هاشم   مثلِ الحسامِ المُرهَف الباتِرِ

وقد رُويت الأبيات الأُوَل لمحبوبة شاعرةِ المتوكّل ، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرتُ بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب .

[رسالة وجوابها]

أُخبرني محمدُ بنُ خلف ، قال : أُخبرني أبو الفضل المَرْوروذيّ ، قال : كتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد[1] : [من الوافر]

بَثَثْتُ هواك في بَدَني ورُوحي   فأُلِّف فيهمــا طمعــاً بِياسِ

فأجابها سعيد في رقعتها : [من الوافر]

كفانا اللهُ شرَّ اليــأس إنّــي   لِبُغض اليــأس أُبغض كل آسي

[ميلها إلى بنان]

حدَّثني عمِّي ؛ قال : حدَّثني ابنُ أبي المدوّر الورّاق ، قال : كنت عند سعيدِ بن حُميد ، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعَّبُ ، وقد بلغه ميلُها إلى بُنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك ، فأقبل على صديق له فقال : أصبحْتُ واللهِ من أمر فضل في غُرور ، أخادع نفسي بتكذيب العِيانِ ، وأمنِّيها ما قد حِيل دونه . والله إنَّ إرسالي إليها بعدما قد لاحَ من تغيّرها لَذُلّ ، وإنَّ عدولي عنها وفي أمرها شبهة لعَجْز ، وإنَّ تصبّري عنها لَمِنْ دواعي التَلَف ، ولله دَرُّ محمدِ بن أبي أُميّة حيث يقول : [من الكامل]

يا ليت شِعْري ما يكون جوابي   أمّا الرسولُ فقد مضى بكتابي
وتعجَّلتْ نفسي الظنونُ وأشْعِرَتْ   طمعَ الحريصِ وخِيفَــةَ المُرْتابِ
وترُوعني حــركاتُ كلِّ محــرِّك   والبــابُ يقرعــه وليس ببابي
كَمْ نحوَ باب الدار لي مِن وَثْبةٍ   أرجــو الرسولَ بمَطْمع كــذّابِ
والويلُ لي مِــن بعدِ هــذا كلِّه   إن كان مــا أخشاه ردَّ جوابي

[غضب بنان عليها ولم يقبل اعتذارها]

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى المنجّم ، قال : غضب بُنانٌ على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها ، فاعتذرت إليه ، فلم يقبل معذرتها ، فأنشدتْني لنفسها في ذلك : [من السريع]

---

1 مجموع شعره : 134 .

يـا فضـلُ صبراً إنّها مِيتَةٌ يَجْرَعُها الكاذبُ والصادقُ
ظـنَّ بُنـانٌ أنَّني خُنْتُـه رُوحي إذاً مِـن بَدَني طالقُ

[تجيز بيتاً لعلي بن الجهم]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ؛ قال : حدَّثني أبو العبّاس المَرْوَزيّ ، قال : قال المتوكّل لعليّ بن الجَهْم : قُلْ بيتاً ، وطالِب فضلَ الشاعرة بأن تُجِيزه ، فقال عليّ : أجيزي يا فضل[1] : [من المنسرح]

لاذَ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

قال : فأطرقت هُنيهة ثم قالت .

فلم يـزل ضارعاً إليها تَهْطِـل أجفانُـه رَذاذا
فعاتَبوه فـزاد عِشقـاً فمات وجداً فكان ماذا

فطرب المتوكّل ، وقال أحسنتِ وحياتي يا فضل ، وأمر لها بمائتي دينار ، وأمر عريبَ فغنَّت في الأبيات .

قال مؤلّف هذا الكتاب : أعرف في هذه الأبيات هَزَجاً لا أدري أهو هذا اللحن أم غيره ؟ ولم أرَه في أغاني عَريب ، ولعلّه شَذَّ عنها .

صوت

[من مجزوء الوافر]

أمامـةُ لا أراكَ اللـ ـه ذلَّ معيشةٍ أبـدا
ألا تستصلحين فتـى وقاك السوءَ قد فسدا
غلام كان أهلُكَ مـرّ ة يدعونـه ولَـدا

الشعر لعبد الله بنِ محمدِ بن سالمٍ الخياط ، والغناء للرّطّاب الجدي ، ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو ، وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق وأحمدَ بن المكّيّ .

وذكر عبد الله بنُ موسى بنِ محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحيّة أنّها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطّاب عن تينة ، وسألته عن صانعه فأخبرها أنّه له .

1 بيت ابن الجهم ، وإجازة فضل في الفوات 3 : 185 .

[411] ـ نسب ابن الخياط وأخباره

هو عبدُ الله بنِ محمدِ بن سالمِ بن يونُس بن سالم . ذكر الزُّبيرُ بنُ بَكّار أنّه مولًى لقريش ، وذكر غيره أنَّه مولى لهُذَيل .

وهو شاعرٌ ظريفٌ ، ماجنٌ خليعٌ ، هجّاءٌ خبيثٌ ، مخضرمٌ من شعراء الدولة الأمويّة والعبّاسيّة . وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير بنِ العوام مدّاحاً لهم ، وقدِم على المهديّ مع عبدِ الله بن مصعَب فأوصله إليه ، وتوصّل له إلى أن سمِع شعره وأحسن صلته .

[المهديّ يجيزه ثم يضعف له الجائزة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكّار قال : حدَّثني يونُس بنُ عبد الله بن سالم الخيّاطُ قال : دخل أبي على المهديّ فمدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فقال يمدحه : [من الطويل]

أخذتُ بكفّي كفَّــه أبتغي الغِنى ... ولم أَدرِ أَنّ الجودَ من كفِّه يُعدي

فلا أَنا منــه مــا أَفادَ ذوو الغِنى ... أَفدتُ وأَعداني فأَتلفتُ ما عندي

قال : فبلغ المهديَّ خبرُه ، فأضعف جائزته ، وأمر بحملها إليه إلى منزله .

قال الزُّبيرُ بن بَكّار : سرق ابن الخيّاط هذا المعنى من ابن هَرْمة .

[معدود في الهجائين]

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثنا أَحمدُ بن أَبي خَيثمة ، قال : حدَّثني مصعَب بنُ عبد الله قال : سمعتُ أبي يقول : لم يبرح هذه الثنيّةَ قطُّ أحد يَقذف أعراض النّاس ويهجوهم . قلت : مثلُ مَن ؟ قال : الحزينُ الكنانيّ ، والحكَمُ بنُ عِكرمة الدّؤليّ ، وعبدُ الله بن يونس الخيّاطُ ، وابنه يونس ، وأبو الشدائد .

[ابنه يعقه]

أخبرني محمد بنُ مَزْيد قال : حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار قال : كان يونُس بن الخيّاط عاقّاً لأَبيه ، فقال أَبوه فيه : [من المنسرح]

يونسُ قلبــي عليــك يلتهفُ ... والعين عبرى دموعها تكِفُ

تُلحِفني كسوة العقوق فــلا ... بَرِحتَ منها ما عشتَ تلتحفُ

أُمرتَ بالخفضِ للجناح وبالر ... فــقِ فأَمسى يعُوقـكَ الأَنَفُ

ويلـــك واللهِ مـــن زبانيـــة إن سُلِّطوا في عذابهـــم عَنُفوا

فأجابه ابنه يونُس ، فقال : [من المنسرح]

أصبح شيخي يُزري به الخَرَفُ ما إن لـــه حرمة ولا نَصَفُ

صِفاتنا في العقـــوقِ واحـــدة مـــا خلتُنا في العقوقِ نختلفُ

لَحَفتَه سالفاً أباكَ فقـــد أصبحتَ منّي كذاك تلتحفُ

[يهجو وضيعاً بنى داراً]

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ وَكيعٌ قال : حدَّثني طلحةُ بن عبد الله قال : حدَّثني أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : مرَّ ابن الخيّاط بدارِ رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضّعة وخساسة الحال ، وقد شيّد بابها وطَرْمح[1] بناءها ، فقال : [من الطويل]

أطِله فما طـــول البناء بنافعٍ إذا كان فرعُ الوالدَين قصيرا

[بينه وبين موسى بن طلحة]

أخبرني وَكيعٌ قال : أخبرني إبراهيم بنُ إسحاق بنِ إبراهيم بنِ صالح قال : أخبرني العامريُّ قال : هجا ابنُ الخيّاط موسى بن طَلحةَ بن بلال التيميّ ، فقال : [من الخفيف]

عجـــب الناسُ لِلعجيب المُحالِ حاض موسى بنُ طلحةَ بنِ بلالِ

زعمـــوه يحيضُ في كلّ شهـــرٍ ويَـــرى صُفـــرة لكـــلّ هـــلالِ

قال : فلقيه موسى ، فقال : يا هذا ، وأيّ شيء عليك ؟ نَعم حضتُ ، وحملتُ ، وولدتُ وأرضعتُ . فقال له ابنُ الخيّاط : أنشُدك اللهَ ألاّ يسمعَ هذا منك أحد فيجترىء على شعري النّاس ، فلا يكون شيئاً ، ولن يبلغَك عنّي ما تكره بعد هذا ، فتكافًّا .

[رأي القاضي في عتق جارية]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني مصعَب بن عثمان قال : ما رأيتُ بريق صَلَع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القُتَيليّة جارية إبراهيم بنِ أبي قُتَيلة ، وكان يعشقها ، وبيعَتْ في دَيْن عليه ، فبلغت خمسمائة دينار . فقال المغيرة بنُ عبد الله لابن أبي قُتَيلة : ويحك ! اعتقها فتُقوَّمَ عليك ، فتَتَزوّجها ، ففعل . فرُفع ذلك إلى أبي عمران وهو القاضي يومئذٍ فقال : أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة . أمّا نحن في الحكومة فقد عرفنا أنْ قد بلغت خمسمائة دينار ، فاذهبوا فقوّموها ، فإن بلغت القيمةُ أكثر من هذا ألزمناه ، وإلاّ فخُذوا منه خمسمائة دينار . فاستُحسِن هذا الرأي ، ولَيس عليه الناس قَبْلَنا ، فقال ابنُ الخيّاط

1 طرمح : طوّل .

يذكر ذلك من أمر ابن أبي قُتَيلة وما كان من أمر جاريته : [من السريع]

يا معشرَ العشّاقِ مَن لم يكن مثـل القُتَيـليّ فـلا يعشَقِ
لمـا رأى السُّوّامُ قـد أحدقوا وصيحَ في المغـربِ والمَشرقِ
واجتمـع النّـاسُ عـلى دُرَّة نظيرهـا في الخَلْـقِ لم يُخلَقِ
وأبـدتْ الأمـوالُ أعناقهـا وطاحـت العسرةُ للمملِـقِ
قلّـب فيـه الرأيَ في نفسه يديـرُ مـا يأتي ومـا يتّقي
أعتقهـا والنفسُ في شدقهـا للمعتَـق المَـنّ عـلى المُعْتِقِ
وقـال للحـاكم في أمرهـا إن افترقْنـا فمتـى نلتقـي ؟

وأخبرني بهذا الخبر وكيعٌ قال : قال الزُّبَير بن بَكّار ، وذكر مثلَ ما ذكره الحِرْميُّ ، وزاد فيه : فكان فيهم ، يعني فيمن حضر ، لابتياعها موسى بن جعفرِ بن محمدِ ومحمد بن زيدِ بن عليّ ، والقاسمُ بن إسحاق بن عبدِ الله بن جعفرٍ ، وغيرُهم . قال : فرأيتهم قياماً في الشمس يتزايدون فيها . وقال في خبره : ابن أبي قُتَيلة بالتاء .

[يسأل سائل عنه ابنه يونس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكّار قال : حدَّثني يونُس بن عبد الله بن سالم الخيّاطُ قال : كنت ذات عشيّة في مسجد رسول الله ﷺ وقت العصر في أيّام الحاج ، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطَّعاتُ خزّ ، وإذا معه جماعة . فوقف إلى جنبي فصلّى ركعتين ، ثم أقبل عليّ ، وكان ذلك من أسباب الرزق ، فقال : يا فتى ، أتعرف عبدَ الله بن سالمٍ الخيّاطَ ؟ فقلت : نعم . فلمّا صلَّينا قال : امضِ بنا إليه ، فمضيت به ، فاستخرجت له أبي من منزله ؛ فقال الرجل : بلغني أنَّك قلت شعراً في أمر العَصَبيّة ؛ فقال له أبي : ومَن أنت بأبي أنتَ وأمّي ؟ فقال : أنا خزيم بن أبي الهَيْذام ، فقال له أبي : نعم قد قلته ، وأنشده : [من الخفيف]

اسقياني من صِرف هذي المدام ودعـاني وأقصرا مـن ملامي
واشربا حيثُ شئتما إنّ قيساً قد عـلا عزُّهـا فروعَ الأنامِ
ليس واللهِ بـالشآم يمـانٍ فيـه رُوح ولا بغيـرِ الشآمِ
يَطعَم النوم حين تكتحلُ الأعْـ ـين بالنوم عند وقـت المنامِ
حَذرا من سيوف ضِرغامةٍ عا دِ على الهَـولِ باسلٍ مقدامِ
من بَني مُرّةَ الأطايبِ يكنى عند دَسر الرّمـاح بالهَيذامِ[1]

1 دسر : طعن ودفع .

[ابنه ينافسه]

قال : فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزاه خيراً . قال يونس : فبادرتُ فأخذت بيد المُرّي وقلت له : لا تَعجَل فإنّي قد قلت شعراً أجود[1] من شعره . قال أبي : ويلك يا يونُس يا عاضَّ بَظْر أُمّه ! تحرمني ؟ فقلت : دع هذا عنك ، فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك . فقلت ليونس : ومَن كانت امرأةَ أبيك يومئذٍ ؟ فقال : أُمّي ، وجمعت والله عقوقهما معاً . فقال لي المُرّي أنشد فأنشدته : [من الخفيف]

اسقياني يا صاحبيّ اسقياني ودعاني من الملامِ دعاني
اسقياني هُديتما من كُميتٍ بنْتِ عَشْرٍ مشمولةٍ أسقياني
فُضّ عنها خِتامُها إذ سباها واضِحُ الخَدّ من بني عدنانِ
نَتحايا بالكأس أربعةً في الدّ ورِ هذان ناعمانِ وذانِ
ذا لهذا رَيحانة مثل هذا ك لهذا من طَيّبِ الريحانِ
فنهضنا لموعدٍ كان منّا إذ سمعنا تجاوب البُكْمانِ
فنعِمنا حولَين بَهْراً وعشنا بين دُفٍّ ومسمِع ودِنانِ
ثم هِجنا للحرب إذ شبّت الحر بُ ففزنا فيها بسبق الرِّهانِ
إنّ قيساً في كلّ شرق وغربٍ خارجٌ سَهمُها على السُّهمانِ
منعَ اللهُ ضيمَنا بأبي الهيـ ـذام حِلْفِ السماح والإحسانِ
واليمانون يفخرون أمَا يَد رونَ أن النبيَّ غيرُ يمانِ

قال : فقال الفتى لأبي : قد وجب علينا من حقّه مثلُ ما وجب علينا من حقّك يا شيخ ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي ، وقسم الدنانير بيننا ، وكانت خمسين ديناراً .

[عقّ أباه فعقّه ابنه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى بنِ حمّاد قال : حدَّثني الزُّبير قال : مرَّ رجل بيونُس بنِ عبد الله بن الخيّاطِ ، وهو يعصِر حَلْق أبيه وكان عاقّاً به ، فقال له : ويلك أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلّصه من يده ، ثم أقبل على الأب يُعزّيه ويسكّن منه . فقال له الأب : يا أخي لا تَلُمه ، واعلم أنّه ابني حقّاً . والله لقد خنقتُ أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه . فانصرف عنه الرجل وهو يضحك .

1 ل : أشعر .

[محمد بن سعيد يستجيب لشكوى يونس]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمان النَّوفليّ عن عمِّه عيسى قال : شكا عبد الله بن يونس الخيّاطُ إلى محمدِ بنِ سعيدِ بن المغيرة بن نَوْفَلِ بنِ الحارثِ بنِ عبد المطّلب حاله وضيقاً قد ناله ، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر ، فقال يمدحه : [من السريع]

يا ابن سعيد يـا عَقيدَ النَّدى   يا بارعَ الفضل على المُفضِلِ
حللتَ في الذِّروة من هاشم   وفي يَفـاعٍ مـن بنـي نَوْفَلِ
فطابَ في الفرعيْنِ هـذا وذا   مـا اعتمّ من منصِبك الأطولِ
قد قلـتُ للدّهرِ وقـد نالني   بـالنّابِ والمِخلـبِ والكَلكلِ
قد عُذتُ من ضُرِّك مستعصِماً   بهاشمـــيٍّ ماجـدٍ نوفـــلي
فقال لي أهـــلاً وسهـــلاً معاً   فُـزْتَ ولم يمنعْ ولم يَبخلِ[1]
الدّهـــرُ شِقّـــانِ فشِقٌّ لـــه   لـينٌ وشقٌّ خَشِنِ المنـــزلِ
وأَخشنَ الشِّقَّين عنِّـي نَفى   وشقُّه الألْيَـن مـا عاشَ لي
فقُل لهـذا الدهر مـا عاش لا   تَبـقِ لا تُـــرْعِ ولا تـأتلي

[يونس يستعفي من الصلاة]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : أخذ أبي ، لمّا وَلي الحجاز ، عبدَ الله بن يونس الخيَّاط بأن يصلِّي الصلوات الخمسَ مع الجماعة في مسجد رسول الله ﷺ ، فجاءني هو ومحمدُ بنُ الضّحاك وجعفرُ بن الحسين اللّهبيّ ، فوقف بين يديّ ، ثم أنشدني : [من الرجز]

قُل للأمير يـا كريم الجِنسِ   يا خيرَ من بالغَور أو بالجَلْسِ[2]
وعُدّتـي لولـــدي ونفسي   شغلْتَني بالصّلـواتِ الخمسِ

فقلت له : ويلك ! أتريد أن أستعفيَه لك من الصّلاة ؟ والله ما يعفيك ، وإن ذلك ليبعثه على اللَّجاج في أمرك ، ثم يضرّك عنده . فمضى وقال : نَصبر إذن حتى يُفرج اللّهُ تعالى .

[صديق يهبه القميص سكراناً ويستردّه صاحياً]

أخبرني محمدٌ قال حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار قال حدَّثنا يونُس بن الخيّاط قال : كان لأبي صديق ، وكان يدعوه ليشرب معه ، فإذا سَكِر خلع عليه قميصه ، فإذا صحا من غدٍ بعث إليه

1 فزت في ل : شمت .
2 الجلس : بلاد نجد ، وأصله الأرض الغليظة .

فأخذه منه فقال أبي فيه : [من الطويل]

كساني قميصاً مرّتينِ إذا انتشى وينزعُــه منّــي إذا كان صاحِيا
فَلِـي فَرحــة في سُكره بقميصه وروعاته في الصَّحوِ حَصَّت شَواتِيا[1]
فيا ليت حظّي من سروري وروعتي تكــون كَفافــاً لا عـليَّ ولا لِيَا

[مقابلة بالمثل]

أخبرنا وكيعٌ قال حدَّثنا محمد بنُ الحسنِ بنِ مسعودٍ الزُّرَقيُّ قال : قال يونُس بنُ عبدِ الله الخَيَّاطُ لأبيه ، وكان عاقّاً به : [من مجزوء الرجز]

ما زال بي ما زال بي طعنُ أبي في النسبِ
حتى تَرَيَّبْت وحتــ ـى ساءَ ظنّي بأبي

قال : ونشأَ ليونُسَ ابنٌ يقال له : دحيم ، فكان أعقَّ النّاس به ، فقال يونسُ فيه : [من المنسرح]

جَـلا دحيــمُ عَمايةَ الرِّيَبِ والشكَّ منّي والطَّعن في نسبي
ما زال بي الظَّنّ والتشكُّك حتـ ـى عقَّني مثلَ مــا عَقَقتُ أبي

[نسيب يونس]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني يونُس بنُ الخيّاط قال : أنشدتُ سعيدَ بن عمرو الزُّبيريّ : [من الكامل]

لــو فاحَ ريحُ حبيبةٍ من حِبِّها فاحت رياحُ حبيبتي من ريحي

قال : فقال لي سعيد بن عمرو : والله إنّي لأقول النسيب ، فلا أقدر على مثل هذا . فقلت له : ومن أين تقدرُ على مثلِ هذا يا أبا عثمانَ ؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك .

[يؤثر ابنه على نفسه]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني يونُس بنُ الخيّاط قال : لمّا أعطى المهديّ المغيرةَ بنَ حبيب ألف فَريضة يضعها حيث شاء جاءه أبي عبد الله بنُ سالم ، وقال له : [من الكامل]

ألــف تــدور على يــدِ لِمُمَدَّحٍ مــا سُوقُ مادحِهِ لديـه بكاسِدِ
الظنُّ منّــي لــو فرضتَ لواحدٍ في الأعجمين خصصتَني بالواحدِ

قال : فقال له المغيرة : أيّهما أحَبّ إليك : أأفرض لك أم لابنك يونُس ؟ فقال له : أنا شيخ

---

1 حص : حلق الشعر . والشواة : جلدة الرأس .

كبير ، هامةُ اليوم أو غدٍ[1] ، افرِض لابني يونُسَ ، ففرض لي في خمسين ديناراً ، فلمّا خرجَت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدَي بَكّار بن عبد الله قال لي خليفتُه وخَليفة أيّوبَ بن أبي سمير ، وهما يعرضان أهل ديوان العطاء ، : أنت من هُذَيل ونراك قد صِرْتَ من آل الزُّبير فنَرُدُّكَ إلى فرائض هُذيلٍ خمسةَ عشرَ ديناراً . فقال لهما بكّار : إنّما جُعلتما لتَتَّبعا ولا تبتدعا ، أمضياه ، فأعطياني مائة وخمسين ديناراً .

[هجاء ابنه للقاضي]

أخبرني محمدُ بنُ خَلفٍ وكيعٌ قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا ابنُ أبي قَباحة الزهريّ قال : لمّا عُزِل ابنُ عِمران ، وهو عبد الله بنُ محمدِ بنِ عِمرانَ التيميُّ ، عن القضاء ، واستُعمل هشامُ بنُ عبد الله بنِ عِكرمة المخزوميُّ ، جزِع ابنُ عِمران من ذلك ، فقال بعضُ أصحابه ليونُسَ بنِ عبد الله الخيّاطِ : اهجُ هشاماً بما يغضّ منه ، فقال : [من مجزوء الرمل]

كم تغنّـــى لي هشام ذلك الجِلــف الطويلُ
بعد وهْن وهو في المجـ ـلس سكــرانُ يميــلُ
هَــل إلى نـــار بسَلْعٍ آخِــرَ الدَّهْــرِ سَبِيلُ[2]
قلــتُ للنَّدمــان لمّــا دارتْ الرّاحُ الشَمولُ
بأبـــي مـــالَ هِشامٌ فكمـــا مـــالَ فميلُوا

قال : وشَهَرها في النّاسِ ، وبلغ ذلك هشاماً فقال : لعنه الله ؛ إنْ كان لَكاذباً . فقال ابن أبي قَباحة : فقلتُ لابن الخيّاط : كذبت ، أما والله إنّه لأمرٌ من ذلك .

[ابنه يطعن في نسبه أمام الحضور]

أخبرنا وَكيعٌ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود قال : قال يونُس بنُ عبد الله بن الخيّاطُ : جئتُ يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له ؛ فوقفت عليهم لأغيظه ، وقلت : ألا أُنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم : [من البسيط]

يـا سائــلي مَن أنا أو مَن أُناسبه أنـا الذي ما لَـه أصل ولا نسبُ
الكلبُ يختالُ فخراً حين يُبصرني والكلبُ أكرمُ منّي حين يَنتسِبُ

1 المثل «هامة اليوم أو غد» في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .
2 سلع : جبل بالمدينة ، وآخر في هذيل . الدَّهْر في ل : الليل .

لو قال لي النّاسُ طُرّاً أَنتَ أَلأمُنا ما وَهِم النّاسُ في ذاكُمْ ولا كذبوا

قال : فوثب إليَّ ليضربني ، وعدَوتُ من بين يديه ، فجعل يشتِمْني وأَصحابه يضحكون .

[جلد ابنه في الشراب فهجا القاضي]

أَخبرني وكيعٌ قال : حدَّثنا محمدُ بن الحسنِ بنِ مسعود : أنّ مالكَ بنَ أَنَس جَلد يونُسَ بنَ عبد الله بنِ سالم الخيَّاطِ حدّاً في الشراب . قال : ووَلي ابن سعيد القضاء بالمدينة ، فقال يونُس فيه : [من الرجز]

بكَتْنــيَ النَّـاسُ لأَنْ جُلِدتُ وسْط الرحَبَهْ
وأَنَّنــي أزني وقــدْ غنَّيــتُ في المحتسِبَــهْ
أَعـزِف فيهـم بِعصا مالــكٍ المقتضَبَــهْ
فقلــت لمّــا أكثـروا علــيَّ فيــم الجلبَهْ
ذا ابن سعيد قد قضى وحالنــا مقترِبَــهْ
لا بل لــه التفضيل فيـ ـما لم أَنَــل والغلَبَهْ
بحُسن صوتٍ مُطرب وزوجــةٍ مَغْتصَبَــهْ

[يستزيد الزُّبير بن بكّار]

أَخبرني الحِرْميُّ ابنُ أَبي العلاء ووَكيعٌ ، قال الحِرْميُّ قال الزُّبير ، وقال وكيعٌ قال الزُّبير بنُ بكّار : أرسل إليّ ابن الخيّاط يقول : إنّي عليل[1] منذ كذا وكذا ، ومنزلي على طريقك إذا صدرتَ إلى الثّنية[2] ، وأنا أُحبّ أن أُجدِّد بك عهداً . قال : فجعلته على طريقي ، فوجدته على فُرُش مُضَرَّبة[3] ، وحوله وسائد ، وهو مسَجًّى . فكشف ابنه الثوب عن وجهه ، وقال له : فدَيتُك ، هذا أبو عبد الله . فقال له : أجلسني ، فأَجلَسه وأسنَده إلى صدره . فجعل يقول بنَفسٍ منقطع : بأبي أنتَ وأُمِّي ! أموتُ منذُ بضعَ عشرةَ ليلة ما دخل عليّ قُرَشيٌّ غيرك وغير الزُّبير بن هِشام وإبراهيمَ بنِ المنذر ومحمدِ بن عبد الله البكريّ ، ولا والله ما أعلم أحداً أحبّ قريشاً كحبّي . قال الزُّبير : وذكر رجلاً كان بيني وبينه خلافٌ فقال : لو كنت شابّاً لفعلت بأُمِّه كذا وكذا ، لا يكني ، ثم قال : [من السريع]

والله لــو عادَت بني مُصعَب حلِيلَتــي قلــت لَهـا : بيني

---

1 ل : أموت .

2 ل : البنية .

3 مضربة : ذات طاقين بينهما قطن .

أو ولدي عن حبِّهم قصّروا ضَغطتهم بالرَّغم والهُونِ
أو نظرَتْ عيني خلافاً لهمْ فقأتها عَمداً بسكينِ

ثم أقبل على ابنه ، فقال : يا بنيّ أقول لك في أبي عبد الله ما قال ابن هرمة لابنه في الحسن بن زيد[1] : [من البسيط]

والله جارُ عُتيٍّ دعوةً شفقا من الزمان وشرِّ الأقرب، الوالي
من كلِّ أحيدَ عنه لا يُقرِّبه وسْط النجيّ ولا في المجلس الخالي[2]

[وفاته]

قال الزُّبيرُ : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله البكريّ : أنّه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه ، قال : فقال لي : يا أبا عبد الله ، أنا أجودُ بنفْسي منذ كذا وكذا ولا تخرج ، ما هكذا كانت نفس عَبِيد ولا لَبيد ولا الحطيئة ، ما هي إلاّ نفس كلب ؛ قال : فخرجتُ فما أبعدت حتى سمعت الواعية[3] عليه .

صوت

[من مجزوء الرمل]

بأبي ما لَكَ عنّي مائلَ الطرف كليلا !
وأرى بِرّك نَزْراً وتَحفّيكَ قليلا
وتُسمّيني عدوّاً وأُسمّيكَ خليلا
أتعلّمتَ سلُوّاً أمْ تبدّلْتَ بديلا ؟
أحمَدُ الله فما أغـ ـنى الرَّجا فيكَ فَتيلا

الشعر لعليّ بن جَبَلة ، والغناء لزُرزُور غلامِ المارقي ، خفيفُ رملٍ بالبنصر من راويتَي الهشاميّ وعبدِ الله بن موسى . وفيه لعَريبَ هزَج ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ من جيِّد الغناء . ينسب إليها وإلى علّويَه ، وهو بغنائها أشبه منه بغناء عَلُّويَه .

1 ديوان ابن هرمة : 198 عن الأغاني .
2 النجي : المتناجون .
3 الواعية : الصراخ على الميت .

[412] ـ أخبار عليّ بن جبلة[1]

هو عليُّ بن جَبَلة بنِ عبد الله الأَبناويّ[2] ، ويكنى أبا الحسن ، ويلقَّبُ بالعَكَوَّك ، من أَبناء الشيعة الخُراسانيّة من أهل بغداد ، وبها نشأ ، ووُلد بالحَرْبيّة[3] من الجانب الغربيّ . وكان ضريراً ، فذكر عطاءُ الملطِ أنّه كان أكمه ، وهو الذي يولد ضريراً ، وزعم أهلُه أنّه عمي بعد أن نشأ .

[قصر شعره على أبي دُلف وحميد الطُّوسيّ]

وهو شاعر مطبوع ، عذْب اللفظ جزله ، لطيفُ المعاني ، مدّاح حسن التصرّف . واستنفَد شعرَه في مدح أبي دُلَف القاسِمِ بنِ عيسى العِجْليّ ، وأبي غانم حُمَيدِ بن عبد الحميد الطُّوسيّ ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلَف خاصّة حتى فضَّل من أجله ربيعة على مضر ، وجاوز الحدّ في ذلك . فيقال : إنّ المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسَلَّ لسانه من قفاه ؛ ويقال : بل هرب ، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه ؛ وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ .

[اختلافه إلى مجالس الأدب]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار الثقفيُّ قال : حدَّثني الحسينُ بنُ عبد الله بن جَبَلةِ بن عليِّ بن جَبَلة قال : كان لجدِّي أولاد ، وكان عليّ أصغرهم ، وكان الشيخ يرِقّ عليه ، فجُدِر فذهبتْ إحدى عينيه في الجُدَريّ ، ثم نشأ فأسلِم في الكتّاب ، فحذقَ بعض ما يَحذِقه الصبيان ، فحُمِل على دابّة ونُثِر عليه اللَّوْز ، فوقعَتْ على عينه الصحيحة لَوزة فذهبَتْ ؛ فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاق من السُّلطان ، فإن أَعنتموني على هذا الصبيّ ، وإلاّ صرفْتُ بعضَ أرزاقكم إليه . فقلنا : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجالس الأدب . قال : فكنّا نأْتي به مجالسَ العِلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان ، فما أتى عليه الحَول حتى برع ، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لَمن حوله : أوسعوا للبنويّ وكان ذكيّاً مطبوعاً ؛ فقال الشعر .

[اتّهم بانتحال قصيدته في أبي دُلَف فنجح في الاختبار]

وبلغه أنّ النّاس يقصدون أبا دُلَف لجُوده وما كان يُعطي الشعراء ، فقصده ، وكان يسمّى

---

1 ترجمة علي بن جبلة (العكوك) في الشعر والشعراء : 742–746 وطبقات ابن المعتزّ : 171–185 ومعجم الأدباء (عبّاس) : 2791 وابن خلكان 3 : 350–354 والسمط : 330–332 وتاريخ بغداد 11 : 359 وشذرات الذهب 2 : 30 ومرآة الجنان 2 : 53 والورقة : 106 ونكت الهميان : 209 ، وانظر بروكلمان 2 : 37 وأعلام الزركليّ ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . حسين عطوان (دار المعارف بمصر) .

2 ل : الأنباري .

3 الحربية : محلة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ، أحد قواد المنصور .

العَكَوَّك ، فامتدحه بقصيدته التي أوّلها[1] : [من المديد]

ذاد وِرْدَ الغيِّ عن صَدرهْ وارعوى واللهوُ من وَطَرِهْ

يقول فيها في مدحه :

يا دواءَ الأرض إن فسدَت ومُديلَ اليُسر من عُسُرِهْ
كلّ مَن في الأرض من عَرَب بين باديه إلى حَضَرِهْ[2]
مستعير منك مكرمة يكتسيها يومَ مُفتَخَرِهْ
إنّما الدُّنيا أبو دُلَف بين مَبْداه ومحتضَرِهْ[3]
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ولَّتْ الدُّنيا على أثَرِهْ

فلمّا وصل إلى أبي دُلَف ، وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه ، استرابوه بها ، فقال له قائده : إنّهم قد اتّهموك ، وظنّوا أنّ الشعر لغيرك ، فقال : أيّها الأمير ، إنّ المحنةَ تزيلُ هذا ، قال : صدقْتَ ، فامتحنوه . فقالوا له : صِف فرسَ الأمير ، وقد أجَّلناك ثلاثاً ، قال : فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول . فجعلوا معه رجلاً ، فقال هذه القصيدة في ليلته ، وهي[4] : [من الرجز]

رِيعت لمنشور على مَفرِقِهِ ذمّ لها عهد الصِّبا حين انتسبْ
أهدابُ شَيب جُددٌ في رأسه مكروهةُ الجِدّة أنضاء العُقَبْ[5]
أشرقنَ في أسوَدَ أزريْن به كانَ دُحاه لهوى البِيض سببْ
واعتقنَ أيّامَ الغواني والصِّبا عن ميِّت مطلبُه حيُّ الأدبْ
لم يزدجِر مُرْعَوِياً حين ارعوى لكن يدٌ لم تتّصلْ بمطّلبْ
لم أرَ كالشيبِ وقاراً يُجتَوى وكالشَّبابِ الغضِّ ظِلاًّ يُستْلَبْ
فنازلٌ لم يُبتَهج بِقُربه وذاهب أبقى جوًى حين ذهبْ
كان الشبابُ لِمّة أزهى بها وصاحباً حرّاً عزيز المصطَحَبْ
إذ أنا أجري سادراً في غيه لا أُعتب الدّهر إذا الدّهر عتبْ

1 شعره : 65–70 .
2 عرب في ل : ملك .
3 للبيت روايات مختلفة سترد في هذه الترجمة .
4 شعره : 32–36 .
5 العقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

أبْعدُ شأوَ اللهــو في إجرائــه وأقصد الخَـودَ وراءَ المحتجَبْ
وأذعَـرُ الرَّبــربَ عن أطفالــه بأعوجــيٍّ دُلَفــيٍّ المنتَسَبْ[1]
تحسبه مــن مَــرَح العزّ بــه مستنفَراً بروعــة أو ملتهِــبْ
مُرتهِــج يرتــجُّ مــن أقطارِه كالماء جالتْ فيه ريحٌ فاضطربْ[2]
تحسبــه أقعــد في استقبالــه حتى إذا استدبرته قلتَ أكبّ[3]
وهــْو على إرهاقِــه وطيّــه يقصرُ عنــه المِحزَمـان واللّببْ[4]
تقــول فيــه حَنــبٌ إذا انثنى وهو كمتن القِدح ما فيه حَنبْ[5]
يخطــو على عُوجٍ تناهبن الثرى لم يتواكل عن شظًى ولا عصبْ[6]
تَحسِبها نائئــة إذا خطــت كأنّهــا واطئــة على الرُّكَبْ
شَتــا وقــاظ بُرْهَتَيْهِ عندنــا لم يؤتَ من برٍّ بــه ولا حَدَبْ
يصــانُ عصرَي حــرِّه وقُــرّه وتُقصَرُ الخُــورُ عليــه بالحَلَبْ[7]
حتى إذا تمَّــتْ لــه أعضاؤه لم تنحبسْ واحــدة على عَتبْ[8]
رُمنا بــه الصيد فرادَينــا بِــه أوابِدَ الوحش فأجدى واكتسَبْ[9]
محتــدم الجــري يبــاري ظلَّه ويُعرِق الأحقبَ في شوطِ الخببْ[10]
إذا تظنينــــا بــه صدَّقنــا وإن تظنــي فوتَــه العَيرُ كذبْ
لا يَبلُــغ الجهــدَ بــه راكبُه ويَبلُغ الريحَ بــه حيــث طَلبْ
ثــم انقضى ذاك كأن لم يَعنِــه وكلّ بُقيــا فإلى يــومِ عطَبْ

1 الأعوجي : فرس من سلالة أعوج .
2 مرتهج في ل : مطّرد .
3 أقعد : ما يكون في وظيفة استرخاء .
4 المحزم : الحزام . واللبب : ما يشد في صدر الدابة ليمنع انزلاق الرحل .
5 الحنب : احديداب في صلب الفرس .
6 الشظى : انشقاق العصب .
7 الخور : الخيرة من الإبل .
8 العتب : الظلع أو الأمر الكريه .
9 رادينا : داورنا .
10 الأحقب : حمار الوحش . والخبب : نوع من العدو .

وخَلف الدهرُ على أبنائِه بالقَدْحِ فيهم وارتجاع ما وهبْ[1]
فحَمَّل الدّهر ابن عيسى قاسماً ينهضْ به أبلجُ فرّاجُ الكرَبْ
كرونقِ السيفِ انبلاجاً بِالنَّدى وكغِرارَيه على أهلِ الرِّيَبْ
ما وسِنتْ عينٌ رأت طلعتَهُ فاستيقظت بنَوْبة من النُّوَبْ
لولا ابن عيسى القَرْمُ كنّا هَمَلاً لم يؤتَثلْ مجد ولم يُرعَ حسبْ
ولم يقمْ في يوم بأْس ونَدًى ولا تلاقى سببٌ إلى سببْ
تكاد تبدي الأرضُ ما تضمره إذا تداعَت خيله هَلا وهَبْ[2]
ويستَهِلُّ أملاً وخيفةً جانبُها إذا استهلَّ أو قطَبْ
وهْو وإن كان ابنَ فرعَيْ وائل فبمساعيه يوافي في الحسبْ[3]
وبعُلاه وعُلا آبائِه تُحوى غداة السبق أخطارُ القصبْ
يا زهرةَ الدُّنيا ويا بابَ النَّدى ويا مجيرَ الرُّعب من يوم الرَّهَبْ
لولاك ما كان سدًى ولا ندى ولا قريش عُرفَت ولا العربْ[4]
خذها إليك من مليءٍ بالثنا لكنّه غيرُ مليءٍ بالنَّشَبْ
فأثْوِ في الأرضِ أو استفزز بها أنتَ عليها الرأسُ والنّاسُ الذنبْ

قال : فلمّا غدا عليه بالقصيدة وأنشده إيّاها استحسنها مَن حضر ، وقالوا : نشهدُ أنّ قائل هذه قائل تلك ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم . وقد قيل : إنّ أبا دُلَف أعطاه مائة ألف درهم ، ولكن أراها في دفعات ؛ لأنّه قصده مراراً كثيرة ، ومدحه بعدّة قصائد .

[المأمون يطلب سماع قصيدته في أبي دُلَف]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى بنُ حمّاد قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن قال : قال عبد الله بن مالك : قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أُقسم على مَن حضر ممّن يحفظ[5] قصيدة عليّ بن جَبَلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلاّ أنشدَنيها ، فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بدّ من إبرار قسمه ، وما أحفظها ، ولكنّها مكتوبة

1 أبنائه في ل : على أحبابه . والقدح : الإصابة منهم .
2 هلا وهب : لفظان لزجر الخيل .
3 ل : تراقى في الحسب .
4 السدى : المعروف .
5 ل : يروي .

عندي . قال : قمْ فجئني بها ، فمضى وأتاه بها ، فأنشده إيّاها وهي[1] : [من المديد]

ذاد ورِدْ الغيِّ عن صدَرِهْ ... وارعوى واللّهوُ مِن وَطرِهْ
وأبَت إلاّ البكاءَ له ... ضحكات الشيب في شعَرِهْ
نَدمي أنّ الشبابَ مضى ... لم أبلّغه مدى أشَرِهْ
وانقضت أيّامه سَلَما ... لم أجِد حَولاً على غِيَرِهْ
حَسَرت عنّي بشاشتُه ... وذوى المحمودُ من ثمرِهْ
ودَمٍ أهدرْتُ من رشَإٍ ... لم يُرِد عَقلاً على هدَرِهْ[2]
فأتتْ دونَ الصِّبا هنةٌ ... قلبتْ فُوقي على وترِهْ[3]
جارتا ليس الشبابُ لَمن ... راحَ محنيّاً على كِبرِهْ
ذهبَتْ أشياء كنت لها ... صارَها حِلمي إلى صَورِهْ[4]
دَعْ جَدا قحطانَ أو مُضرٍ ... في يمانيه وفي مضرِهْ
وامتدحَ من وائلٍ رجلاً ... عَصَرُ الآفاق في عَصَرِهْ[5]
المنايا في مقانبه ... والعطايا في ذَرا حُجَرِهْ
ملكٌ تَندى أنامله ... كانبلاج النَّوء من مطرِهْ
مستهِلٌ عن مواهبه ... كابتسامِ الروضِ عن زَهَرِهْ
جبَلٌ عزَّت مناكبه ... أمِنتْ عدنان في ثَغرِهْ
إنّما الدُّنيا أبو دُلَف ... بين مَبداه ومحتضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَف ... ولَّت الدُّنيا عَلى أثرِهْ
لستُ أدري ما أقولُ له ... غيرَ أنّ الأرضَ في خَفَرِهْ
يا دواءَ الأرض إن فسدَت ... ومُديلَ اليُسرِ من عسُرِهْ
كلُّ مَن في الأرضِ من عربٍ ... بين باديه إلى حضرِهْ

---

1 في القصيدة هنا حذف واختلاف . قارن بمجموع شعره في الديوان وطبقات ابن المعتزّ .
2 عقل : دية .
3 الفوق : موضع الوتر من السهم .
4 صار الشيء : أماله .
5 العصر : الملجأ والحمى .

مستعيرُ منكَ مكرمةً يكتسيها يومَ مفتخَرِهْ

يقول فيها :

وزَحوف في صواهله كصياحِ الحشرِ في أُثرِهْ[1]

قُدْتَه والموتُ مكتمِنٌ في مذاكيه ومشتجَرِهْ[2]

فرمَتْ جيلوَيه منه يد طوت المنشورُ من نظرِهْ[3]

زرتَه والخيلُ عابسة تحملُ البؤسى عَلى عُقَرِهْ[4]

خارجات تحت رايتها كخروج الطير من وُكَرِهْ

وعَلى النُّعمان عُجتَ به عَوجةً ذادته عن صَدَرِهْ

غمَطَ النُّعمانُ صفوتها فرَددتَ الصفوّ في كدرِهْ

ولقُرقورٍ أُدْرَتَ رحاً لم تكن ترتد في فِكَرِهْ[5]

قد تأنّيتَ البقاءَ له فأبى المحتومُ من قدَرِهْ

وطغى حتى رَفَعْتَ له خطّة شنعاء من ذِكَرِهْ

قال : فغضب المأمون واغتاظ ، وقال : لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

[أنشدها أبا دُلَف بعد قتل قرقور]

قال ابن أبي فَنَن : وهذه القصيدة قالها عليّ بن جَبَلة وقصد بها أبا دُلَف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقرقور ، وكان من أشدّ النّاس بأساً وأعظمهم . فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى ، وأبو دُلَف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه . فبينا أبو دُلَف خرج ذات يوم يتصيّد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشقّ الأرض بجريه ، فأيقن أبو دُلَف بالهلاك ، وخاف أن يُولِّيَ عنه فيهلك ؛ فحمل عليه وصاح : يا فتيان ! يَمنةً يمنةً ، يوهمه أنّ معه خيلاً قد كمنها له ، فخافه قرقورُ وعطف عَلى يساره هارباً ، ولحقه أبو دُلَف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره ، ونزل فاحتزّ رأسه ، وحمله عَلى

1 ويروى : كضياء الفجر في أمره . والإمر : النماء والكثرة . والأَمَر : جمع امرة ، وهي الرابية والعلم الصغير من الحجارة في المفاوز .

2 المذاكي : الخيل . والمشتجر : القنا .

3 جيلويه : رجل كان ذا شوكة ، وكان بينه وبين آل أبي دُلَف حرب قتل فيها أخو أبي دُلَف ، إلى أن تغلب عليه أبو دُلف وقتله .

4 العقر : جمع عقرة ، يعقر الراكب دابته من كثرة إتعابه لها .

5 تكن في ل : تكد .

رمحه حتى أُدخله الكرَج .

قال : فحدَّثني مَن رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر . فلمّا أنشده عليّ بن جَبَلة هذه القصيدة استحسنها وسُرَّ بها وأمر له بمائة ألف درهم .

[شهرة القصيدة]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ الأزديّ قال : أخبرني إبراهيمُ بنُ خلف قال : بينا أبو دُلَف يسير مع أخيه معقل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مرّا بامرأتين تتماشيان ، فقالت إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دُلَف ، قالت : ومَن أبو دُلَف ؟ قالت : الذي يقول فيه الشاعر : [من المديد]

إنّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ بين باديه ومحتضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَف ولَّت الدُّنيا عَلى أَثَرِهْ

قال : فاستعبر أبو دُلَف حتى جرى دمعُه فقال له معقلُ : مالكَ يا أخي تبكي ؟ قال : لأنّي لم أقضِ حقَّ عليٍّ بن جَبَلة . قال : أولَم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة ؟ قال : والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي عَلى أنّي لم أكُن أعطيته مائة ألف دينار . واللهِ لو فعلتُ ذلك لما كنت قاضياً حقّه .

[أبو تمّام يعجب ببيتٍ له]

حدَّثني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ محمدِ بن جريرٍ قال : أنشدت أبا تمّام قصيدة عليّ بن جَبَلة البائيّة ، فلمّا بلغتُ إلى قوله[1] : [من الهزج]

وردّ البِيضَ والبِيضَ إلى الأغْمادِ والحُجُبِ[2]

اهتزّ أبو تمّام من فَرْقِه[3] إلى قدمه ، ثم قال : أحسن ، والله لودِدتُ أنَّ لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيّرها وينتخبها مكانه .

[شروط المأمون في مدحه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثني أبو نِزارٍ الضبّيُّ الشاعر قال : قال لي عليّ بنُ جَبَلة قلت لحُمَيد بنِ عبد الحميد الطُّوسيّ : يا أبا غانم ، إنّي قد مدحْتُ أمير المؤمنين بمَدْح لا يحسن مثلَه أحد من أهل الأرض ، فاذكرْني له . قال : فأنشِدني ، فأنشدتُه . قال : أشهَد أنّك صادق ، ما يحسن أحد أن يقول هكذا . وأخذ المديح فأدخله إلى

1 شعره : 39 .
2 البيض والبيض : السيوف والنساء . والحجب : البيوت .
3 ل : من قرنه .

المأمون ، فقال له : يا حُمَيد ، الجواب في هذا واضح ، إن شاءَ عفَونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه ، وإن شاءَ جمعْنا بين شعره فيك وفي أبي دُلَف وبين شعره فينا ، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره ، وأطَلنا حبسه ، وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكلّ بيت ألف درهم ، وإن شاء أقلناه . فقلت له : يا سيِّدي ومَن أنا ومَن أبو دُلَف حتى يمدحَنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلامُ من الجواب في شيء ، فاعرِض ما قلت لك على الرجل . فقال : أفعل . قال عليٌّ بنُ جَبَلة : فقال لي حميد : ما ترى ؟ فقلت : الإقالة أحبّ إليَّ ، فأخبرَ المأمون بذلك . فقال : هو أعلم ، ثم قال لي حُمَيد : يا أبا الحسن أيَّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلَف ؟ فقلت : قولي فيك[1] : [من مجزوء الرجز]

لــولا حُمَيــدٌ لم يكن حسب يُعَدّ ولا نسبْ

يا واحـد العَربِ الذي عَزَّتْ بعزّتـه العـربْ

وقولي في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّما الدُّنيــا أبو دُلَفٍ بـين باديــه ومحتضَرِهْ

فـإذا ولّــى أبـو دُلَف وَلّـتْ الدُّنيــا على أثرِهْ

قال : فأطرق حُمَيد ثم قال : لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم . وبلغ ذلك أبا دُلَف فأضعف لي العَطيّة ، وكان ذلك في سَتر منهما ، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدَّثتك به يا أبا نزار .

[يستحي من كثرة برّ أبي دُلَف]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثني محمد بنُ يزيدَ : قـال : حدَّثني عـليُّ بن القاسم قال : قال لي عليّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَف ، فكنتُ لا أدخلُ إليه إلاّ تَلقاني ببرّه وأفرط ، فلمّا أكثر قعدت عنه حياء منه . فبعث إليّ بمعقل أخيه ، فأتاني فقال لي : يقول لك الأمير : لمَ هجرتنا ؟ لعلّك استبطأْتَ بعض ما كان منّي ، فإن كان الأمر كذلك فإنّي زائد فيما كنت أفعلـه حتى ترضى . فدعـوت مَن كتب لي ، وأمللت عليه هذه الأبيات ، ثم دفعتها إلى معقل ، وسألته أن يوصلها ، وهي[2] : [من الطويل]

هجَرْتـك لم أهجركَ من كُفر نعمةٍ وهل يُرتَجَـى نَيـل الزيادة بالكُفْرِ

ولكنّنــي لمــا أتيتُــك زائـراً فأفرطتَ في برِّي عجزتُ عن الشكرِ

---

1 شعره : 31 .

2 لم ترِد هذه الأبيات في مجموع شعره .

فمـــلآن لا آتيـــكَ إلاّ مسلّمـــاً   أُزوركَ في الشهرَيْن يوماً وفي الشهرِ
فـــإن زدتنـــي بـــرّاً تزايدت جَفوة   ولم تلقني طـول الحيـــاة إلى الحشرِ

قال : فلمّا سمعها معقل استحسنها جدّاً ، وقال : جوّدتَ واللهِ ، أَمَا أَنّ الأَمير ليُعجب بمثل هذه المعاني ، فلمّا أوصلها إلى أبي دُلَف قال ؟ : للهِ دَرّه ! ما أشعره ، وما أرقّ معانيه ! ثم دعا بدواة ، فكتب إليّ : [من الطويل]

أَلا ربّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه   وآنستُه قبـــل الضيافـــةِ بالبشرِ
أَتـــاني يرجِّيني فمـــا حـــال دونه   ودون القِرى من نائلي عنده سِتري
وجَدتُ لـــه فضلاً عليَّ بقصدِهِ   إليَّ وبِـــرّاً يستحقُّ بـــه شكري
فلم أعـــدُ أَن أدنيتُـــه وابتدأْتُه   ببشرٍ وإكـــرامٍ وبـــرٌّ على بـــرٌّ
وزوّدتُـــه مـــالاً قليـــلاً بقـــاؤه   وزوّدني مدحـــاً يـدومُ على الدّهرِ

ثـم وجّـه بهـذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار ، فذلك حيث قلت لـه : [من المديد]

إنّمـــا الدُّنيـــا أَبو دُلَفٍ   بـــين باديـــه ومحتضَرِهْ

[ردّه عبد الله بن طاهر]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي طاهر قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ القاسِم قال : حدَّثني نادر مولانا : أنّ عليَّ بن جَبَلة خرج إلى عبدِ الله بنِ طاهر والي خُراسان ، وقد امتدحه ، فلمّا وصل إليه قال له : أَلستَ القائل : [من المديد]

إنّمـــا الدُّنيـــا أَبو دُلَفٍ   بـــين باديـــه ومحتضَرِهْ
فـــإذا وَلَّـــى أَبو دُلَف   ولَّـــتْ الدُّنيـــا على أَثرِهْ

قال : بلى ، قال : فما الذي جاءَ بك إلينا ، وعَدلَ بك عن الدُّنيا التي زعمتَ ؟ ارجع من حيث جئت ، فارتحَل ، ومرَّ بأَبي دُلَف وأعلمه الخَبر ، فوصله بما أرضاه . قال نادر : فرأيته عند مولاي القاسم بن يوسف ، وقد سأله عن خبره فقال[1] : [من الطويل]

أَبو دُلَـف إن تلقـــه تلقَ ماجداً   جواداً كريماً راجـحَ الحلم سيّدا
أَبو دُلَـف الخَيراتِ أَنداهـــمُ يداً   وأَبسط معروفـــاً وأَكـــرم محتِدا
تـــراثُ أَبيه عـــن أَبيه وجـــدّه   وكلّ امرىء يجري على ما تعوّدا

---

1 شعره : 47 .

ولستُ بِشاكٍ غيرَه لِنقيصةٍ ولكنّما الممدوحُ مَن كان أمجدا

[قصيدة في مدح حميد الطُّوسيّ]

قال مؤلّف هذا الكتاب : والأبياتُ التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن عليّ بن جبَلة من قصيدة له مدح بها حُميداً الطُّوسيّ ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء[1] : [من مجزوء الرمل]

ليس لي ذنب سوى أنْـ ـي أُسميكَ خليلا
وأُناديكَ عزيزاً وتناديني ذليلا
أنا أهواك وحالَيـ ـك صَروماً ووَصولا
ثِقْ بوُدٍّ ليس يفنى وبعهدٍ لن يحولا
جعل اللّهُ حُمَيداً لبني الدُّنيا كفيلا
مِلكَ لم يجعلْ اللـ ـه له فيهم عديلا
فأقاموا في ذَراه مطمئنّين حُلولا
لا ترى فيهم مُقِلاًّ يسأل المُثري فُضولا
جادَ بالأموالِ حتى علَّم الجُودَ البخيلا
وبنى الفخرَ على الفخـ ـرِ بناءً مستطيلا
صار للخائف أمناً وعلى الجُودِ دليلا

[رثاء الطُّوسيّ]

ولمّا مات حُميد الطُّوسيّ رثاه بقصيدته العينيّة المشهورة ، وهي من نادر الشعر وبديعه ، وفي أوّلها غناء من الثقيل الأوّل ، يقال : إنّه لأبي العَنْبَس ، ويقال : إنّه للقاسم بنِ زُرْزُور[2] : [من الطويل]

أَلِلدَّهر تبكي أم على الدَّهر تجزعُ ؟ وما صاحب الأيّام إلاّ مفجّعُ
ولو سَهَّلَت عنك الأسى كان في الأسى عزاءٌ مُعَزٌّ للبيب ومقنَعُ
تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنّها سهام المنايا حائمات ووُقّعُ
أُصبنا بيوم في حُمَيدٍ لو انّه أصاب عروشَ الدَّهرِ ظلت تضعضعُ

---

1 شعره : 93-94 .

2 شعره : 81-83 .

وأدَّبَنـا مـا أدّب النّاسَ قبلنـا ولكنّـه لم يَبْـقَ للصبر موضعُ
ألم تَـرَ للأيّـام كيـف تصرَّمت بـه وبـه كانت تُـذادُ وتُدْفَعُ[1]
وكيف التقى مثوًى من الأرض ضيق على جبل كانت بـه الأرض تُمنعُ
ولمّـا انقضَت أيّامه انقضت العلا وأضحى به أنفُ النَّدى وهو أجدعُ
وراحَ عدوّ الدِّين جَـذلانَ ينتحي أمـانيّ كانـت في حَشاه تقطعُ
وكان حُمَيـد معقِـلاً ركَعت بـه قواعدُ مـا كانت على الضَّيمِ تَركعُ
وكنـتُ أراه كالرزايـا رُزئتُهـا ولم أدْرِ أنّ الخلـقَ يبكيـه أجمعُ
حِمامٌ رمـاه مـن مواضع أمنه حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدعُ[2]
وليس بِغَـزْوٍ أن تصيبَ منيـة حِمى أختهـا أو أن يـذِلَّ المُمنَّعُ
لقـد أدركتْ فينا المنايـا بثأرها وحلَّت بخطب وَهْيُـه ليس يُرقَعُ
نَعاء حُمَيداً للسرايا إذا غـدت تذاد بأطـراف الرِّمـاح وتوزعُ[3]
وللمُرهَق المكروبِ ضاقـت بأمرِه فلم يَدرِ في حَوماتهـا كيف يصنعُ
وللبيض خلَّتها البُعـول ولم يَـدع لهـا غيرَه داعـي الصباح المفزَّعُ
كأن حُميداً لم يقُـدْ جيش عسكر إلى عسكـر أشياعـه لا تُروَّعُ
ولم يبعثْ الخيـلَ المغيرةَ بالضّحا مِراحاً ولم يرجع بهـا وهـي ظُلَّعُ
رواجع يحملـنَ النِّهـابَ ولم تكن كتائبـه إلاّ على النّهـبِ ترجعُ
هوى جبلُ الدُّنيا المنيعُ وغيثها الـ ـمَريع وحاميهـا الكميّ المشيعُ[4]
وسيـفُ أمير المؤمنـين ورمحـه ومفتاح باب الخطب والخطب أفظعُ
فأقنعـه مـن مُلكِـه ورباعـه ونائِلـه قفـرٌ مـن الأرض بلقعُ
على أيِّ شجوٍ تشتكي النفسُ بعده إلى شجـوه أو يَذخَـرُ الدَّمعَ مَدمعُ
ألَـم تَـرَ أنَّ الشمسَ حـال ضياؤها عليـه وأضحى لونهـا وهـو أسفعُ
وأوحشت الدُّنيـا وأودى بهاؤها وأجدبَ مرعاهـا الذي كان يُمرِعُ

---

1 تصرَّمت في ل : تصرفت .
2 يقدع : يدفع ويكف .
3 نعاء حميداً : انعه .
4 المشيع : الشجاع .

وقد كانت الدُّنيا به مطمئنّةً فقد جعلت أوتادها تتقلّعُ
بكى فقدَه رَوح الحياة كما بكى نَداه النَّدى وابنُ السبيلِ المدفّعُ
وفارقت البيضُ الخدور وأبرزت عواطلَ حسرى بعده لا تَقنّعُ
وأيقظ أجفاناً وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قبلُ تَهجعُ
ولكنّه مقدارُ يومٍ ثوى به لكلّ امرىء منه نِهال ومَشرَعُ
وقد رأَبَ اللهُ المَلا بمحمدٍ وبالأصل يَنمي فرعُه المتفرّعُ[1]
أغرّ على أسيافه ورماحه تُقسَّم أنفال الخميسِ وتُجمعُ
حوى عن أبيه بذلَ راحته النَّدى وطعنَ الكُلى والزاعبيّة شرَّعُ[2]

[أبو تمّام والبحتريّ يأخذان من معانيه]

وإنّما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها ، وقد أخذ البحتريّ أكثر معانيها فسلخه ، وجعله في قصيدتيه اللّتين رثى بهما أبا سعيد الثغريّ :

انظر إلى العلياء كيف تضامُ[3]

و :

بأيّ أسى تثنى الدموع الهواملُ[4]

وقد أخذ الطائيّ أيضاً بعض معانيها ، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة . وإذا تأمّل ذلك منتقد بصير عرفه .

[كرم حُميد سبب تجديده في مديحه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثني أبو وائلة قال : قال رجل لعليّ بن جَبَلة : ما بَلغتَ في مديح أحد ما بَلغتَه في مديحك حُمَيداً الطُّوسيّ . فقال : وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إليّ منه أنّي أهديت له قصيدة في يوم نَيروزٍ فسُرَّ بها ، وأمر أن يحمل إليّ كلّ ما أُهديَ له ، فحمل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم ، وأُهديتُ له قصيدة في يوم عيد فبعث إليَّ بمثل ذلك .

1 الملا في ل : الثأى . ورأب الثأى : إصلاح الفساد .
2 الزاعبية : نوع من الرماح .
3 عجز البيت : ومآتم الأحساب كيف تقام
(ديوان البحتري : 1949) .
4 عجز البيت : وترجى زيال من جوى لا يزايل
(ديوان البحتري : 1862) .

[وصف جيش عظيم]

قال أبو وائلة : وقد كان حُمَيد ركب يوم عيد في جيش عظيم ولم يُرَ مثله ، فقال عليّ بن جَبَلة يصف ذلك[1] : [من الطويل]

غَـدا بـأمير المؤمنين ويُمْنِـه أبـو غانـم غَدْوَ النَّدى والسحائبِ[2]
وضاقت فِجاج الأرض عن كُلِّ موكب أحـاط بـه مستعليـاً للمواكبِ
كأنّ سُمـوّ النَّقـع والبَيضُ فوقهم سماوة ليـل قُرِّنَـت بالكواكبِ[3]
فكانَ لأهـل العِيد عيـدٌ بنُسكهم وكان حُمَيـد عيدَهـم بالمواهبِ
ولولا حُمَيـد لم تَبَلَّـج عن النَّدى يمينٌ ولم يُدرِك غِنًى كسبُ كاسبِ
ولـو ملَك الدُّنيـا لما كان سائل ولا اعتام فيها صاحبٌ فضلَ صاحبِ[4]
له ضِحكة تستغرق المـالَ بالنَّدى على عبسةٍ تُشجي القَنا بالترائبِ[5]
ذهبتَ بأيّام العـلا فـارداً بهـا وصرَّمتَ عن مسعاكَ شأو المَطالِبِ
وعَدّلت مَيـل الأرض حتى تعدّلت فلم يَنـأ منهـا جانب فوق جانِبِ
بَلغتَ بأدنـى الحـزم أبعدَ قُطرها كأنّك منهـا شاهـد كلَّ غائِبِ

[قصيدة في يوم نيروز]

قال : والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها[6] : [من البسيط]

حُمَيدُ يـا قاسِمَ الدُّنيـا بِنائله وسيفِه بـين أهلِ النّكثِ والدِّينِ
أنتَ الزّمان الذي يجري تصرّفه على الأنـامِ بتشديـد وَتَليينِ
لو لم تكن كانت الأيّام قد فَنِيت والمكرماتُ وَماتَ المجد مُذ حينِ
صوَّرَك اللهُ من مجدٍ ومن كرمٍ وصوَّر النَّاسَ مـن ماءٍ ومن طينِ

[أبيات في أبي دُلَف]

نسختُ من كتاب بخطّ محمد بن العبّاس اليزيديّ : قال أحمد بن إسماعيل بن الخصيب

---

1 شعره : 41-42 .
2 ل : غدو الردى .
3 مجموع شعره :
كأن سمـو النقـع والبيض تحتـه سماوات ليل أسفرت عن كواكب
4 اعتام : طلب أو أخذ . والأصل فيه أخذ العيمة ، وهي خيار المال .
5 تشجي : تغص .
6 شعره : 111 .

الكاتب : دخل عليٌّ بن جَبَلة يوماً إلى أبي دُلَف فقال له : هات يا عليُّ ما معك . فقال : إنّه قليل . فقال : هاتِه ، فكَم من قليل أجودُ من كثير فأنشده[1] : [من البسيط]

اللهُ أجرى مــن الأرزاق أكثرَها ... على يديك فشكراً يــا أبا دُلَفِ
أعطـى أبو دُلَـف والرِّيحُ عاصفةٌ ... حتى إذا وَقَفَت أعطى ولم يقِفِ

[أبو دُلَف يتطيّر من شعره]

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلمّا كان بعد مدّة دخل إليه ، فقال له : هات ما معك فأنشده[2] : [من السريع]

مِـن مَلَك المـوتِ إلى قاسم ... رسالــةٌ في بطــنِ قِرطاسِ
يا فارس الفُرسانِ يوم الوغى ... مُرْني بمَنْ شئتَ مـن النّاسِ

قال : فأمر له بألفي درهم ، وكان قد تطيّر من ابتدائه في هذا الشعر ؛ فقال : ليست هذه من عطاياك أيّها الأمير ، فقال : بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعُنا من تحمّلك ، رسالةَ ملك الموت إلينا .

[هجاء الهيثم بن عديّ]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُلَيل العَنَزيُّ قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله قال : حدَّثني عليّ بن جَبَلة العكَوَّك المروزيّ قال : جاءني أبو يعقوب الخُرَيميّ فقال لي : إن لي إليك حاجة . قلت : وما هي ؟ قال : تهجو لي الهَيثم بنَ عدِيّ . فقلت : وما لك أنتَ لا تهجوه وأنت شاعر ؟ فقال : قد فعلت ، فما جاءني شيء كما أُريد . فقلت له : كيف أهجو رجلاً لم يتقدّم إليّ منه إساءة ، ولا له إليّ جرم يُحفِظْني ؟ فقال : تُقرضني ، فإنّي مليّ بالقضاء . قلت : نعم ، فأمهلْني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته : [من البسيط]

لِلهَيثم بــنِ عــديٍّ نِسبة جمعت ... آبــاءه فأراحتنــا مــن العــددِ
اعدُد عديّــاً فلو مــدّ البقــاء لــه ... مــا عُمِّر النّاسُ لم يَنقصْ ولم يزدِ
نفسي فداء بني عبد المدان وقد ... تَـلُّـوه للوجـه واستعلَوه بالعمدِ
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم ... وعرّفوه بذُلٍّ أين أصل عدي ؟
يا ابنَ الخبيثةِ مَن أهجو فأفضحَه ... إذا هجوتُ وما تُنمى إلى أحدِ ؟

---

1 شعره : 84 .

2 شعره : 73 .

[هجاؤه بسبب طلاق امرأة الهيثم]

قال : وكان الهيثم قد تزوّج إلى بني الحارثِ بنِ كعب ، فركب محمد بن زياد بنِ عُبيد الله بن عبد المَدان الحارثيُّ ، أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيّين إلى الرشيد ، فسألوه أن يفرّق بينهما . فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر : [من البسيط]

إذا نسبتَ عديّاً في بني ثُعَلٍ فقدّم الدالَ قبل العينَ في النّسبِ

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . قال فهذا الشعر مَن قاله ؟ قالوا : هو لرجل من أهلِ الكوفة من بني شَيبان يقال له : ذُهل بن ثعلبة فأمر الرشيدُ داودَ بنَ زيدَ أن يُفرّقَ بينهما . فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصيّ حتى طلّقها .

[مدحه عبد الله بن طاهر واستئذانه في الرحيل]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال : شخَص عليّ بنُ جَبَلة إلى عبدِ الله بن طاهر والي خراسان ، وقد مدحه فأجزل صلته ، واستأذنه في الرّجوعِ ، فسأله أن يقيم عنده ، وكان بِرّه يتّصل عنده ، فلمّا طال مقامه اشتاق إلى أهلِه ، فدخل إليه فأنشده[1] : [من مجزوء الخفيف]

راعه الشيبُ إذ نزلْ وكفاه من العذَلْ
وانقضت مدّة الصّبا فانقضى اللهوُ والغزلْ
قد لعمري دَمَلْتُه بخضابِ فما اندملْ
فابكِ للشيبِ إذ بدا لا على الرَّبعِ والطللْ
وصَلَ اللهُ للأمـ ـير عُرى الملك فاتصلْ
ملك عزْمُه الزما نِ وأفعاله الدولْ
كِسرويّ بمَجده يَضرب الضاربُ المثلْ
وإلى ظِلّ عزّه يلجأُ الخائف الوجِلْ
كلُّ خلَق سوى الإما مِ لإنعامه خَولْ
ليته حين جادَ لي بالغنى جادَ بالقَفَلْ

قال : فضحك وقال : أبيت إلاّ أن توحشنا . وأجزل صلته ، وأذِن له .

[مدح حميد في أوّل رمضان]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر قال : حدَّثني أبو وائلة

---

1 شعره : 89 .

السدوسيُّ قال : دخل عليٌّ بن جَبَلة العَكَوَّكُ على حُمَيد الطُّوسيّ في أوَّل يوم من شهر رمضان ، فأنشده[1] : [من الخفيف]

جعل اللهُ مَدخل الصوم فوزاً   لِحُميـد وَمُتْعَـةً في البقـاء
فهْـو شهـرُ الرَّبيع للقُرّاء   وفـراقُ النَّدمـانِ والصَّهباء
وأنا الضّامنُ المليُّ لِمَـن عا   قرها مفطراً بطـولِ الظَّماء[2]
وكأنّي أرى النَّدامى على الخسـ   ـفِ يُزجون صبحهم بالمساء
قد طَوى بعضُهم زيارة بعض   واستعاضـوا مصاحفاً بالغناء

يقول فيها :

بِحُميدٍ وأيـن مثلُ حميـد   فخرَت طيّـئٌ على الأحياء
جوده أظهر السماحةَ في الأر   ضِ وأغنى المُقوِي عن الإقواء[3]
مِلِـكٌ يأمُـل العباد نـداه   مثلَ مـا يأمُلون قَطْر السماء
صاغه اللهُ مطعِمَ النّاس في الأر   ضِ وصاغَ السحابَ للإسقاء

[يمدحه في شوال]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك . ثم دخل إليه ثانيَ شوال ، فأنشده[4] : [من الخفيف]

علّلاني بصفو مـا في الدّنـانِ   واتركا مـا يقولـه العاذِلانِ
واسبقا فاجـعَ المنيّـة بالعيـ   ـشِ فكلٌّ على الجَديديـن فاني
علّلاني بشَربةٍ تُذهـب الهَـمّ   وتنفـي طـوارقَ الأحـزانِ
وانفُثـا في مسامعٍ سدّها الصو   م رُقـى الموصـليِّ أو دَحْمانِ
قـد أتانـا شوال فاقتبل العيـ   ـش وأعدى قسراً على رمضانِ[5]
نِعم عون الفتى على نُوَب الدهـ   ـر سمـاعُ القيـانِ والعِيدانِ
وكؤوسٌ تجـري بمـاء كُرومٍ   ومطـيُّ الكؤوس أيـدي القيانِ

---

1 شعره : 30 .
2 الملّي في ل : الكفيل .
3 المقوي : الفقير .
4 شعره : 112–114 .
5 أعدى : أعان .

من عُقَــار تُميت كلّ احتشامٍ — وتَسُرّ النَّدمــــانَ بــــالنَّدمانِ
وكأنّ المِــزاجَ يقــدحُ منهــا — شرراً في سبائـــك العِقيــانِ
فاشرب الرَّاحِ واعصِ مَنْ لام فيها — إنّهــا نعــم عُـــدّة الفِتيانِ
واصحب الدَّهر بارتجال وحَلّ — لا تخــف مـــا يجُــرّه الحادثانِ
حسْب مستظهِرٍ على الدَّهرِ ركناً — بحُميـــد ردِءاً مـــن الحدثانِ[1]
ملــك يقتني المكــارم كنزاً — وتـــراه مـــن أكــرم الفتيانِ
خُلقـــت راحتـــاه للجود والبأ — س وأموالُـــه لشكــر اللسانِ
ملّكتْـــه على العبـــادِ معـدٌّ — وأقـــرّت لـــه بنـــو قحطانِ
أريحـــيٌّ النَّـــدى جميـــل المحيّا — يـــده والسّمـــاح معتَقدانِ[2]
وجْهـــه مشرق إلى معتَفيـــه — ويـــداه بـــالغيث تنفجـــرانِ
جَعل الدَّهر بين يوميـه قسميـ — ـن بِعُرفٍ جـــزلٍ وحَــرٍّ طعانِ
فـإذا سارَ بالخميسِ لحـــرب — كَلَّ عن نصّ جَرْيــه الخافقانِ
وإذا مـــا هززتَـــه لنـــوال — ضاق عن رحب صدره الأُفقانِ
غَيث جـــدب إذا أَقـــامَ ربيعٌ — يتغشّـــى بـــالسَّيبِ كلّ مكـانِ
يا أبـــا غانـم بقيتَ على الدَّهـ — ـرِ وخُلّدتَ مـا جرى العصرانِ
مـــا نُبـــالي إذا عـدَتك المنايا — مَن أُصابـــت بكَلْكَـل وجِرانِ
قـــد جعلنـــا إليكَ بعثَ المطايا — هرَبـــاً مـــن زماننـــا الخوّانِ
وحَملنا الحاجات فـــوق عتاق — ضامنـــاتٍ حوائـــج الرُّكبانِ[3]
ليس جُـــودٌ وراء جـــودك يُنتـــا — ب ولا يَعتَفـــي لغيـــرك عاني

فأمر لـه بعشرة آلاف درهم ، وقال : تلك كانت للصوم ، فخَفَّفت وخففّنا ، وهذه للفطر ، فقد زدتنا وزدناك .

[أحبته جارية رغم قبحه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الطيِّب السَّرَخْسيّ قال : حدَّثنا ابنُ أخي عليّ بنِ جَبَلة

1 الردء : العون .
2 معتقدان : معقودتان .
3 وحملنا في ل : وجعلنا .

العَكَوَّكِ ، قال أحمد : وكان عليّ جارنا بالرَبَض[1] هو وأهله ، وكان أعمى وبه وضَح . وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبّه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح ، حدَّثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظُ .

قال عمرو : وحدَّثني العَكَوَّك أنّ هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها . قال ، وذلك عنيت في قولي : [من المديد]

ودمٍ أهدرت من رشإٍ لم يُرِد عقلاً على هَدَرِهْ

[حُميد يمنعه ثم يأذن له]

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دُلَف ، يعني بالدّم : دم البُضع . قال : ثم قصدتُ حُمَيداً بقصيدتي التي مدحته بها ، فلمّا استوذن لي عليه أبى أن يأذَن لي ، وقال : قولوا له : أيَّ شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّما الدُّنيا أبو دُلَف بين مَبْداه ومحتضرِهْ

فإذا ولّي أبو دُلَف ولّتْ الدُّنيا على أثرِهْ

فقلت للحاجب : قُل له : الذي قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصّلتَني سمعته ، فأمر بإيصالي ، فأنشدت قولي فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

إنّما الدُّنيا حُمَيد وأياديه الجسامُ

فإذا ولّى حُمَيد فعلى الدُّنيا السَّلامُ

فأمر لي بمائتي دينار ، فنثرتها في حجر عشيقتي ، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها[3] : [من السريع]

دجلةُ تسقي وأبو غانمٍ يُطعمُ مَن تسقي منْ النّاسِ

فأمر لي بمائتي دينار .

[تغيّر الجارية التي أحبّته]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بن الطيّب قال : حدَّثني ابن أخي عليّ بنِ جَبَلة أيضاً : أنّ عمّه عليّاً كان يهوى جارية ، وهي هذه القينة ، وكانت له مساعدة ، ثم غضبت عليه ، وأعرضت عنه ، فقال فيها[4] : [من الطويل]

---

1 الربض : ربض حرب ويعرف بالحربية ، محلة ببغداد .
2 شعره : 105 .
3 شعره : 74 .
4 شعره : 85 .

تُسيءُ ولا تستنكرُ السوءَ إنّها ... تُـدلّ بما تبلوه عندي وتَعرِفُ
فمِن أَين ما استعطفتها لم ترقَّ لي ... ومن أَين ما جربتُ صبريَ يضعفُ

[في ترك الضيافة]

أُخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : تذاكرْنا يوماً أَقبح ما هُجي به النّاس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف ، فأنشدنا عليٌّ بن جَبَلة لنفسه[1] : [من الوافر]

أَقامـوا الدَّيدَبـان على يَفاعٍ ... وقالـوا لا تنَـم للدّيدَبـانِ
فإن آنستَ شخصاً من بعيد ... فصفّق بالبنـانِ على البنـانِ
تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرساً ... ويأتـونَ الصلاةَ بـلا أذانِ

[حميد يعطيه مالاً خصّصه للصدقة]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني وهب بن سعيد المَرْوزيُّ ، كاتب حُمَيد الطُّوسيّ ، قال : جئت حُمَيداً في أوّل يوم من شهر رمضان ، فدفع إليّ كيساً فيه أَلف دينار ، وقال : تصدَّقوا بهذه . وجاءه ابنه أصرمُ فسلَّم عليه ودعا له ، ثم قال له : خادمك عليٌّ بن جَبَلة بالباب ، فقال : وما أصنع به ؟ جئتني بأعمى تقابلني بوجهه في أوّل يوم من هذا الشهر . فقال : إنّه يجيد فيك القول . قال : فأنشدني بيتاً ممّا تستجيد له : فأنشده قوله[2] : [من الكامل]

حِيدي حَيادِ فإنّ غـزوةَ جيشه ... ضمِنَت لجائلـةِ السِّباعِ عِيالها[3]

فقال : أحسن . ائذنوا له ، فدخل فسلَّم ، ثم أُنشده قوله[4] : [من المنسرح]

إن أَبـا غانـم حُميـداً ... غيث على المعتفين هامي
صوَّره اللهُ سيفَ حَتـف ... وبـاب رزق على الأَنامِ
يـا مانعَ الأرضِ بالعوالي ... والنَّعـم الجمـة العظامِ
ليس مـن السّوءِ في مَعاذ ... من لم يكن منك في ذِمامِ
وما تعمّدتُ فيكَ وصفاً ... إلاّ تقدَّمْتـه أمـامي
فقـد تناهتْ بِـكَ المعالي ... وانقطعـتْ مـدّةُ الكلامِ

1 شعره : 108 .
2 شعره : 99 .
3 حيدي حياد : أمر للخيل المغيرة بالروغان .
4 شعره : 107 .

أَجِدَّ شهـراً وأَبِـل شهراً واسلم على الدّهرِ ألفَ عامِ

قال : فالتفت إليَّ حُميد ، وقال : أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره .

[يتشفّع بحميد إلى أبي دُلَف]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني يعقوبُ بن إسرائيل قال : حدَّثني أبو سُهيل عن سالم مولى حُميد الطوسيّ قال : جاءَ عليّ بنُ جَبَلة إلى حُمَيد الطُّوسيّ مستشفعاً به إلى أبي دُلَف ، وقد كان غضب عليه وجفاه ، فركب معه إلى أبي دُلَف شافعاً ، وسأله في أمره ، فأجابه واتّصل الحديث بينهما وعليٌّ بن جَبَلة محجوب ، فأقبَل على رجل إلى جانبه وقال : أكتبْ ما أقول لك ، فكتب[1] : [من البسيط]

لا تتركَـي ببابِ الدّارِ مطّرَحاً فالحُرُّ ليسَ عن الأحرارِ يَحتجبُ

هبنا بـلا شافع جئنا ولا سبب ألستَ أنت إلى معروفك السببُ ؟

قال : فأمر بإيصاله إليه ، ورضي عنه ووصله .

[المخزومي يتحرج من الإنشاء في حضرته]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بنُ مروان قال : حدَّثني أبو سعيد المخزومي قال : دخلت على حُمَيد الطُّوسيّ ، فأنشدتُه قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير ، فجعل لا يمرّ ببيت إلاّ قال : أحسن قاتله الله ! أحسن ويحه ! أحسن لله أبوه ! أحسن أيّها الأمير . فأمر لي حُمَيد بِبَدرة ، فلمّا خرجتُ قام إليَّ البوّابون ، فقلت : كم أنتم ؟ عرِّفوني أوّلاً مَن هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير ؟ فقالوا : عليُّ بنُ جَبَلة العَكَوّكُ . فارفضضْتُ عرَقاً ، ولو علمتُ أنّه عليّ بن جَبَلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه .

[رواية أخرى في شروط المأمون لقبول مدحه له]

أخبرني الحسن بن عليّ قـال : حدَّثنا محمـدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قـال : حدَّثنا أحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال : كلَّم حُمَيد الطُّوسيّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جَبَلة ، فيسمعَ منه مديحاً مدحه به ، فقال : وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّمـا الدُّنيا أبـو دُلَفٍ بـين مَغـزاه ومحتضرِهْ

فـإذا وَلّى أبـو دُلَف ولّتْ الدُّنيـا على أثرِهْ

وبعد قوله فيك : [من مجزوء الرجز]

يا واحد العرَب الذي عـزّتْ بعزّتِـه العَرَبْ

---

1 شعره : 45 .

أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثل ما قاله في أبي دُلَف ، فيجعَلني نظيراً له . هذا إن قدَر على ذلك ولم يقصر عَنْه ، فخيِّروه بين أن أسمع منه ، فإن كان مدحُه إيّاي أفضل من مدحِهِ أبا دُلَف وصلته ، وإلاّ ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه ، وبين أن أُقيله وأعفيه من هذا وذا . فخيَّروه بذلك ، فاختار الإقالة .

[يمدح حميداً الطُّوسيّ بخير من مدحه أبا دُلَف]

ثم مدح حُمَيداً الطُّوسيّ ، فقال له : وما عَساك أن تقول فيَّ بعدما قلته في أبي دُلَف ، فقال : قد قلتُ فيك خيراً من ذلك قال : هات ، فأنشده : [من السريع]

دجلـة تَسقي وأبـو غانـمٍ يُطعمُ مَـن تسقي من النَّاسِ
النَّـاسُ جسمٌ وإمـامُ الهُدى رأس وأنـتَ العينُ في الرأسِ

فقال له حُمَيد : قد أجدتَ ، ولكن ليس هذا مثل ذلك ، ووصلَه .

[لا يبلغ شأو الخريميّ في الرثاء]

قال أحمد بن عُبَيد ، ثم مات حُميد الطُّوسيّ ، فرثاه عليّ بن جَبَلة ، فَلَقيتُه ، فقُلت له : أنشدني مرثيتك حُمَيداً ، فأنشدني : [من الطويل]

نَعاء حُمَيداً للسرايـا إذا غدَتْ تُذاد بأطـرافِ الرِّمـاحِ وتوزعُ

حتى أتى على آخرها ، فقُلت له : ما ذهب على النحو الذي نحوتَه يا أبا الحسن ، وقد قاربته وما بَلغته . فقال : وما هو ؟ فقُلت : أردتُ قول الخُرَيمي في مرثيته أبا الهَيْذام : [من الطويل]

وأعددتُه ذخراً لكـلّ مُلمـة وسهم المَنايا بالذخائـرِ مُولعُ

فقال : صدقت والله ، أما والله لقد نحوتُه وأنا لا أطمع في اللَّحاق به ، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة .

[غضب المأمون عليه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثني ابنُ أبي حرب الزعفرانيّ ، قال : لّما بلغ المأمونَ قول عليّ بن جَبَلة لأبي دُلَف : [من المديد]

كلُّ مَن في الأرضِ من عَرَب بـين باديـه إلى حضـرهْ
مستعير منـكَ مكرمـةً يكتسيهـا يـومَ مفتخَـرهْ

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فطِلب فلم يُقْدَر عليه ، وذلك أنّه كان بالجَبَل ، فلمّا اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة ، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه . فهرب من الجزيرة أيضاً ، وتوسّط الشّام فظفروا به ، فأخذوه ، وحملوه إلى المأمون ، فلمّا صار إليه قال له : يا ابن اللَّخْناء ، أنتَ القائل للقاسم بن عيسى : [من المديد]

كلُّ مَن في الأرض من عَرَب ... بين باديه إلى حضرهْ
مستعير منكَ مكرمةً ... يكتسيها يومَ مفتخرهْ

جعلتنا مِمّن يستعير المكارم منه ! فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحد ، لأنّ الله جلَّ وعزَّ فضَّلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه . وإنّما عنَيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانَه . فقال : واللهِ ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ ، سُلّوا لسانه من قَفاه .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بن موسى قال : وحدَّثني أحمد بنُ أبي فَنَن : أنَّ المأمون لمّا أُدخِل عليه عليّ بنُ جَبَلة قال له : إنّي لست أستحلُّ دمَك لتفضيلك أبا دُلَف على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً ، وهم آل رسول الله ﷺ وعترتُه ، ولكنّي أستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه[1] : [من البسيط]

أنتَ الذي تنزل الأيّامَ منزلها ... وتَنقل الدهرَ من حال إلى حالِ
وما مددْتَ مَدى طَرف إلى أحدٍ ... إلاّ قضيتَ بأرزاق وآجالِ

كذبتَ يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ، ما يقدر على ذلك أحد إلاّ الله ، عزَّ وجلَّ ، الملك الواحد القهّار . سُلّوا لسانَه من قفاه .

صوت

[من المنسرح]

لا بدَّ من سَكرةٍ على طَرَبِ ... لعلَّ رَوْحاً يُدال من كُرَبِ

ويُروى :

لعلَّ روحاً يُديلُ من كربِ

وهو أصوب .

فعاطنيها صهباءَ صافيةً ... تَضحكُ من لؤلؤ على ذهبِ
خليفةَ اللهِ أنتَ منتخَب ... لِخير أُمٍّ من هاشمٍ وأبِ
أكرِمْ بأصلَيْنِ أنتَ فرعهما ... من الإمامِ المنصورِ في النسبِ

الشعر للتيميّ ، والغناء لسُلَيم بنِ سلاّم ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، وفيها لنظم العمياء خفيفُ رمَل بالبِنصر عن الهِشاميّ .

* * * *

---

1 شعره : 95 .

الفهرس